هذا العدد

يحيى حقي

ليس هذا العدد هو الذى كنا نعده لك أيا الأخ الحبيب . جرت عادتنا أن نصدر فى شهر يوليو من كل عام عددا يعنى بتتبع النهضة الثقافية فى بلدنا - فى كافة الميادين - احتفالا منا بثورة ٢٣ يوليو وانجازاتها العظيمة ، لا أريد أن أعددها لك فانت تعرفها - . ورأينا أن العيد الخامس عشر للثورة فى هذا العام هو رمز لبدء مرحلة هامة فى حياتنا ، فنحن نوشك أن نفرغ من تقليم الشجرة لنبدأ فى جنى ثمارها ، وكم كلفنا زرع هذه الشجرة ورعاية نموها من جهد وتحمل لضغوط قاسية فظيعة فرضتها علينا الامبريالية والاستعمار الجديد . لا أريد أن أعددها لك فانت تعرفها ، ولكننا صمدنا ، وأوشكنا أن نصعد ما تبقى من جانب التل ليتراءى لنا الأفق الباسم .

فى الميدان السياسى تعددت منارات القوى الثورية فى العالم العربى ، يجذب نورها السفن الشقيقة المتارجحة فوق العباب ، وضعت دعائم سليمة للوحدة العربية المرتقبة والأكيدة ، المسألة مسألة زمن وصبر وليس غير .

وفى الجبهة الداخلية يوشك التيار الكهربائى من أسوان أن يصل للدلتا ، وملايين الأفدنة الجرداء أن تزرع ، وآبار البترول أن تمنحنا بركتها ، وتوسيع قناة السويس الى ضعف حجمها أن يتجسد ، والأنظمة الجادة أن تقيم صناعتنا على الطريق السليم بعد مرحلة التجربة والخطأ ، وفوق هذا وذاك يوشك الاتحاد الاشتراكى المستند الى وحدة القوى العاملة أن يفرغ من وضع كادراته وتحديد دوره فى خدمة الدولة .

وفى ميدان الثقافة - وهو مجال اختصاص هذه المجلة - فرغنا من اعداد المعاهد الفنية وبدأنا نتسلم دفعاتها الأولى ، وأرجوك أن تلحظ أيها الأخ الحبيب أن مرحلة الاعداد لم تخل أيضا من انجازات طيبة ، سأحصر الكلام عنها فى مجال الثقافة لأنه اختصاص هذه المجلة ، فقد شهدنا نهضة مؤكدة فى المسرح ، والفنون التشكيلية والفنون الشعبية ونهضة واضحة فى حركة التاليف والترجمة ونفوذ الأدب العربى الى النطاق العالمى . وصدرت هذا العام فى انجلترا ترجمة دقيقة جميلة لمسرحية يا طالع الشجرة لأستاذنا الكبير توفيق الحكيم ، كما صدرت مختارات من الأدب العربى الحديث فى فرنسا وانجلترا والمانيا ، يتولاها بعض العتاة من الناشرين من داخل حصونهم المنيعة ، كنا نوشك أن نحقق الانتقال من مرحلة الكم الى مرحلة الكيف ، حقا ان السينما والموسيقى من الفنون التى بقيت متخلفة ، فتضاعفت من أجل ذلك عناية الدولة بها . وكنا نوشك أن نشهد أفلاما طليعية بعد أن أشرفت الدولة على صناعة السينما .

وظلت المجلة تتبع هذه النهضة عاما بعد عام فى الأعداد التى تصدرها فى شهر يوليو ، هى أطيب وقفة للجرد وتقديم كشف الحساب ، ولكنها رأت فى العيد الخامس عشر - والبشارة أمام العيون - أن تنتقل من التتبع الى التطلع ، بدلا من نظرة الى الماضى نظرة الى المستقبل ، فذهبنا الى المسئولين عن جميع قطاعات الثقافة - وهم من خيرة الأساتذة - نسألهم

عن الصورة التي يأملونها لفنوننا في المستقبل القريب والبعيد ، وعرضنا آراءهم على نخبة من النقاد المتمرسين ، لينشأ حوار نافع صريح •

وفجأة وقع الغدر ، وتم الاعتداء وطوينا أوراقنا والقلب مفعم بالحزن والغضب معا ، وقلنا نحن الآن في معركة حياة أو موت فلا كلام الا عنها، كل كلام غيره في هذه اللحظة الحاسمة ثرثرة تافهة ولغو سخيف •

اذن أنت تحس معي أيها الاخ الحبيب أن الغرض الأول من الاعتداء هو حرماننا من بدء مرحلة جني الثمار ، هو ردنا الى الوراء ، والظن أننا لن نستطيع أن نكرر الجهد ونصعد التل من جديد ، هو اعتداء مبيت يتحينون له الفرص • كان سيحدث سواء نشأت أزمة شرم الشيخ أم لم تنشأ• ان الامبريالية والاستعمار الجديد لن يرضيهما الا أن تبقى منطقتنا متخلفة لا قيادة لها - بل لا وزن لها - في السياسة الدولية ، ينهبون خيراتها ، ويقتلون صناعتها ، ويجبرونها على البقاء سوقا لاستهلاك انتاج احتكاراتهم • وينجحون بذلك أيضا في ضرب ما تبقى من حركات التحرير في افريقيا ، قارة المستقبل • وأكاد أشم من وراء هذه الأهداف السياسية والاقتصادية عداء غريزيا محتدما لا يهدأ دون تخف تحت الرماد ، عداء شعوب الحضارة الأوربية لشعوب الحضارة العربية ، ومن هنا جاء هذا الجهد الذي لاينقطع في تشويه تاريخ حضارة العرب والتقاط كل سبة لدمغها بها ، زورا وبهتانا ، أما الأصوات التي ارتفعت للدفاع عن هذه الحضارة فنحن لا ننكر فضلها ، ونشكرها ، ولكنها مع الأسف قليلة ضائعة وسط محيط هائل من الأكاذيب والأضاليل •

هذا هو تفسير الاعتداء الأخير علينا الذي كانت فيه اسرائيل رأس الحربة في يد الامبريالية والاستعمار الجديد ويسرح ذهني أحيانا في تصور ماذا كانت تكون عليه حال الأمة العربية لو لم تنشأ وسطها اسرائيل عميلة هذه الامبريالية وهذا الاستعمار الجديد ، لتقوم بدورها في اغتيال نهضة هذه الأمة •

ويعلم الله ان ذمتنا بريئة ، في السياسة الخارجية كنت أيها الأخ الحبيب تستطيع أن تعرف من قبل في كل قضية الى أي جانب صوت مصر ، هو دائما في جانب المثل الانسانية العليا التي يتوق البشر اليها وليس الدافع هو المصلحة الذاتية أو تعمد الوقوف موقف العداء أو الصداقة من احدى الدول ، وسارعنا مع انجلترا وفرنسا رغم عدوانهما علينا للمسالمة والمصالحة والصفح ، ونسيان الماضي على أمل فتح صفحة جديدة من التعاون الشريف بين الشرفاء الأكفاء •

وانظر أيها الأخ الحبيب الى علاقتنا بالولايات المتحدة ، انها تتستر الآن بستار شفاف وراء اسرائيل لتشن علينا حربا ضروسا ، بسماحة وغلظة وتعال واسراف في الاعتداء ، بالقوة الغاشمة ، تدمر منشآتنا ، وتقتل أبناءنا بالقنابل المحرقة لا يهمها أين تقع ، على دبابة أم على مستشفى ومدرسة وبيوت آمنة ، على جند أم على شيوخ وأطفال • تريد أن تدفعنا دفعا الى الوراء •

كنا نحسبها بفضل انتزاعها لاستقلالها من يد الاستعمار وتحللها من ارتباط أوربا بهذا الاستعمار أنها ستكون نصيرة للحرية والتقدم كنا نحسب أنها ستضرب المثل بفضل رخائها المادي الهائل لا على أن القوى

هو الاقوى على الظلم ، بل هو الاقوى على العدل اذ لن يصيبه منه أذى أو ضرر ، كنا نأمل فى هذا الرخاء المادى - اى النجاة من العوز - أن يفسح المجال لنضوج روحى وخلقى تندب اليه بحبوحه من نعمتين ، وفرة العلم ووفرة المال •

ولكن تاريخها معنا لم يكن - مع الأسف - الا سلسلة من التجارب المريرة لم نهتف ثورة سنة ١٩١٩ باسم رجل أجنبى الا باسم ويلسون رئيس الولايات المتحدة الذى خرج يبشر العالم بعهد جديد يعترف للشعوب بحقها فى البقاء والوحدة وتقرير المصير والسلامة من العدوان • فاذا بنا فى غمرة الفرح نصطدم باعتراف الولايات المتحدة بالحماية البريطانية على مصر • بلعنا هذه الصدمة ونسيناها ، وتطلعنا الى تعاون شريف معها ، فتحنا بلادنا لمؤسساتها الثقافية من كل نوع ، بلا حسيب أو رقيب ، ولنختصر هذا التاريخ فنقفز الى موقفنا معها بعد بدء الحرب الباردة ، أيضا وقفنا معها موقفا شريفا ، انتهجنا سياسة الحياة الايجابى ، لم ننضم الى كتلة خصومها ، لم نمنحهم قاعدة حربية تستخدم ضد الولايات المتحدة ، وبقاء على صداقتنا لها ، فعلنا هذا وهى التى أقامت اسرائيل وسط أراضينا • لتكون حربا علينا ، تعرقل تقدمنا ، أقامت الولايات المتحدة ميزانا - ويا شؤم هذا الميزان - ووضعت اسرائيل فى كفة ، والأمة العربية كلها فى كفه ، وليتها أبقت نوعا من الاعتدال بين الكفتين ، ولكن لا ، شالت كفه وهبطت كفه ، التأييد كل التأييد لاسرائيل ، كل توسع عدوانى لها مغفور ، على الراس والعين بل هو اقل مما يحق لها ، كل مطلبه مصيبه ، وكل طمع مشروع ، وكل ذنب مغتفر • ما قيمه ارواح عشرات من الامريكان غرقوا فى السفينة بقنبلة اسرائيل ؟ كلمة اعتذار سريعة تغطى قبورهم بالزهور ، اما الخصام كل الخصام فللعرب حقوقهم عندها باطل الاباطيل ، وفضائلهم مثالب ، ولا غفران لذنبهم الاكبر والوحيد ، ذنب بقائهم على ظهر الارض • كل الاحداث تدافع عن اسرائيل ، تتسابق متطوعه فى ارضائها ، ولا يرتفع صوت ، صوت واحد يقول : يا جماعه ! فلنجلس بهدوء نبحث الامر ونعرض حجج الفريقين • ولو جاء كل هذا الصوت صدنا ، حتى فى انجلترا استقال احد وزرائها احتجاجا على عدوان سنه ١٩٥٦ ، ولم نسمع فى الولايات المتحدة كلها بطولها وعرضها عن رجل واحد من ساستها وسفرائها الذين عمدوا عندنا وعرفوا بلادنا وأهلنا ، يقف ويقول لشعبه انه ضحية اكبر حملة من التغرير والارهاب عرفها التاريخ ولو ضحى من أجل هذا الموقف بمنصبه •

لقد قبل ضمير الولايات المتحدة قيام اسرائيل على الجريمة : السفح والقتل والتشريد وطمس حضارات عريقة وازالتها عن الخريطة • قبل ضمير الولايات المتحدة ان الانسانية بعد حربين عالميتين هدرت فيهما دماء ملايين من زهرة الشباب لسحق التفرقة العنصرية يشهد مرة أخرى دولة تقوم على هذه التفرقة العنصرية وتثير ماكان قد رقد من مشاحنات عقائدية ، فهى تستنجد فى عدوانها الأخير بكل يهود الأرض • هذا استنجاد عقائدى سافر •

ويعلم الله أن ذمتنا بريئة • فقد اقتضانا التمسك بالمثل الانسانية العليا الا نستخدم سلاح العقيدة فى معركتنا ، وحرصنا دائما على

التفرقة بين الصهيونية واليهود وقلنا لا عداء لنا مع اليهود ولكن مع الصهيونية وحدها لأنها قائمة على الاجرام والتفرقة العنصرية والعدوان، مسحت فلسطين من الخريطة وشردت شعبها ونهبت أموالهم ٠

ان الولايات المتحدة – قبل اسرائيل – هى التى تمتحن الآن ثباتنا على هذه المثل العليا امتحانا شديدا ، انها ترهق صبرنا الى ما فوق طاقة التحمل ، من الحماقة وقد سقطت الأماكن المقدسة فى قبضة اسرائيل ألا تتوقع الولايات المتحدة ألا يفلت الزمام من أيدينا ، اذن تكون هى المسئولة عن أفدح ردة يمنى بها العالم كله ٠

ولكن « رب ضارة نافعة » هذه الحكمة لا أرددها لك كالببغاء يا أخى الحبيب بل لانها خير وصف لموقفنا الان : أكرر هنا ما سبق لى ان قلته ٠ لم يكد الاعداء يبغ حتى تعالت اصوات من موريتانيا ومراكش والجزائر وتونس وليبيا ، من مصر والسودان ، من الاردن وسوريا والسعوديه والعراق ، من الكويت والبحرين ، من اليمن وعدن ، نهتف من القلب قبل اللسان : لا خلاف بيننا ، اننا لسنا شعوبا متفرقه ، بل امه واحده ومصيرها واحد ٠ هكذا تحققت وحدة المصير بين الشعوب العربيه وكانت تبدو حلما بعيدا ، بل مستحيلا ، وان وحدة تحققها الشعوب فى اتون المعركة أبرك من وحدة يعقدها ساسه من حول منضدة المفاوضات ٠ هذه الوحدة هى التى ستحقق لنا النصر ٠ فلنعرف كيف نراها فلا تضيع منا فى سحب التراب المنعقد فوق أرض المعركه ، لنعرف كيف نعض عليها بالنواجذ فلا تفلت منا من بعد ٠

وتماسكت جبهتنا الداخلية فلم تصب بأقل صدع وتحققت لنا وحدة الشعور التى تكفل لنا الثبات حتى ننجح فى رد العدوان ٠ فلنعرف أيضا كيف نصونها ٠

واتفق العرب لأول مرة على منع بترولهم عن المعتدين ، برا وبحرا ، كل سلاح مدخر برز الان للقتال ٠

ولقد زادت هذه المعركة من عداوة أعدائنا ، ولكنها زادت أيضا من صداقة أصدقائنا ، فلنعرف كيف نشكرهم ولا نشكك فى مواقفهم ومقاصدهم ٠

سنفوت على الأعداء أهدافهم باذن الله ، سنعرف كيف نرد العدوان وكيف نستعيد السير الى الأمام ، مضيا بالنهضة فى كافة الميادين ، ان هذا التحدى سيدفع كل فرد الى تجديد عمله وأخذه الامور مأخذ الجد ٠ اذا كان قد امضنا العلم عند العثرة فلنعرف كيف نتهلل لاحتشاد القوى عند الصحوة ١٠ فانها ولادة جديدة ٠

استأذنك أيها الأخ الحبيب لأعود الى ترتيب عدد المجلة الذى كنا قد أعددناه لك فى هذا الشهر ، ملقيا بنظرة الى الأمام ، فان موعد صدوره قريب باذن الله ٠

ماقبل.. ومابعد..

فتحى رضوان

حينما كانت الدولة العلية ، دولة بنى عثمان ثابتة الاركان ، قوية البنيان ، عظيمة السلطان ، رأى كثير من المشكلات أن يؤجل ظهوره على مسرح السياسة ، ولكن لما تداعت هذه الامبراطورية الفسيحة القوية ، بفعل الزمن من جهة ، وبفعل ما كان يعوزها من دوافع روحية ، تدعو الى تماسكها ، وتجددها، أخذت المشكلات الدولية تطل برأسها فى استحياء ، ثم بشىء من الثقة ، ثم انفجرت .

كان من مشكلات انهيار سلطان بنى عثمان أو تدهوره ، المشكلة التى عرفت « بالمشكلة الشرقية » ، وهى لا تزيد عن صراع الاقوياء ، وتنافسهم على ما ستتركه الدولة الآفلة من أقاليم ودويلات فى شرق أوروبا ، كالبلغار واليونان والصرب ، وقد استمر هذا الصراع قرابة قرن ، يهز أوربا هزا عنيفا ، ويقسمها الى معسكرات تتزعم روسيا أحدها وامبراطورية النمسا والمجر ،الثانى ، وتتأرجح فرنسا وبريطانيا وألمانيا ، يمنة ويسرة بينهما، حتى اندلعت الحرب العالمية الاولى فى صيف سنة ١٩١٤ ، لاسباب كانت فى مقدمتها آثار المشكلة الشرقية ولما بدا أن شيخوخة الامبراطورية العثمانية التى سميت (بالرجل المريض) قد أوشكت أن تتصل بالموت ، انطلقت مشكلة أخرى ، هى مشكلة اليهودية ، التى عرفت فيما بعد ، بالمشكلة الصهيونية أو بمشكلة فلسطين ، والتى تسمى فى آخر الايام بمشكلة الشرق الاوسط .

مرد هذه المشكلة الى أن العالم كان لا يعرف من وسائل النقل الا ظهر الحصان ، ثم العجلات التى يدفعها هذا الحيوان الكريم ، وزميلاه البغل والحمار ، وكان لا يتقن من وسائل القتل الا مايعتمد على شجاعة الشجعان السيف والرمح ، وما يشبههما ، لذلك كان الفتح بسيطا ، يحتاج الى مال ، ولكنه مال متواضع ، ويؤدى الى استغلال الشعوب المفتوحة ، ونهب الاقاليم المغلوبة ، ولكنه كان أيضا استغلالا بدائيا . فلما عرف الانسان البارود والبخار، ترتبت على ذلك نتيجتان أنه بات ممكنا للدولة القليلة العدد ، كهولندة وبريطانيا ، أن تغزو قارتين كالهند واندونيسيا ، والثانية ان تقوم حكومة مركزية ، عظيمة السلطان ، فى عاصمة الامبراطورية الفاتحة ، يمتد سلطانها الى أقاليم أبعد ما تكون عنها ، والى حشود هائلة من الناس .

ولكن لم يكن فى الوسع ان تتحقق هاتان النتيجتان ، بفعل السحر ، الا ان يكون هذا السحر القديم ، الذهب الرنان .

فى كلمة واحدة ، نشأ الاستعمار الحديث، استعمار المدفع الطويل المدى ،استعمار الحروب التى لا يتقابل فيها الشجعان وجها لوجه ، ولا سيفا بسيف ، وما كاد هذا الاستعمار يبدأ حتى حدث الانقلاب الصناعى ، والثورة العلمية ووقع أكبر تتطور ، فى صناعة الحروب ، وهى صب مئات من الأطنان من الحديد ، وتشكيلها كما تشكل قطعة العجين فى يد طفل ، فخرجت من هذا الكشف الرهيب ، مدافع أطول مدى ، تحتمل ضغط انفجار

هائل ، فلا تنثنى قنـــاة المدفع ولا تلين ، ثم جاءت بعد ذلك التركيبات والمنشآت الحديدية التى لم تخطر على بال ، من مثل (الكبارى) الضخمة ثم العربات المصـــفحة ، التى ولدت الدبابة .

باتت الحروب ، صراعا علميا ، واعتمـد الصراع العلمى ، على المال ، وتجميعه وتركيزه، ونقله من بلد الى بلد ، واستثماره ، وتوليد الألوف من المئات ، والمـــلايين من الألوف ، والبلايين من الملايين .

وعد الاستعمار الجديد ، بخيرات وثروات لم يحلم بها الاســـكندر الاكبر ولا يوليوس قيصر ، ولا أضرابهما كهانيبال وهولاكو ..

فالدلة الفاتحة قادرة على أن تستخرج من باطن الارض المغلوبة ذهبا وماسا ، وحديدا ورصاصا ، وأن تحول الى الاسواق أطنانا فوق أطنان قطنا وقهوة وشـايا وغلالا ، بعـد أن تتناولها المصانع بالتشكيل والتغيير والتجميل، بل ان الدولة يمكن أن تتجر فى الملايين من بنى آدم ، وسواعدهم واكتافهم وعواتقهم .

لم يعد الاستعمار عملا سياسيا صبيانيا تفرض به دولة نفـوذها وسـلطانها على دولة أخرى ، بل أصبح عملا مدروســـا ، يجب أن يحسب للبدء فيه ألف حســاب ، ثم لما يدره من الثمرات وبلايين الجنيهات والدولارات ألف ألف حساب .

ولما كان اليهود ، قد حرمت عليهـم دول أوروبا ، اقتناء العقارات والاتجار فيها ، فقد انصرفوا الى اقتناء النقد السائل ، واقراضه ، تعويضا لانفسهم وانتقاما فى الوقت نفســه ، فكملت لهم على مر القرون خبرة فريدة فى جمع المال ، ونقله من بلد الى بلد ، واســـتعماله وسيلة لاتخيب الى اذلال الافراد ، والتحكم فى الحكومات . فلما ارتفع شأن المال ، بفضل هذا الانقلاب الصناعى ، وتلك الثورة العلميــــة ، أصبح الاستعمار هو صناعتهم المفضلة . بدأوا بالمشروع التجارى أو الصناعى الصـغير ، ثم ارتفعوا منه الى المشروع الاكبر ، الذى يتخذ شكل شركة ، ينتقل الى مجموعة شركات ثم الى تكتلات تسمى « بالكارتل » و « الترست » .

ومن هنا ضاقت الاسواق المحلية المحـــددة بنشاط هذه الصور الجديدة القـــوية من استثمار الاموال، وأصبح لامندوحة من البحث عن أسواق فسيحة ، تشمل أجزاء كاملة من القارات ، كما زاد نهم الانتاج الصناعى ، فأصبح لا يشبع بالموارد المحدودة الموجودة فى أقليم واحد ، أو عدة أقاليم .

ولما كان اليهود ، موزعين على العـــالم ، وكانت العلاقات تربط بينهم ، على اختـلاف الشعوب التى يعيشون بين ظهرانيها ، والدول التى يعيشون فى ظل سلطانها ، فقد تيسر لهم أن يضعوا خريطة العالم تحت أنظـارهم ، وأن يضعوا بالتالى ، خططا لهجومهم الاقتصادى ، ليضمنوا موارد طبيعة هائلة وأسواقا تجارية مترامية الآفاق .

خرجت من هذه التطورات حكومة عالمية ، تعلو فوق الحكومات جميعا ، لانهـــا تفرض كلمتها على الساسة والاحزاب ، وتدفعهم دفعا خفيا حينا ، وظاهرا آخر ، الى ما تريد هى ، دون أن تظهر على مسرح السياسة ، لانهـــا تعتبر السياسة عملا صغيرا، تتقاتل فيه الدول والجماعات السياسية ، كما يتقاتل الصبيان، على أن يبقى لها هى الكلمة الاخيرة ، فيما يجب أن يعمل ، وفى تحديد موعد العمل واسلوبه ، والاشخـــاص الذين يقومون به ، ومن يغلب ومن يغلب .

استتب الامر لحكومة المال ، واستقر زمام هذه الحكومة ، فى يد الرأسمالية العـالمية ، التى هى رأسمالية يهودية .

وتتابعت على مسرح السياسة العالميـــة ظواهر ، نراها جميعا ، ونشير اليها ، دون أن ندرك المعنى الذى يستتر خلفها ، حتى بتنـــا كالببغاوات ، نقول مالا نعى .

فنحن نردد مثلا ما يؤثر عن الساســـــة البريطانيين من أن بريطانيا ليس لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، بل لها مصـــالح دائمة .

ونحن يتولانا العجب ، حينمـــا نرى أحزاب الاحرار ، أشد انغماسا فى أعمال القمع والفتح أحيانا من أحزاب المحافظين . فاحتلال

مصر تم فى عهد الاحرار ، واسقاط مصدق فى ايران وقع فى عهد حكومة العمال ، وما يجرى الآن فى عدن ، هو امتداد لما كان يجرى من قبل فى عهد حكومة مكميلان وهيوم ..

وفى الولايات المتحدة تحاول أن تجد فارقا بين حزب الديموقراطيين وحزب الجمهوريين فلا تجد ، وفى فرنسا لا ترى الاحزاب الاشتراكية حرجا فى شن حرب ضارية ضد الجزائر ، سنين طويلة ، ولا فى تدبير مؤامرة الغزو الحقيرة سنة ١٩٥٦ ضد مصر .

التفسير البسيط لكل هذه الظواهر ، أن هذه الاحزاب ، لا تملك زمام نفسها ، فهى لا تعدو أن تأتمر ، بأوامر هذه السلطة العليا ، وان تذعن لها وتطيع . وبريطانيا حينما يعلن ساستها انه ليس لبلادهم أعداء أو اصدقاء دائمون ، بل لها مصالح دائمة ، قد لا يفطن بعضهم أن هذه المصالح الدائمة ، هى مصالح هذه السلطة العليا ، التى ترسم سياسة الدول الكبرى بما يحقق مصلحة الرأسمالية العالمية .

لذلك كان من المستحيل على هذه الحكومة أن ترى دولة بنى عثمان ، موشكة على الزوال ، دون أن تفكر طويلا فى الآثار التى ستنجم عن هذا الزوال ، فى بقعة من أكثر بقع الارض خطرا ، تلك هى البقعة التى تضم ملتقى الطرق البحرية والبرية العالمية ، أعنى مصر وما حولها .

وقد كانت كل الدلائل تشير الى أن هذه البقعة ، لن تبقى على الصورة التى كانت عليها فى عهد الدولة العثمانية . فقد بدأت أفكار الديموقراطية ، تغزو الدولة ذاتها ، فقام حزب الاتحاد والترقى ، وحمل السلطان عبد الحميد على اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، ثم عزله سنة ١٩٠٩ ، ومنذ مطلع القرن العشرين ، بل فى آخر عقود القرن التاسع عشر ، اخذ القلق يغزو الولايات العربية : الشام والعراق ، ونشأ العديد من الجمعيات والهيئات التى تطالب بالحكم الذاتى ، وبدستور اتحادى ، وامتشق بعض الاحرار أقلامهم ، فهاجموا الطغيان التركى ، والطغيان عموما ، وظهرت صحف فى مصر ، أخرجها وأصدرها عدد من أحرار الشوام مع عدد من رواد مصر ، وجعلوا هدف حملاتهم الاستبداد فى استانبول ، والاستبداد فى القاهرة .

اذن أفاق العرب من سباتهم ، فلو انتزعوا استقلالهم ، لادركوا أن وحدة الحال بينهم ، تقتضيهم أن يتلاقوا ، ولو تلاقوا لا تحدوا ، ولو تحدوا لنشأت فى هذا الركن الحساس النفيس ، دولة تجتمع فى بحارها مفاتيح البحار العالمية الاساسية : جبل طارق فى مدخل البحر الابيض غربا ، وبور سعيد فى مدخله شرقا ، والسويس ، باب البحر الاحمر الشمالى ، وعدن بابه الجنوبى ، وقناة السويس ، شريان التجارة العالمية . وتجتمع فيه أيضا ، الطرق البرية المؤدية الى قلب افريقيا عن طريق اتصال مصر بالسودان ، والى الشرق القريب والبعيد ، عن طريق سوريا والعراق ، دع عنك احتمالات البترول التى أخذت رائحته تفوح من حقول الموصل ، واجتماع كل الاراضى المقدسة ، للاديان السماوية الثلاثة فيه .

هذا موقع ، جدير بأن يموت دونه الاستعمار ، وحقيق بأن تنفق حكومة راس المال العالمية ، كل جهد وكل دينار ، فى سبيل الاحتفاظ به .

● ●

على ضوء هذه الحقيقة الكبرى ، يجب أن ندرس كل ما جهد لبروز مشكلة فلسطين ، بالحجم والصورة التى برزت بها . وكل مجافاة لهذه الحقيقة ، أو اهمال لها ، أو الغض من شأنها ، يؤدى بنا الى التعثر فى اخطاء تليها اخطاء .

اول اسم يظهر على صلة بالمشكلة اليهودية فى صورتها الحديثة ، هو اسم (موسى مونتفينورى) تاجر يهودى ، ايطالى ، لكنه ينزل عن جنسية هذه ليصبح من رعايا بريطانيا ، سوق المال الكبرى ، ثم يتزوج من عائلة روتشيلد زعيمة الرأسمالية اليهودية يثرى هذا التاجر ثراء فاحشا ، وليس فى هذا شىء غريب ، ثم ياتى الى مصر ، فى عهد محمد على ، ويقابله فى سنة ١٨٣٨ ، بعد أن زار فلسطين فى السنة السابقة ، ليعرض عليه مالا كثيرا فى سبيل أن يسمح له بشراء أراض فى

فلسطين ليقيم عليها مستعمرات يهودية ، وتقوم الحرب بين محمد على والباب العالة وتطرد جيوش مصر من سوريا وفلسطين ، فيتحول مونتفيورى الى الباب العالة ويفاوضه فى نفس الصفقة ٠

ويموت مونتفيورى وقد بلغ المائة ، فى سنة ١٨٨٥ ، فيتلقف منه اللواء الصحفى النمساوى (يتودور هرزل) ، فيصدر رسالته المشهورة « الدولة اليهودية » سنة ١٨٩٦ ، التى ينعقد بفضلها أول مؤتمر صهيونى فى (بال) بسويسرا سنة ١٨٩٧ ٠

ويسعى (هرزل) الى مقابلة السلطان عبد الحميد ، سلطان تركيا ، وتتم المقابلة فى سنة ١٩٠١ أو فى سنة ١٩٠٢ ، ويعرض (هرزل) على السلطان أن يضع النفوذ اليهودى السياسى ، فى خدمة السلطان ، ليواجه به حملات أوربا الضارية ، ضده فى صحافتها ، واشترط (عبد الحميد) شروطا سياسية عرضها (هرزل) على بريطانيا ، فرفضت هذه الشروط وباءت المحاولة الثانية بالفشل ٠

وشبت نيران الحرب العالمية الأولى ، فحلت للرأسمالية العالمية مشكلة ، فى موضوع فلسطين ، ولكنها خلقت فى الوقت نفسه مشكلات ٠

حلت الحرب العالمية (حرب سنة ١٤ ـ ١٩١٨) مشكلة تركيا ، فقد أعلنت هذه الحرب ضد بريطانيا وحلفائها ، فى صف ألمانيا وحلفائها ٠ فتحررت السياسة البريطانية من القيود التى كانت تفرضها على نفسها بقصد حماية تركيا والابقاء عليها ، كسد مانع فى وجه روسيا القيصرية من الزحف على الشرق الأوسط ، ومن الوصول الى البحر الابيض المتوسط ٠

ولكن كان لابد للقضاء على تركيا من اثارة العرب ضدها ، ولكى يتحقق هذا الغرض لابد من القاء بعض الوعود المغرية ، للعرب ، ليجمعوا كلمتهم على محاربة دولة الخلافة الاسلامية ، وطعنها فى ظهرها ، فى وقت محنتها ٠ كما لابد أن تتخذ هذه الوعود من استقلال البلاد العربية ، موضوعا لها ٠ فكيف يتم التوفيق بين هذا الاستقلال وبين ما انتوت الاستعمارية العالمية انفاذه ، وهو انشاء دولة لليهود فى جانب حيوى من هذه البلاد العربية ذاتها ٠ ثم كيف تنسق الدول الاستعمارية بين مطامعها الخاصة فى هذه البلاد ذاتها فقد كانت مطامع بريطانيا لا تقنع بأقل من أن تحتوى البلاد العربية شرقى القناة ، من فلسطين جنوبا الى الموصول شمالا ٠ وكانت فرنسا تعتبر نفسها حامية الكاثوليكية فى شرق البحر الأبيض المتوسط الى الحد الذى أرسلت معه أسطولا فى سنة ١٨٦٠ الى بيروت ، أنزل جيشا فرنسيا احتل لبنان لمدة تسعة أشهر لحماية الموارنة من المذابح الطائفية الدينية التى كانت تشب هناك بين الحين والحين ٠ وعلى أساس من هذه الحماية المزعومة ، كانت فرنسا تطالب بأن تمنح البلاد الواقعة غربى دمشق وحمص وحلب وحماة ٠

وكانت روسيا ، وقد أصبحت فى الحرب العالمية الأولى ، حليفة لبريطانيا وفرنسا ، تمنى نفسها بأن تقتطع من هذا الجانب من العالم جانبا ، يكون بمثابة موضع قدم لها فى الشرق الأوسط ، تتوسع بعده ، حينما تأتى به الظروف ، وقد كان لها سند فى هذا التوسع ، من ادعائها أنها بدورها حامية الأرثوذكية ، باعتبارها أكبر دولة تدين بهذا المذهب فى العالم ٠

ولما كانت ذمة الحرب تتسع لكل وعد ، ولا تقف طويلا أمام ما يقوم بين الوعود من تعارض وتناقض ، بدعوى أن ما يقال فى الحرب ، ينسى فى السلم ، فللحرب عقلية تخالف عقلية السلم ٠ ومن يتفاوضون باسم الأمم فى أثناء القتال قد يسقطون بسبب هذه الحروب ، فلا تتاح لهم الفرصة للتحدث باسم شعوبهم بعد أن تضع المعارك أوزارها من أجل ذلك كله حررت معاهدة خلال سنة ١٩١٦ عرفت باسم عاقديها البريطانى والفرنسى (سايكس بيكو) اتفقت فيها بريطانيا وفرنسا وروسيا على توزيع الشرق العربى فيما بينهم ٠ وبقيت سرا ، حتى سقطت روسيا القيصرية ، فأعلنت جميع المعاهدات السرية التى ارتبطت بها حكومة القياصرة ٠

هذا كله يريك كيف كان واضحا للرأسمالية

العالمية ، أن هـذا الشرق العـربى ، ميدان لاطمـاع عنيفـة ، وأن ضروريات الحرب التى تستدعى مغازلة القومية العربية واستثارتها ، ودفعها الى الامام لمجرد تحقيق هدف حربى مؤقت ، وهو طعن تركيا ، ستصـبح عنصرا خطرا ومقلقـا ، لو تركت بعـد الحرب ، تنمو نموها الطبيعى ، حاشدة كل قواها ، مستعينة بموقعها، وبمواردها، وبتراثها الأدبىوالروحى العظيم • ولذلك لم تتردد هذه الرأسمالية فى أن تتخذ من (أرض الميعاد) ومن حلم عودة اليهود الى كنعـان وصهيون ، الأسـاس الذى تقيم فيه الحاجز الرئيسى فى وجه نمو القومية العربيـة لتصطدم به ، اصـطداما مستمرا ، يستنفد قدرا غير قليـل من طاقتها ، ويمتص جزءا عظيما من حيويتها ، ويشتتها فتقع الفتنة بين أقطارها ، وتتسع الفرصـة للاستعمارية العالمية ، أن تعبث بأصابعها القذرة فى أحشاء هذه القومية الوليدة •

تتابعت الخطوات بسرعة •

فاليهودية العالمية ، قررت أن تراهن أولا على الجواد البريطانى الفرنسى • بعـد أن انقسمت قليـلا فيما بينها على الوجه الذى شرحه (حاييم وايزمان) فى كتابه (التجربة والخطأ) اذ كان من الصهيونيين من يرى ألمانيا أولى بالتأييد وبذلك أحق بالنصر فى المعركة العالمية ، باعتبار أن المانيـا اذا ظفرت فى الحرب سـتكون جوادا جديدا فى ميـدان الاستعمار وللجدة دائماطموحها ، ثم أن الجواد غير المجرب ، سـيكون أسلس قيـادا فى يد السائس الخبيث ، الماكر أى فى يد الصهيونية العالمية ، وكبار مموليها •

ولـكن الاستعمارية اليهودية ، رأت أن من خلف بريطانيـا وعالمها الاستعمارى الفسـيح الذى أقامته تلك الاستعمارية ذاتها بأموالها ، وأفكار زعمائها ، تقف الولايات المتحدة ، وهو جناح حافل بالاحتمالات ، التى تزيد قطعا عن احتمالات الامبراطورية الألمانية • فضلا عن أن بريطانيـا والولايات المتحـدة ، تؤمنـان بالديمقراطية الليبراليـة ، وهو مذهب تعيث فى ظله الرأسـمالية اليهودية فسادا ، فتنفث سمومها الثقافية ، وتباشر نشاطها الذى يحلل الجماعات والهيئات والأفراد، ويهدم معتقداتها، ويهيئهـا لتجرع جرعات ضخمة من المهلـكات العقليـة ، التى تؤجج نيران الحروب العالميـة والداخلية •

صدرت الاوامر اذن لحـكومة بريطانيا بأن تتبنى قضـية وطن قومى لليهـود ، وصـيغ التصريح الخاص بانشاء هذا الوطن فى عبـارة يمكن أن تواجه جميع احتمـالات المستقبل ، صـدر فى ٢ نوفمبر سـنة ١٩١٧ على لسان اللورد بلفور الى اللورد جيمس روتشيلد زعيم الرأسمالية اليهودية العالمية وقال فيه الوزير:

« يسرنى جدا أن أبعث اليـكم باسم حكومة جلالة الملك بالتصريح التـالى ، تصريح العطف عـلى اقـامة وطن قـومى فى فلسـطين ، وسوف تبـذل أقصى جهودها لتسـهيل بلوغ هذه الغـاية ، على انه يفهم جليـا أنه لا يجوز عمـل شىء يغير الحقوق المدنيـة للطوائف غير اليهودية ، فى فلسطين ، ولا الحقوق ولا المركز السـياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلاد غيرها » •

ولا بد لنا من وقفـة هنا ، لا لنحلل هـذا الوعد ، ولا للتثبت بطلانه ، فهـذا موضوع ، قتل بحثا وقد تناوله كاتب هـذا المقال ، مع مع مئات غيره من الكتاب فى الشرق والغرب ، وكان جزءا من كتابى « فى الشرق العربى » ، وفصلا فى كتـاب « مع الانسـان فى الحرب والسلام » ولـكن مما يتسق مع هدف هـذا المقال أن نقف وقفة ، بغاية أخرى •

فكثيرون فى بلادنا، يعدون من قبيل المغالاة والتطوح مع العـاطفة ، القول بأن الرأسمالية الاستعمارية اليهودية ، هى التى صنعت فكرة العودة الى فلسطين ، وفرضت وجودها هنا ، ويقولون فى اثبات هذه المغالاة ، ان الثابت أن اليهود لم يكفوا عن التعلق بحـلم العودة الى فلسـطين ، ففـكرة العودة كانت موجودة فى رؤوس اليهود من قبـل ، وأن الرأسـمالية الاسـتعمارية ، لم تخلقهـا من العـدم ، وأن بريطانيا وأمريكا وفرنسا ، لم تفعل أكثر من بذل العون السياسى والعسكرى والاقتصادى

لليهود ، كسبا لرضاهم من جهة ، وضربا للعرب من جهة أخرى .

ولكن هذا ليس صحيحا ، وان بدا أن الفارق بين وجهتي النظر ضئيل . نعم قد لا يجد بعض الناس فرقا بين أن تخلق الرأسمالية اليهودية فكرة العودة الى فلسطين في العصر الحديث وبين أن تمنحها العون والمساعدة والتأييد ، بصوره المختلفة .

والفرق على دقته مهم جدا في رسم سياسة العرب . فمن وجهة النظر الأولى ، لا تكون اسرائيل شيئا ، والاستعمار البريطاني الأمريكي الغربي ، شيئا آخر ، بل يكونان شيئا واحدا . وتكون القوى المتصرفة في أقدار اسرائيل ، هي المتصرفة في أقدار الاستعمارية الغربية كلها . وتكون اسرائيل هي القلب والعقل ، وليس قاعدة ورأس جسر ورأس حربة . ولا يغض من هذا الوجه من النظر ، أن يكون هناك يهود قد تمنوا أن يعودوا الى فلسطين باعتبارها الأرض التي منحها الرب لابراهام وأولاده ، فان للسياسة اسلوبا درجت عليه منذ عرف الناس السياسة . وهو أسلوب التقاط الافكار القومية، والمبادىء الانسانية ، واتخاذها مطايا لأدنا الأغراض وأحطها .

ولسنا في حاجة الى أن نذهب بعيدا ، فقد كان المبرر الذي تقدم به « ايدن » و « موليه » الى العالم لغزو مصر في سنة ١٩٥٦ ، هو حماية قناة السويس ، وبالتالي الملاحة العالمية ، والتجارة الدولية ، من نزوات مصر الوطنية ، وجموحها القومي . ولقد دافعت بريطانيا عن تركيا ، بدعوى حماية أملاك السلطان ، حينما كانت هذه الحماية وسيلة لصد أطماع روسيا، وتبنت ثورات البلقان ضد تركيا نفسها، عندما كانت هذه الثورات في صالح مطامع بريطانيا في هذا الجانب من أوربا . ولما تدخلت بريطانيا عسكريا ضد مصر سنة ١٨٨٢ ، كانت دعواها أنها جاءت لتحمي الخديو وحقوقه ، مع أنها هي التي عزلت والد هذا الخديو نفسه قبل تدخلها العسكري بنحو سنتين .

لقد قوض الرومان دولة اسرائيل سنة ٧٠ قبل الميلاد ، وانقضى على انهيار هذه الدولة ، الفان من السنين ، دون أن يفكر اليهود في العودة اليها، ولا في زيادة الهجرة الى ربوعها، فما الذي حدث حتى تدب الحياة الى هذا المشروع البالي ، الذي طواه الزمن ، وعفت عليه الأيام .

وكيف يبعث في الوقت الذي ظفر فيه اليهود بالمساواة في أوربا الغربية ، وفي الولايات المتحدة ، فانقطع خطر الارهاب المسيحي الذي كان يثور بين الحين والحين ، وارتفع مقام الجاليات اليهودية اقتصاديا وسياسيا ، وشغلوا أكبر المناصب في الدول، وتصدروا الأحزاب ، دع عنك تسلطهم المالي والاقتصادي ، على أقدار الدول ، وعلى التجارة العالمية، وعلى أسواق المال. فمشروع اسرائيل، من الألف الى الياء ، جهد سياسي ، وغاية استعمارية بحتة . وقد أحسنت الاستعمارية العالمية توقيت اعلانه .

اذ لو تأخر هذا الاعلان عشر سنوات فقط، لما استطاع أن يرى النور .

ففي سنة ١٩١٧، كان العرب قد ارتموا في أحضان بريطانيا ، التي بذلت وعودها الكاذبة لهم ، وعود الاستقلال البراقة ، ولم تكن لهم قيادة معترف بها، فانفسحت الفرصة للشريف حسين ولولده فيصل أن يستأثر بهذه الزعامة. ولما وضعت الحرب اوزارها ، لم يكن قد توافر للعرب شيء من مقومات وجودهم القومي أو السياسي . أحزاب متفرقة ، وبلاد أفقرها الاستعمار العثماني ، ورادت من فقرها سنو الحرب . واكبر مجموعة عربية ، في مصر ، لا تتذوق الفكرة العربية ، ولا تطمئن اليها اذ تراها مشوبة بالاطماع البريطانية ، وترى الداعين اليها ، عملاء لبريطانيا ، استخدمتهم لطعن تركيا ، التي كانت تحارب الانجليز ، الذين كانوا يحتلون مصر، ويسومونها الخسف. أما عرب المغرب ، فلا صلة لهم بالمشرق ، يكابدون أهوال الاستعمار الفرنسي وحدهم ولكن السنوات التي تلت نهاية الحرب ، رفعت الغشاوات من فوق العيون ، غشاوة بعد غشاوة ، حتى أمكن العرب ، أن يروا بعضهم بعضا ، بعد طول التفرق والجفوة . لهذا كله لم تدخر بريطانيا وسعا في مسابقة الزمن ، فقد كان كل وقت يمر قبل أن يتخذوا وعد

بلفورصفة سياسية دولية، هو كسب للقومية العربية ، التى قد تدهم الاستعمار قبل أن يتم بناء اسرائيل ، ويوقفها على قدميها ، حتى يثير أسباغ حماية القانون الدولى عليها، فلا تتعرض لما تتعرض له المخالفات الدولية من الغاء ، ولما تتعرض له القواعد العسكرية من ازالة .

ومما يقطع بأن نية بريطانيا كانت قد انصرفت الى تهيئة أسباب قيام الوطن القومى اليهودى (اسرائيل) فى فلسطين ، أن معاهدة (سايكس - بيكو) أبرمت سنة ١٩١٦ ، ووعد بلفور صدر فى سنة ١٩١٧ ، أى أن المعاهدة سبقت الوعد ، وقد رافقت المعاهدة خرائط ، لونت فيها سوريا ولبنان باللون الازرق (الفرنسى) ولون فيه العراق باللون الاحمر (البريطانى) بينما لونت فيه فلسطين باللون البنى (الدولى) (١) .

ففلسطين كان قد رتب لها شأن يخالف ، ما كان مقدرا لسوريا والعراق والأردن . ما كادت جيوش الانجليز تدخل الى فلسطين بقيادة اللورد اللنبى ، حتى عملت حكومة الاحتلال البريطانى ثم حكومة الانتداب البريطانى بعد ذلك الى منح الجالية اليهودية فلسطين التى لم يبلغ عدد أفرادها حتى سنة ١٩٢٢ ، أكثر من ٨٤ ألفا ، كل مظاهر الدولة.

وكانت الخطوة الأولى ، بعد أن انتدبت بريطانيا، لادارة فلسطين،فى مؤتمر سان ريمو سنة ١٩٢٠ أن تقدمت لعصبة الأمم فى سنة ١٩٢٢ وطلبت اقرار صك الانتداب، ووضعت على رأس هذا الصك ، تصريح بلفور ، ليكون فى اعتماد عصبة الأمم له ، واقرارها اياها ، ما يرتفع به من مجرد وعد بريطانى ، فى وقت الحرب ، الى زعيم يهودى ، الى مرتبة الوثيقة الدولية .

ولم تقتصر وثيقة الانتداب على مجرد ادماج تصريح بلفور فى مقدمتها ، بل جاء فى المادة الرابعة أن حكومة الانتداب تعترف باحدى الوكالات اليهودية كهيئة عمومية يكون الغرض منها أن تنصح وتعاون الادارة بفلسطين فى كل ما له علاقة بانشاء الوطن القومى لليهود من المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وخولت المادة نفسها لهذه الهيئة أن تشترك وتتعاون مع الادارة فى النهوض بمرافق البلاد جميعا ، بل ان هذه المادة خولت الوكالة اليهودية حق التشاور مع حكومة جلالة الملك فى لندن مباشرة (٢) .

أما المادة السادسة فقد الزمت الادارة البريطانية بتيسير هجرة اليهود وتشجيعهم . لم يكن للعرب مقابل ذلك ، هيئة سياسية تعترف بها وثيقة الانتداب ، تمثلهم ويحق لها أن تتصل بحكومة جلالة الملك ، ولا أن تعاون فى النهوض بمرافق البلاد ، وابداء الرأى فى سياسة الهجرة التى بدأت فى استيحاء بسبعة آلاف مهاجر فى سنة ١٩٢٣ ، ارتفعت قليلا الى ١٢ ألفا فى سنة ١٩٣٤ ، ثم الى ٣٣ ألفا فى سنة ١٩٣٥ ، لتصل بعد ذلك الى خمسين ألفا ، ومائة الف بعد ذلك .

ولو لم يكن النضج السياسى فى البلاد العربية فى السنين الأولى التالية لتوقف حرب سنة ١٩١٤ ، فى مراحله الأولى ، لاتضح لكل ذى عينين فى تلك البلاد ، أن صك الانتداب وحده نذير بأن دولة اسرائيل ستخلق فى فلسطين ، وأن الجهود التى يجب أن تبذل للحيلولة دون ذلك يجب أن تبدأ فى الحال وبلا امهال .

ولكن الاستعمارية العالمية كما قلنا أحسنت اختيار الوقت لانشاء اسرائيل ، فقد ألهمتها غريزتها، التى تشبه غريزة الوحش الذى يشم رائحة الفريسة ، من بعد أميال وفراسخ ، أنها ان لم تبدأ فى نشب أظفارها فورا، فان الفرصة ستفلت . ولكن البكاء على الماضى لا نفع منه ، وليس هو الغاية من هذا المقال ، وانما الغاية هو استخلاص عناصر المشكلة كلها لمواجهة المستقبل باحتمالاته ، ولتبين الحاضر بحقائقه،

(١) قضية فلسطين - محمد رفعت - ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق .

راح الموقف العربى يتدهور فى فلسطين من سيىء الى أسوأ، فالهجرة اليهودية تزيد وتتسع، بعد أن كانت نسبة اليهود فى فلسطين فى سنة ١٩٢٢ الى سكانها جميعا ١٣ ٪ أى أقل من الخمس بكثير بل أقل من السدس ، وصلوا الى الثلث تقريبا فى سنة ١٩٤٤ ، واستمرت زيادتهم بلاتوقف، حتى تجاوز تعدادهم نصف المليون عندصدور قرارالتقسيم فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ •

ولعل أكبر أسباب تدهور الموقف العربى فى فلسطين تدهور أسلوب العمل الوطنى فى البلاد العربية كافة ، فقد اسلمت الحركة الوطنية أنفاسها فى كل العالم العربى ، وأصبحت لونا مملا من مغازلة الدول الاستعمارية ، وخطب ودها ، فى شكل مفاوضات ، وقطع المفاوضات ، والتفكير فى استئنافها ، والعدول عن التفكير ، والوصول الى مشروعات معاهدات بأسماء مختلفة ورفضها •

ولو أن الوطن العربى وصل الى مستوى المقاومة الحقيقية المستمرة لبريطانيا وفرنسا ، والتصدى لهما ، لأفادت قضية فلسطين ، من ذلك الكثير ، داخل اطار المقاومة الوطنية العربية العام •

وكان تتويج هذا التدهور ، دخول الدول العربية الحرب فى سنة ١٩٤٨ وهى دول خاضعة لبريطانيا ولنفوذ الولايات المتحدة ، وكل منها يضمر للآخر الحقد ، ويطوى صدره على الشك والارتياب ، وكل جيوشها يعوزها السلاح والتدريب والقيادة •

وكان باب المبادرة فى الحلبة الدولية مقفلا فى وجه الدبلوماسية العربية فقد كانت لاتدخل المعسكر الشرقى وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى فى حسابها ، فكان ما نعرفه من تفاصيل ، تقسيم فلسطين فى سنة ١٩٤٧ ، ثم قيام اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ •

على أن التدهور الذى أصاب العمل العربى داخل فلسطين نفسها ، أصاب القضية الفلسطينية فى المجال الدولى ، وعلى وجه الخصوص أمام الأمم المتحدة •

لقد كان موقف الدول العربية فى سنة ١٩٤٧ واضحا ومنطقيا ومفهوما الى أبعد حد • وكان أساس هذا الموقف ، أن الجمعية العامة للامم المتحدة ، التى أحال اليها مجلس الأمن النزاع العربى الاسرائيلى ، لا تملك بمقتضى المادتين العاشرة والحادية عشرة من الميثاق ، ولا بمقتضى المادة الرابعة عشرة منه، أن تفرض تقسيما على أهل بلد من البلاد •

فالمادة العاشرة تنص على أن للجمعية العامة أن تناقش أية مسألة أو أمر يدخل فى نطاق ميثاق الأمم المتحدة ، كما أن لها أن توصى أعضاء الهيئة أو مجلس الأمن أو كليهما بما تراه فى تلك المسائل والأمور •

والمادة العاشرة تنص على أن للجمعية العامة حق مناقشة أية مسألة تكون لها صلة بحفظ السلم والأمن الدولى ولها أن تقدم توصياتها بصدد هذه المسائل للدولة أو الدول صاحبة الشأن أو لمجلس الأمن أو لكليهما • أما المادة الرابعة عشرة فتنص على أن للجمعية العامة أن توصى باتخاذ التدابير لتسوية أى موقف أيا كان منشؤه تسوية سلمية متى رأت أن هذا الموقف قد يضر بالرفاهية العامة أو يعكر صفو العلاقات الودية •

وبداهة ليس فى هذه النصوص مطلقا ، مايمكن أن يكون أساسا للاجراء الجراحى الذى قامت به الجمعية العمومية للامم المتحدة، والذى شطرت به الجسم الواحد شطرين وتركت ما أسفر عن هذا التدخل الجراحى الغاشم من نزيف دون أن تبالى •

ولقد كانت صرخة مندوب كوبا فى الجمعية العمومية ، عندما كانت بصدد التصويت على قرار التقسيم الذى صدر فعلا فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ أحسن تلخيص للموقف العربى من هذا القرار ، فقد قال مندوب كوبا :

« ان اصدار توصية بمقتضى المادتين العاشرة والحادية عشرة أمر مختلف كل الاختلاف عن تقرير خطة تؤثر فى سلامة أراضى شعب ومركزه القانونى والسياسى • ان هذه ليست توصية ، اذ التوصية يجوز رفضها أما الخطة المعروضة فذات طابع الزامى واضح، أو يقضى

أحد نصوصها بأن تعتبر أية محاولة لتغييرها تهديدا للسلم أو عملا عدوانيا تطبيقا للمادة التاسعة والثلاثين من الميثاق » .

ومعنى ذلك أن القرار الصادر بانشاء اسرائيل في نظر العرب هو قرار باطل ، فالأمم المتحدة تحل المشكلات الدولية ، بطرق سلمية أن استطاعت ، وتصدر قراراتها على أساس من ميثاقها الذي يلزمها بأن تتحرى مبدأ تقرير المصير وتلتزمه . ولكنها لا تملك أن تنشيء دولة في أرض اقليم يعيش على هذا الاقليم ، وعلى الرغم من ارادته ، فان اعترض عليه هددته باستعمال القوة ، فان استعمل القوة هذه، غير الأمم المتحدة لتنفيذ هذهالتوصية الباطلة أغمضت العين، بل باركتهذا العمل، فأسبغت عليه الشرعية وساندته ، وأقامت على اساسه حقوقا ، واعتبرت هذه الحقوق في كفالة الامم المتحدة ، والضمير العالمي .

ولم يبق الموقف في الأمم المتحدة على بساطته حينما صدر قرار التقسيم ، اذ أن الهدنة أبرمت بين اسرائيل والدول العربية في رودس بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٩ ، ولكن إسرائيل لم تلتزم بها ، واستولت على النقب، واستولت فيما استولت على موقع ام الرشراش الذي أقامت عليه ميناء ايلات .

فانظر كيف كان موقف العرب ضعيفا ومجانبا لموقفهم السليم الذي بدأوا به كفاحهم في الامم المتحدة .

لم تعد الدول العربية تتحدث في قليل أو كثير عن بطلان قرار التقسيم ، وبالتالي لم تتحدث عن بطلان قيام دولة اسرائيل ، وعدم جواز تمتعها بالعضوية ، وبالتالي لحقوق الاعضاء في الامم المتحدة ، واعضاء المجتمع الدولي كافة .

وقد يرى بعض الفقهاء والساسة في الدول العربية ، وفي غيرها ، ان محالة التحدث عن هذا البطلان وطلب صدور قرار به مستحيل عمليا ، لان الدول قد اصبحت تعد وجود اسرائيل أمرا واقعا وأن المناقشة فيه سفسطة حقيرة لا تستأهل الاستماع اليها ، وقد تصرفعنا العطف ، لانها تدخلنا فيحساب المهرجين . بل ان بعض هؤلاء يقولون ان الذين يضيقون بهذا الطلب ذرعا يفضلون عليه ان تمحوا الدول العربية اسرائيل عسكريا ، قد يقفون مع الدول العربية آنذاك ، باعتبار أن الفوز العسكري ، من حقائق الحياة الدولية التي قد تستنكرها الافواه ، ولكن تمحل على اساسها العقول .

أما الدفوع الشكلية ــ والبحوث القانونية ومناطحة الواقع ، بنظريات الكتب زبحوث الفقهاء ، فأمر تاباه طبيعة الحياة الدولية ،لان الحياة الدولية ، سياسة ، والسياسة حقائق ووقائع .

وهذا الاعتراض غاية في السخف لان الدول العربية تتصرف على اساس عدم اعترافها باسرائيل ، وعلى انها قامت على العدوان ، وانها قاعدة استعمار ورأس رمحة ، فالواجب أن يتكامل موقفها ، وأن تصوغه دوليا ، الصياغة التي تتناسب معه وتزيده وضوحا .

ولا أحسب أن أحدا يجادل في أن قرارات الامم المتحدة هي قرارات سياسية وان الجانب القانوني فيها ، ليس سوى المظهر الذي تصب فيه هذه القرارات السياسية ، ولهذا كان فشل الدول العربية في سنة ١٩٤٧ فشلا سياسيا مرده اولا سيادة الولايات المتحدة على اعضاء هذه المنظمة ، اذ لم يكن في هؤلاء الاعضاء من يخرج على نفوذ الولايات المتحدة سوى المعسكر الشرقي الذي لم يزد اعضاؤه عن ثمانية من ٥٠ عضوا كانوا يشكلون المنظمة عند ميلادها ثانيا كانت الجفوة أو تراخي الصلة بين العرب والاتحاد السوفيتي وسائر اعضاء المعسكر الشرقي عاملا مساعدا على هزيمة الدول العربية .

وعلى ضوء هذين الاعتبارين ، يمكننا :

أولا : أن نذكر أن بناءالامم المتحدة قدتعدل فقد تدفقت الدول الآسيوية والافريقية اليها ، لغلب اللون الأسود والأصفر والأسمر على اللون الابيض .

ثانيا : تغير بناء الحياة الدولية فمنذ مؤتمر باندونج في ابريل سنة ١٩٥٤ ،



(رمسيس الثانى يؤدب الاعداء)

نشأت منظمات كبيرة ، كمنظمـــة الدول الافريقية الآسيوية ، والمنظمة الافريقية ، كما توالت دول عدم الانحياز • فضلا عن التطور العظيم الذى نشأ فى نطاق الحياة العربية ذاتها مما كشفت عنه أزمة سنة ١٩٦٧ ، فالرأى العام العربى ، ونفـوذه وسرعة التحكم فى موارد العرب ، وتوجيهها الى المعركة ، وخوف المعسكر الغربى ، من آثار صراعه مع العرب ، كل هذه حقائق جديدة ، وذات وزن كبير فى تقدير ما يجب أن يتخذه العرب من أساليب لنضالهم الدبلوماسى والسياسى والعسكرى •

ولننظر الى ما جنينـاه من هـذا الموقف ، فى الحلبة الدولية ، ان هذا لم يكسبنا عطفا ، ولم نبد لاحد فى ثوب العقلاء الذين يسلمون بالامر الواقـع ويسيرون فى هـداه ، بل ان اسرائيل فى ظل هذا الموقف تزداد ضراوة ، ويزداد موقف الاستعمارية اليهودية العالمية ، افتياتا واجتراء •

لننظر من ناحيـة أخـرى الى الفوائد التى نجنيها من اتخاذ الموقف الذى يلتزم الاساس الذى أقمنا عليه دفاعنا قبل صدور قـرار التقسيم •

أولا : ان هـذا الاسـاس متفق مع حقيقة الوضع الذى خلقتـه الصهيونية فى فلسـطين فلا حق لليهود فى فلسطين من قريب أو بعيد فلا تصريح بلفور ، ولا الهجرة التى تمت فى ظل الانتداب البريطـانى ولا شراء الاراضى من الفلاحين الفلسطينيين ، ولا المعونة التى كانت تتدفق على الوكالة اليهودية من الرأسماليـة اليهودية ، تمنحهم حقا فى المطالبة بالسيادة على أقليم فلسطين ، ولا يمكن ان تحـولهم الى دولة أو مشروع دولة •

وهذا ما يقضى به القانون الدولى وميثاق الامم المتحدة والعرف الذى لا خلاف عليه ٠

ثانيا : ان ابراز قضية فلسطين فى هذه الصورة يبقى جوهرها طارقا للاذهان قارعا للآذان فى كل مناسبة ، فلا تنسى أصول القضية ، ولا تدع فرصة لفرعياتها للتغلب عليها واخفائها ٠ فيحسب بعض الاعضاء الجدد ، اما بحسن نية ، أو تأثرا بالدعاية الاستعمارية ومؤثراتها المفسدة ، ان مشكلة فلسطين لا تعدو أن تكون مشكلة لاجئين تركوا ديارهم فى حرب هزم فيها العرب ٠ وهى مشكلة تافهة لا تستدعى تعكير السلام الدولى ، اذ لا توجد الآن بقعة فى العالم لا تخلو من مشكلة لاجئين وسيتيح هذا الاسلوب فى تناول القضية لمندوبى الدول العربية أن يبينوا فى كل مناسبة التناقض البين بين ميثاق الامم المتحدة الذى يقوم على استنكار القوة ، كوسيلة لحل المشكلات ، وعلى احترام مبدأ تقرير المصير للشعوب ٠



(النصر لنا ـ للفنان مامون)



ثالثا : سيمنع أيضا تراكم المضاعفات التى تنشأ من اصرار اسرائيل على تحدى ميثاق الامم المتحدة وقراراتها ، والذى تحاول ان تستخرج منه حقا جديدا لها ، فيبدو وكأنه فعلا حق جديد متفرع عن حق اصيل ٠

خذ مثلا ما نشأ من مخالفة اسرائيل لقرار الهدنة ، بالاستيلاء على منطقة النقب وموقع ام الرشراش حولته الى ميناء (ايلات) ٠ فعلى الرغم من ان هذا غصب صارخ ، وتحد للامم المتحدة ملء بالاستهانة والاحتقار ، فقد نجحت فى تصوير ادعائها فى ثوب قانونى ، واستدرجتنا فعلا الى مناقشة هذا الادعاء فى هذا الثوب الزائف ٠

فايلات ليس ميناء اسرائيليا ، وانما هو موقع مغتصب ٠ والاصل ان ترفع عنه يد اسرائيل اولا ، لا أن تطلب اضفاء حماية دولية عليه ، لا باعتبار ان خليج العقبة هو خليج وطنى ، وأن لاحق لسفن الدول الاخرى أن تمر فيه ٠ اذ لامحل للحديث عن طبيعة خليج العقبة ، ولا عن طبيعة مضيق تيران لان فى هذا الحديث تسليما ضمنيا ، بان وجود اسرائيل فى النقب وفى ايلات ، هو وجود مشروع ٠

فقضيتنا انحدرت من الاعتراض على وجود اسرائيل ذاته ، الى الاعتراض على وجود ميناء ايلات ، الى التسليم به ، والاحتجاج فقط ـ بانعدام حق اسرائيل فى المرور فى خليج العقبة لانه خليج وطنى ٠

ان اسرائيل فى ظل الحماية التى تمنحها اياها الرأسمالية الاستعمارية العالمية ، تتبدى لعدد من الدول الافريقية ، أنها دولة ناشئة تبنى نفسها بنفسها ، وتحاول ان تحرر وجودها من ارهاب عربى ضار ، ومقاطعة عربية قاسية ٠ ولذلك لا بد من تبدد هذه الصورة، برد النزاع الى أصله ، فى كل مرحلة

ولن نخسر من ذلك شيئا ، بل الراجح اننا سنكسب الكثير • حسبنا ان نبدد هذا الستار الكثيف من الدخان الذى أطلقته اسرائيل سنوات طويلة على اصل المشكلة ، والذى يمكنها من أن تطلع كل يوم باكذوبة جديدة • ولا أدل على ضخامة أكاذيبها ، وعلى سرعة انطلاء هذه الاكاذيب على الرأى العالمى ، ما ارجفت به من أن اقتصادها سيختنق بسبب قفل الملاحة فى خليج العقبة ، مع أن الاحصائيات المذاعة تثبت ان اسرائيل لا تستورد عن طريق هذا الميناء الا ٨ ٪ من صادراتها ، ولا تصدر الا ١٢ ٪ ولم نسمع عن دولة تختنق اذا امتنعت عنها ٨ ٪ من وارداتها ، أو تعذر عليها تصدير ١٢٪ من صادراتها ، واذ كان هذا المقدار ضئيلا الى هذا الحد ، بالنسبة الى حجم تجارة اسرائيل ، فكم يكون ضئيلا الى حجم تجارة العالم ، وكم يبدو التهديد بعمل موحد ضد الجمهورية العربية من جانب بريطانيا والولايات المتحدة ، عملا استفزازيا خاليا من كل ما يبرره ، لمجرد توفير هذه النسبة من تجارة دولة مطعون قانونا فى وجودها ، عن طريق ميناء مغتصب على أننا لا نستطيع أن نتعقب كل ما يجب ان يطرأ على اسلوب العمل العربى ، ولكن رب ضارة نافعة ، فان ما اسفرت عنه معركة سنة ١٩٦٧ ، سيفتح بلا جدال موضوع هذه الحرب بجوانبها على المصاريع ، وسيعاد النظر فى الاساليب والاجهزة والصور والصيغ والأدوات •

ونحمد الله أن الصدمة على فداحتها لم تخفت عناصر تدعو الى الأمل ، وتثبت الاقدام على طريق الجهاد ، وتؤكد أن الشعب العربى فى مصر وفى العالم العربى كله ، لم يذهل ، ولم يتسوله الخوف ، بل زاد رغبة فى القتال وتصميما عليه ، وايمانا به •

كشفت الصدمة عن وحدة حقيقية فى وجه المحنة ، وتماسك اصيل بين عناصر واجزاء الامة •

كشفت الصدمة عن ارتفاع قدر العرب السياسى ، وعلو مكانتهم عند الاعداء مثل الاصدقاء ، فقد تنافس الجميع على اثبات صداقتهم وتزكيتها او ادعائها وانتحالها •

وكشفت الصدمة عن أن مواردنا فى خدمة وجودنا وكفاحنا ، بعد ان كانت غريبة عنا ، وبعيدة عن متناولنا ، وهذا سلاح نشهره لاول مرة ، ولابد أننا سنحسن استعماله ، والضرب به •

وليس هذا بالقليل ، فان بعضه يخلق أمة عظيمة ويهيىء اسباب النصر فى كفاح جليل رائع •

« إنه لقولٌ فصلٌ وما هو بالهَزْل إنهم يكيدونَ كيداً وأكيدُ كيْداً فَمَهِّل الكافرين أمْهِلهُم رُوَيْدًا » .

(صدق الله العظيم)

سيظل ينهش فى عروقي ثارها !!

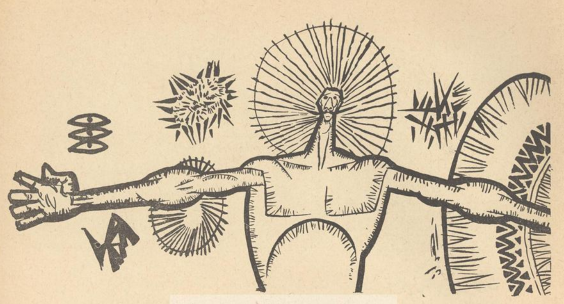
للشاعر : محمود حسن اسماعيل

سَيَظلُّ ينهَشُ فى عُروقِيَ ثارُها ... حَتَّى تكبِّرَ للصباح ديارُها
حَتَّى يعودَ الليلُ فوق ترابها ... اشلاء ليلٍ ، شبَّ فيه نهارُها
حتَّى تذوبَ مع الظلام خيامُها ... وتعودَ تكتسح الدجى أسوارُها
حتَّى يُداهِمَها الضحى بيمينهِ ... وبها يُفَكُّ من القيود إسارُها
حتَّى يُراق دمى على جَنَباتها ... وبه من التَّاريخ يُغْسَلُ عارُها
حتَّى يهلِّلَ فرحةً شهداؤُها ... للنور ، يَحْمِلُ فجرَه أحرارُها
حتَّى يَبيد الغاصبون بأرضها ... وتبيدَ فوق رُفاتهم أوْزارُها
حتَّى تزمجرَ بالفيالقِ حومةٌ ... عربيَّةٌ لايستريح أُوارُها
حتَّى تعُودَ إلى الديار ، سليبةٌ ... لكتائب الثوَّار تظمأُ نارُها
ويكبرَّ الجيلُ الحزينُ لموكبٍ ... تهفو إليه سهولها وقفارُها
ويد العروبة فى السَّماء كأنها ... بُشْرَى من الرحمن عاد مَزارُها
فيها مع الأقدار صَيْحَةُ أمَّةٍ ... غضِبتْ ! وأضْرَمَ ثارَها ثُوَّارُها !
فيها مصيرُ عصابةٍ ، يَفْنَى المَدَى ... والتِّيهُ كان ومايزالُ شعارُها !
فيها فَناء الغاصبين ، وإنَّه ... لنهايةٌ للظُّلم حان قرارها
فيها فلسطينُ الجريحةُ أجهَشَتْ ... بقضيةٍ فى البغى طال حوارُها
فيها ليوم الزحف غضبة ماردٍ ... يُبْلِي الطغاة المعتدين شرارُها

***

قُلْ يا جَمالُ ! ! ونحن شلَّال اللَّظى ... نحن المنايا جُدِّدَتْ أعمارُها
الوحدةُ الكبرى طريقُ نضالنا ... للنصر ، مهما كابدتْ أخطارُها
سنسير ! تقتحمُ العواصف والدجَى ... مهما تكاثَفُ حولَنا أستارُها


فلسطين



سنسير ! نخترق الحتوفَ ، ونبرى   حتّى كهوفِ الـكيد نحن دمارُها

وغداً لإسرائيل عَضْبَةُ زاحفٍ —   للثأر يفْهَقُ بالجحيم سُعارُها ! !

غَصَبَتْ ترابَ الأنبياء برِجْسِها   وهى التى أعياهُمُ أشْرارُها

مازال فى خَشَبِ الصّليب وقُدْسِهِ   عارُ الجريمة دقّهُ مِسمارُها

أرضُ السرَى والقُدْسِ !! كيف يدُوسُها   رجسٌ ! ويَصْرُخُ فى ثراه منارُها !

أرضُ النبوّات التى لولا الضحى   من كفِّها ، طَمَسَ العقولَ غبارُها !

كانت مصابيحَ الوجود ! ! وظلْمَةٌ   فى الغرْب يصخب كالخضَمِّ مدارُها

كانتْ نهارا عالِماً . . من حوله   أكفانُ جهْلٍ ، ما يُزاح سِتارُها

غدَتِ الحياةَ ، ونوَّرت أرجاءها   وعلى الوجود تفتَّحتْ أبصارها . .

* * *

دار الزمانُ بغدْرِهِ ! وببَطْشهِ !   وطغى الدُّجى ! وتألّبَ استعمارها !

فأتى الصباحُ . . وتلك آية فجره   للعُرْبِ يسطع فى الظلام نهارُها

بقيامةٍ تئدُ الدُّجى عربية   من وحدةِ الأحرارِ شَبّ مسارُها

يحْدُو مقالِدَها ، وتحْدُو خطوَهُ   عَيْنُ السّما ، وتُعينه أقدارُها ! !

دور أمريكا في خلق إسرائيل

دكتور محمد عوض محمد

هنالك قوم لهم عناية خاصة بتربية البقر، الاتجار فى العجول . وتتطلب هذه الحرفة وعين من النشاط : الاول انتاج هذه العجول بكميات وافرة . وهذا الضرب من النشاط يعنى به الرعاة ، الذين يملكون القطعان . . ثم لا يلبث هؤلاء الرعاة أن يبيعوا تلك العجول الى طبقة اخرى من الناس ، وهم العلافون ، الذين يتسلمون العجول الصغيرة ، ويتولون تغذيتها وتنميتها .

ونستطيع ان نتصور أن اسرائيل مثلها كمثل واحد من تلك العجول ، ولدها ورباها الانجليز ، ثم علفها وكبرها الأمريكان . . . وقد يبدو للبعض ان يعترض بأن الرعاة الذين ينتجون العجول ، والعلافين الذين يتولون تكبيرها وتضخيمها ، هم عادة من بلد واحد . والرد على هذا الاعتراض أننا هنا بصدد عمل خطير ، وكان من الشراهة بحيث لم يستطع الذين ولدوه أن يتولوا تكبيره وتضخيمه بمواردهم ، ولذلك اضطروا لأن يتخلصوا منه بتسليمه للعلافين .

ولا شك ان هذا العمل الدميم قد مر فى حياته بمراحل عديدة ، منذ مولده وتنشئته ونموه ، حتى كبر وتضخم ، وغلظت جثته حتى بات ثورا كبيراً . وتضخم رأسه وقرناه، حتى تملكته شهوة النطح والعدوان . . هذه المراحل التى استغرقت زهاء نصف قرن من الزمان ، قد ألفت فيها المجلدات والأسفار ، وستبذل قصارى جهدنا لكى ترسم للقارىء صورة هذا الكائن الغريب فى حيز هذا المقال .

مولد اسرائيل

ان مولد اسرائيل قد حدث فى مثل هذا الوقت ، منذ خمسين عاما ، حينما أصدرت حكومة الانجليز ذلك الشيء الذى يسمى « اعلان بلفور » ، تقول فيه ان الحكومة البريطانية تنظر بعين الرضى الى انشاء « وطن قومى » للشعب اليهودى فى أرض فلسطين . وستبذل كل مساعيها الحميدة فى تحقيق هذا الأمر ، على ألا يكون هناك مساس بحقوق العناصر الأخرى ــ غير اليهودية ــ فى فلسطين، أو بحقوق اليهود فى الأقطار الأخرى التى يعيشون فيها .

فى هذا الاعلان لم تتحدث انجلتره عن انشاء « دولة » لليهود فى فلسطين ، بل اكتفت بما سمته « وطنا قوميا » ، تاركة هذه التسمية



غامضة ، لكى يؤولها من شاء كيفما شاء . وابى لها اللؤم والنفاق الا ان تتحدث عن العناصر الأخرى غير اليهودية ، وعن حقوقهم المدنية والدينية ، مع انها لم يكن همها الا ارضاء اليهود ، وليس معقولا ان ينشأ . وطن قومى لقوم غرباء دون أن يمس وجوده الحقوق المدنية للسكان الذين يعيشون فى البلاد .

ولكن لماذا سولت لانجلتره نفسها أن تلد هذا المولود المشئوم ، فى الوقت الذى كانت فيه امعانا فى اللؤم والدناءة ـ تفاوض العرب على أن ينالوا كامل حريتهم فى أوطانهم نظير ثورتهم على الحكم العثمانى ؟

لا يتسع المقام لأن نتحدث بالتفصيل عن الدوافع البريطانية ، التى كانت وراء ذلك الاعلان ، وقد قيل فيها الشىء الكثير وحسبنا هنا أن نأتى بمثال أو اثنين :

قال المستر تمبرلى المؤرخ الانجليزى المعروف فى كتابه عن تاريخ مؤتمرات الصلح التى عقدت بعد الحرب العالمية الأولى :

« كانت لدى بريطانيا **أسباب خاصة**، دعتها الى السياسة التى اتبعتها فى فلسطين وهذه الأسباب قد تتبينها فى المزايا **البديهية** لتغطية قناة السويس من الناحية الشرقية فى اقليم يسكنه عنصر من الناس (يعنى اليهود) يرى مصلحته فى تأييد بريطانيا ومؤزرتها ، هذا الى جانب ما تناله من تأييد اليهود فى جميع انحاء العالم . هذه هى **النظرة البعيدة** ، التى اقتضتها المصالح البريطانية الاستعمارية » .

ومؤرخ آخر وعضو فى البرلمان البريطانى يدعى السير مارتن كنواى ، يقول فى كتاب له عن فلسطين ومراكش :

« ان الخطر الحقيقى على قناة السويس لا يجىء من الغرب بل من الشرق ، فمن ناحية فلسطين يجىء الخطر الجدى دائما . ومن وراء فلسطين سوريا ومن وراء سوريا الأتراك ، ومن وراء الأتراك أية دولة ، قد تكون معادية لبريطانيا : ألمانيا فى الماضى ، روسيا فى فى المستقبل ، من يدرى ؟ . لهذا كان قبض بريطانيا على فلسطين مصلحة امبراطورية من الطراز الأول » .

وقد قيل غير هذا . ولكن كثيرا من الكتاب فى ذلك الوقت يؤكدون أن الانجليز لم يدر بخلدهم أن يزداد عدد اليهود حتى يدنو من عدد العرب . بل أرادوا أن يكون هناك مجموعتان ، بينهما عداوة وبغضاء ، حتى يستطيع الانجليز أن يفرقوا بينهما فيما يشجر ، ولا بد أن يشجر بينهما من خلافات ، طبقا لمبدأ فرق تسد . وبذلك يضمنون البقاء فى فلسطين على مدى الأجيال .. ومع ذلك شجعوا هجرة اليهود ، حتى زاد عددهم من

١٥ر٠٠٠ الى أكثر من نصف مليـــون قبيل الحرب العالمية الثانية .

بدء اهتمام أمريكا

قال غير واحد من الكتاب أن اهتمام أمريكا بمسألة فلسطين يرجع الى ماقبل وعد بلفور. بل هناك من يقول ان وعد بلفور نفسه كان ثمنا لمساعدات واعانات قدمهـــا يهود أمريكا للحكومة البريطانية .

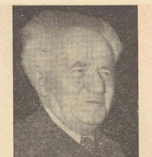
وليس هذا الأمـر بمستبعد ، ولكن بقطع النظر عما فعله يهود أمريكا فى الخفاء ، فان أول أمر اهتموا به انهـــم جعلوا الكونجرس الأمريكى يوافق على انشــــاء « وطن قومى » لليهود ، على الرغم من أنه لم يوافق على بند آخر من بنود معاهدة فرســـاى . ولم يكتف يهـــود أمريكا بأن وافق الكونجرس – أى الحكومة الفدرالية فى واشـــنطن – على هذا الأمر بل حمـــلوا كثيرا من برلمانات الولايات الأخرى ، أن تتخذ أيضا مثل هذا القرار . ولم يقصروا بعد ذلك فى نشر الدعـــاية بأن الوطن القومى هو نواة الدولة اليهودية فى فلسطين . ثم أخذوا يضعـــون البرامج ، ويرسمون القواعد فيما بين الحربين من أجل تنفيذ الخطة .

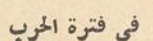
ويشرح ألفرد ليلينتال فى كتابه « بأى ثمن يا اسرائيل » . الظروف والأساليب التى جعلت الطائفة اليهودية فى أمريكا شديدة التعصب، قوية المراس الى هذا الحد . فلقـــد كانت هجرة اليهود الى أمريكا أول الأمر لا تعدو الآلاف من الأنفس ، وأكثـــرهم من غـــرب أوربا ، ولم يبلغ عددهم حوالى عام ١٨٨٠ أكثر من مائتى ألف .. وهؤلاء كلهم كانوا لا يعبأون بفلسطين ولا بتأسيس دولة خاصة لليهود . بل كانوا فرحين بأوطانهم الجديدة ، وباندماجهم فى السكان الأمريكيين .

ثم تدفقت الهجرات اليهودية بعد عام ١٨٨٠ حتى بلغت فى بضع سنوات مليونين ونصف مليون ، وهم جميعا من أواسط وشرق أوربا ، من بلاد كان فيها اليهود يعيشون فى داخل معازل Ghetto ، وكان فى كل مدينة ذات شأن معزل كهـــذا ، أنشىء برغبة اليهـــود أنفسهم ، وكان هذا الحى اليهودى محاطا عادة بأسوار ، وله أبواب ، تغلق بسلسلة ضـخمة كل مساء . وتفتح كل صـــباح . وفى هذه المعازل كان اليهود يعيشون حياتهم الخاصة ، ويمارســـون طقوسهم الدينية والاجتماعية ، ولا يكادون يختلطون بسائر سكان المدينة ، الا للبيع والشراء ، وممارسة ماتخصصوا فيه من الأعمال والحرفة . ثم يعودون آخر النهار ويحبسون أنفسهم فى « الجتو » . ومثل هذا العيش هو الذى علمهـــم التعصب الأعمى ، وبغض كل غريب عن بيئتهم . فعلمتهم حيـاة المعازل أن اليهودية ليست دينا بقـــدر ماهى قومية ..

فى هذه البيئة ، الشـــديدة التعصب ، الشديدة النفور من كل شعب ومن كل جنس وجدت الدعـــوة الصهيونية تربة خصبة ، فنمت فيهـــا وترعرعت ، أكثـــر مما نمت وترعرعت فى غرب أوربا ، وعلى الرغم من أن دعوة الصهيونية كان أول ظهـــورها فى أواسط أوربا ، على يد رجل صحفى يدعو هرتسل ، فان الدعوة انتشرت بسرعة فى الأوســـاط اليهـــودية الامريكية . وأصبح المعقل الأكبر للصهيونية هو الولايات المتحدة الامريكية ، وبخاصة ولاية نيويورك ومنطقة فيلادلفيا ، وشيكاغو ولوس أنجليس .

وقد كان ليهود أمريكا يد فى اعلان بلفور وفى صـــياغة صـــك الانتداب البريطانى على فلســـطين . فانهم فى فترة مابين الحربين ، ركزوا اهتمامهم فى المساعدة فى تنمية « الوطن القومى » ، وفى تأسيس الجامعة العبرية فى القـــدس ، وغيـــرها من المعـــاهد والمنشئات الثقـــافية ، واقامة المصـــانع وتمويل الهجرة اليهودية ، وتأسيس المستعمرات الصهيونية فى مواقع استراتيجية فى مختلف أنحـــاء البلاد . وتمويل الوكالة اليهـــودية ، التى مقرها القـــدس ، ولها فروع فى مختلف الأقطـــار ، حتى كانت أدنى الى أن تكون حكومة فى داخل حكومة الانتداب البريطانى . وأخـــيرا عمـــد يهـــود أمريكا الى تزويد الصهيونيين بالأسلحة والذخائر ، من أجـــل المعارك التى لابد منها ، فى المستقبل القريب؛ لتحويل الوطن القومى الى دولة يهودية .





بن جوريون



ترومان

فى فترة الحرب

عندما اقتربت الحرب العالمية الثانية ، أحس الانجليز أنهم قد ذهبوا فى مساعدة الصهيونية الى مدى أبعد بكثير مما كانوا يريدون ، وأن مركز الانجليز فى فلسطين مهدد لا بسبب الروح الوطنية العربية بل بسبب الطغيان الصهيونى ، وقد بدأ الصهاينة ، يعاملون الانجليز باحتقار وازدراء . ورأى الانجليز أن لا بد من وضع حد لهذا التطاول ، قبل أن يفلت الزمام من يدهم ، فاصدروا فى سنة ١٩٣٩ « كتابا أبيض » يتضمن سياسة جديدة أهم عناصرها تحديد الهجرة اليهودية ، والحد من شراء اليهود للأراضى فى بعض الجهات من فلسطين ، والعمل على تهيئة البلاد لنوع من النظام البرلمانى . وكان عدد اليهود قد زاد فى هذا الوقت على الستمائة ألف .



أعلن اليهود سخطهم على الكتاب الأبيض ومحتوياته . ورأوا أنه لم يعد هنالك مايرجونه من مساعدة الانجليز . وأنه لابد من تحويل الدفة وتركيز ومضاعفة الجهود فى الولايات المتحدة الأمريكية . ومع ذلك تظاهروا بالعطف على قضية الحلفاء أثناء الحرب ، واقترحوا على دولة الانتداب أن تسمح لهم بأن يؤلفوا جيشا ليشترك فى معارك الحلفاء . وكان على رأس حكومة انجلترا أحد عبيد الصهيونية ، يدعى ونستن تشرشل . فرحب بتاليف وتسليح جيش « هجانا » اليهودى .

ولا يستطيع الا من به بلاهة لا حد لها ؛ أن يتوهم أن جيش « هجانا » قد قام لمعاونة الحلفاء ، انه لم يشترك فى حرب ، ولم يساهم فى معركة من معارك الحرب الكبرى فى أى زمان ومكان ، ولكنه أعد ليكون العدة والذخر لمعركة قيام الدولة الصهيونية .

وحين اقتربت الحرب من نهايتها شمر يهود أمريكا عن ساعد الجد ، وألفوا الهيئات التى تناصرهم ، وتؤيدهم من غير اليهود فى الولايات المتحدة ، سواء فى ذلك أعضاء مجلس الشيوخ والنواب ، حتى أنشأوا هيئة أعضاؤها من رجال الكنيسة المسيحية ، ووصل نفوذهم الى البيت الأبيض ، حتى ان الرئيس روزفلت نفسه اضطر الى مداراتهم .

وقد تفجرت الدعاية الصهيونية مع قرب انتهاء الحرب . واشتدت المطالبة بتحويل فلسطين الى دولة يهودية ـ وأصبح هذا أمرا تجاهر به الصحف المأجورة ، وتكتب المقالات ، وتعقد المؤتمرات . واذا كانت الهجرة اليهودية أوقفت رسميا ، فقد بدأ الصهيونيون يمولون مشاريع للمهاجرة غير الشرعية .

لقاء الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت

بعد مؤتمر يالتا فى عام ١٩٤٤ الذى شهده الرئيس روزفلت ، حدث اللقاء الخطير بين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وبين الرئيس الأمريكى . وكان اللقاء على باخرة فى البحيرات المرة فى قناة السويس . ودار فى أثنائه

حديث طويل بين الزعيمين ، أوضح فيه الملك عبد العزيز بكل قوة ولبـــاقة أن العـــرب هم أصحاب فلسطين الشرعيون ، وأن الصهيونيين دخلاء ، وجودهم مفســـدة للتقاليد العربية ، وللدين ..

وأشار الرئيس روزفلت الى ماعاناه اليهود من الاضطهاد فى بلاد كثـــيرة ، أخصها البلاد الخاضعة للحكم النازى . وأن من واجب جميع الأقطار أن تفتح أبوابها لتؤوى عددا من هؤلاء اللاجئين ، وقد آن الأوان لبعض الدول الأخرى أن تأخذ نصيبها منهم .

ويبدو أن الحديث قد ملأ الرئيس الأمريكى اعجابا بالملك عبد العزيز ، فانه فى أول تقرير كتبه للأمة عن رحلته ، بعد عودته الى أمريكا قال انه فى بضع دقائق من حديثه مع الملك السعودى ، عرف عن قضية فلســـطين أكثر مما عرفه طول حياته ، واحتج بعض الشيوخ والمتهوسين من اليهـــود وأشـياعهم على هذا القـــول . ومع ذلك ثبت الرئيس على رأيه ، وأرسل خطابا فى أوائل عام ١٩٤٥ الى الملك عبد العزيز ، يقول فيه ان أمريكا لن تسمح بأى تغيير فى فلسطين ، دون استشارة الدول العربية .

هذا هو الخطاب المشهور ، الذى زعم ترومان أنه لا وجود له ، وهو يعلم كذب زعمه .. ومن سوء حظ القضـــية العـــربية أن مات روزفلت فى أبريل سنة ١٩٤٥ ، وخلفه طبقا للقـــانون **رجل صـــهيونى متعصب – وكان** يشغل منصب نائب الرئيس – واسمه هارى ترومان .

عهد الرئيس ترومان

كان للرئيس ترومان قبل أن يتولى الرئاسة تجارة وأعمال مالية ، شريكه فيها صهيونى يهودى يدعى جاكوبسن . وقد سبق أن قدم لترومان مساعدات مالية طائلة . فلم يكن من الصعب على هذا أن يعتنق المبادىء الصهيونية المتطرفة .

لم تكد تمضى أشـــهر على نزول الرئيس ترومـــان فى « البيت الأبيض » ، حتى بادر


اديناور


ايرهارد


ويلسون

بارسال كتاب الى الحكومة البريطانية ، يطلب فيه أن تصدر تصاريح لمهاجرة مائة ألف صهيونى الى فلسطين ، وانجلترا فى ذلك الوقت تنتظر من أمريكا قرضا بعد الحرب قيمته أربعة آلاف مليون من الدولارات •

فلم يسع الانجليز ازاء هذا الضغط الشديد ، الا أن يطلبوا تأليف لجنة أمريكية بريطانية ، لتدرس موضوع فلسطين ، وامكانيات البلاد لاستيعاب عدد جديد من المهاجرين • وانتهت هذه اللجنة ، بعد أن عقدت اجتماعات عديدة فى أوربا ومصر وفلسطين ، بأن وافقت على هجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين • ولكنها أوصت بأنه لا يجوز أن تكون البلاد خاضعة لحكم عربى صرف أو يهودى صرف ، لأنها بلاد يقدسها النصارى والمسلمون واليهود •

ورأى الصهيونيون أن هذا لا ينيلهم بغيتهم ، فأخذوا يزيدون من ضغطهم على الحكومة الأمريكية ، واضطرت انجلترا فى النهاية الى أن يعرض الموضوع على الأمم المتحدة ، فعقدت لذلك جلسة استثنائية للجمعية العامة فى ابريل سنة ١٩٤٧ ، ورأت أن تختار لجنة لاعادة دراسة موضوع فلسطين ، وعرض تقريرها على الجمعية فى اجتماعها العادى فى خريف العام نفسه •

كانت هذه اللجنة مؤلفة من أحد عشر عضوا ، رأى سبعة منهم تقسيم البلاد بين اليهود والعرب ، عن أن يكون هناك « وحدة اقتصادية» بين الدولتين العربية واليهودية•

وقدم تقرير اللجنة الى الجمعية العامة فى آخر شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ • وأخذت الجمعية تنظره فى الأسابيع التالية •• وبذلت الهيئات الصهيونية وأعوانها أقصى الجهود للتأثير فى كل وفد • وكان لابد عند التصويت النهائى أن يصدر التقسيم بأغلبية الثلثين • وشك الصهيونيون أن هناك الكثرة الكافية الموافقة على التقسيم ، فاستخدمت جميع أسلحة الترغيب والارهاب ، حتى أن ممثل الفلبين ، الجنرال رومولو ، ألقى خطابا أعلن فيه أنه من العار أن تحل مسألة



جونسون ــ اشكول

فلسطين بأية صورة تخالف رغبة أهلها • وفى اليوم التالى استدعى الخطيب الى بلاده ، وحل محله شخص آخر قال انه سيعطى صوته طبقا لقرار اللجنة •

واستخدم الوفد الأمريكى سلاح النفاق ، وقال ان هذا التقسيم السياسى سيكون مصحوبا باتحاد اقتصادى ، فلا خطر على وحدة فلسطين •

وبنفس الطريقة التى غيرت بها الفلبين موقفها ، نكصت وفود أخرى ، وأجل التصويت ثلاثة أيام بحجة واهية • وفى يوم ٢٩ من نوفمبر صدر القرار بتقسيم فلسطين، بين العرب واليهود بأكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتناع عشرة أعضاء عن التصويت ••

ولما كانت انجلترا لاتزال هى الدولة صاحبة الانتداب • فقد تقرر أن الانتداب سينتهى فى يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ، وساد البلاد

الاضطراب والفوضى وسفك الدماء ، ولم تحرك دولة الانتداب ساكنا ·

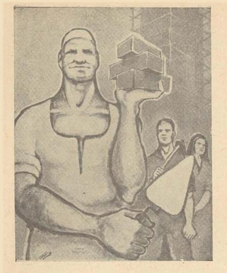
وأعلن اليهود أنهم سينشئون بعد الانتداب مباشرة دولة تدعى اسرائيل ، وحرص الرئيس الأمريكي على أن يبادر بالاعتراف بالدولة الجديدة ، وحرصا على هذه المبادرة ، أخفى الأمر عن وزير خارجيته ، ولم يخبره الا فى آخر لحظة ·

وكان موعد انتهاء الانتداب يوم ١٤ مايو فى منتصف الليل ، وهو يقابل الساعة السادسة بتوقيت واشنطن · وفى الساعة السادسة والدقيقة ١١ أبرق الرئيس ترومان باعتراف الولايات المتحدة بدولة اسرائيل الجديدة · ومن أكاذيب ترومان المعروفة أنه أعلن أن الدولة الجديدة أرسلت تطلب الاعتراف فاستجاب الى طلبها · مع أن طلب الاعتراف لم يصل الى واشنطن الا بعد ٢٤ ساعة من انشاء الدويلة ·

وقد زعم ترومان هذا بعد الجريمة ببضع سنوات أن أسعد وقت فى حياته هو يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ فى الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة ، أى ساعة اعترافه باسرائيل ، ولابد أن تكون حياة ترومان حقيرة جدا لذا كانت تلك هى أعظم ساعة فيها · والمدهش أن يتولى مثل هذا المخلوق حكم أكبر دولة فى العالم !! ·

من ترومان الى جونسون

ذهب ترومان وزال الحكم الديمقراطى ، وحل محله الرئيس أيزنهاور · وكان وزير خارجيته ، فوستر دلس · وقد ظلت الهيئات الأمريكية تقدم الاعانات الى اسرائيل · والحكومة الجديدة لم تقصر فى تقديم مساعداتها الاقتصادية ، ومع أن الديمقراطيين اشتهروا بأنهم الأكثر تشيعا للصهيونيين ، وائتمارا بأمرهم ، فان الاعانات لم تنقطع فى عهد أيزنهاور ، ومن الجائز أن الصهاينة توهموا أنهم لم يعودوا يصرفون الأمور فى واشنطن كما كانوا يفعلون من قبل ، فبدأوا يفكرون فى توسيع دائرة نشاطهم ، واتجهوا الى التحالف مع فرنسا ثم انجلترا · ثم كان العدوان الثلاثى



معركة البناء لأجل الحرية
للفنان احمد فؤاد

فى سنة ١٩٥٦ ، وارتاعت له الحكومة الأمريكية · لم يرعها العدوان نفسه ، فقد ثبت من الوثائق ، أن سياسة أمريكا كانت تتجه الى التأثير فى مصر بالضغط الاقتصادى · من أجل ذلك غضبت أمريكا على انجلترا واسرائيل ، ولكنه كان غضبا مؤقتا ، ومن طراز رقيق · ولم يحل دون الامدادات التى ظلت تتدفق على اسرائيل ومشروعات اسرائيل ، وجاء بعد ذلك مشروع ايزنهاور الذى كان من نتائجه الاحتلال الامريكى للبنان ، وسلوك سياسة التفرقة بين العرب · وهذه كلها أشياء تحبها اسرائيل وتزيد فى ضراوتها ·

غير أن الصهاينة كانوا يتوقون لعهد الحزب الديمقراطى ، حزب ترومان الذى خلقهم من العدم ، وظل يرعاهم بكرمه وجوده ، ولم يكفه ذلك حتى جعل ألمانيا أيضا تجود على اسرائيل بما يقرب من مليار من الدولارات··

ولعل الصهاينة فرحوا حين ذهب عهد أيزنهاور ، وجاء عهد كندى ، لعلهم أن يفوزوا على يديه بمغنم كبير ·· ويبدو أن آمالهم لم تتحقق كلها · ومهما يكن من شيء فقد قضى كندى نحبه وهو فى عنفوان شبابه ، فى ظروف

غامضة .. ويكون من الجرأة أن يزعم أحد أن الصهاينة وحلفاءهم فى وكالة المخابرات . أبرياء من دمه .

على كل حال لم يكد خليفة كندى يتبوأ عرش البيت الأبيض ، حتى وجد الصهيونيون فيه العون والنصير ، الذى يفوق ترومان بمراحل ، وكأنه أقسم أن يبز ذلك الرئيس الأسبق ، فى تهالكه على خدمة الصهيونية . وهناك من يزعم أن جونسن فيه دم يهودى ، أى أن بعض زوجات الأجداد انتمت الى الدين اليهودى . وهذا قول هراء لا يفسر شيئا ، ولا يبرر الآثام الخطيرة التى ارتكبها جونسون .

فلم يكد يتولى الحكم حتى جاد على اسرائيل بمفاعل ذرى ، زاعما أنه يريد أن تشترك أمريكا مع اسرائيل فى مشروع « لازالة الملوحة من مياه البحار ! » ومن أكبر أعماله وأكثرها دناءة وخسة أنه أوعز لألمانيا أن تقوم سرا باهداء اسرائيل دبابات وطائرات حربية ومدافع وذخائر ، كلها واردة من الولايات المتحدة الى ألمانيا لكى تنقله سرا الى اسرائيل ، ثم تكذب اذا انكشف الأمر ، وتعلن رسميا أنها لم تعط اسرائيل شيئا .

بعد ذلك لم يجد جونسون مفرا من أن يساعد اسرائيل عنوة بجميع أنواع الأسلحة بما فى ذلك الأسلحة الهجومية .. أى أن أمريكا رأت أن زمن الدفاع قد انتهى ، وأن لابد لها الآن أن تقف وراء عميلتها ، التى خلقتها من العدم ، لكى تناوىء وتحارب ، حيث تريد لها أمريكا أن يناوىء وتحارب فلم يكد موسم البرتقال أن ينتهى فى ابريل الماضى ، حتى حشدت اسرائيل جيوشها على الحدود السورية .

الوسائل الصهيونية

لقد سبق لبعض الكتاب أن قال فى مقالة له انه اذا كانت العادة المألوفة أن الكلب يحرك ذنبه ، فان الحالة بخلاف ذلك بين أمريكا واسرائيل : هنالك نرى الكلب الضخم الكبير ، يحركه ذنبه الضئيل الحقير .. فكيف استطاع الذنب الصهيونى أن يحرك الولايات المتحدة بجلالة قدرها ؟ ..

بالرغم من ان بعض وسائل الصهيونيين سبقت الاشارة اليها ، فمن المفيد أن نلخصها كلها أو جلها ، فى ختام هذا المقال .

١ — فى الولايات المتحدة الأمريكية زهاء ستة ملايين من اليهود ، بينهم عدد من المعتدلين ، الذين لا يناصرون السياسة الصهيونية — ولكن الأغلبية الساحقة تتألف من عناصر صهيونية ، شديدة التعصب والحقد وهؤلاء أكثرهم من الجنس الجرمانى أو من الصقالبة . فلا محل لأن نهون من شأنهم ومقدرتهم وبراعتهم . ونسبتهم فى الجامعات الامريكية أعظم بكثير من نسبة الامريكيين الذين هاجروا من غرب أوربا . ونسبتهم بين الأساتذة وهيئة التدريس فى الجامعات الامريكية ، أعلا بكثير من نسبة المسيحيين .

وقد نجحوا فى احتكار بعض الصناعات الخطيرة ، مثل صناعة السينما فى هوليوود ، وصناعة ملابس النساء فى جميع الولايات ، وتضخمت ثرواتهم الى درجة تفوق كل حد ، وتجعل أصحاب الأعمال ورجال السياسة يحسبون حسابهم .. وقد ركزوا اقامتهم ونشاطهم فى ولايات نيويورك ، ومنطقة شيكاغو ، ولوس أنجلس ، وفيلادلفيا ، وبخاصة نيويورك التى تركز فيها وحدها ثلاثة ملايين من اليهود . وهذا التركيز يشبه تماما حياة الجيتو ، التى كان قوامها الجد والاجتهاد ، واستغلال العناصر المسيحية ، مع الانعزال التام والتعصب .

وحد اليهود صفوفهم ونظموا جمعياتهم العديدة للسطو على فلسطين ، وجمعوا الأموال الطائلة ، وكل يهودى فى أمريكا عليه أن يدفع ضريبة مقررة ، والا فالويل له . لذلك كانت مواردهم المالية لا تكاد تنفد .

٢ — ومن مبادىء الصهيونيين أنهم لا يقصرون عن تقديم الرشوة ، سواء فى صورة وظائف يتقلدها شخص من المهمين ذوى النفوذ ، أو أحدا قاربه ، أو كان ذلك فى صورة مكافآت خيالية عن محاضرات ، أو مقالات ، كالتى كانت تدفع بانتظام للمرأة الخاسرة المسماة « اليانورا روزفلت » . ومن

أشهر أمثلة الرشوة ماحدث منذ بضع سنوات ، وجونسون مجرد عضو بارز فى الحزب الديمقراطى ، فقد كان له ابن فى السنة النهائية فى احدى كليات التجارة ، فبادرت الهيئات الصهيونية بتعيين هذا الشاب فى منصب خطير فى احدى الشركات التجارية الصهيونية ، على أن يتولى هذا المنصب بمجرد تخرجه • وقد علق المعقب المشهور « درويبرسون » على ذلك بقوله : كيف يستطيع العرب أن يقوموا بمثل هذا العمل الحصيف ؟ •

٣ – والى جانب مكافاة من يرون فى مكافاته مايقوى نفوذهم ويشد أزرهم ، فانهم فى الوقت نفسه يمعنون فى اضطهاد من يخالفهم ، هذا الى جانب الضغط المستمر على الصحافة ، لكى تنشر كل مايلائم الصهيونيين والويل ثم الويل لها اذا قالت كلمة واحدة فى صالح العرب أو فى مساعدة اللاجئين • ووصل الأمر بالصهيونيين فى أمريكا أن قاطعوا جريدة التيمس بنيويورك فى عام ١٩٤٦ ومنعوا عنها الاعلانات ، وسحبوا الاشتراكات ، وطال الخصام بين الطرفين ، الى أن اضطرت جريدة التيمس الى الامتثال •

وقد اشتد الاضطهاد الصهيونى على العناصر المعتدلة ، حتى كاد أن يسكتها تماما • ومن المفيد هنا أن نذكر مثالين من ذلك الاضطهاد•

الأول ماتعرض له وزير الدفاع فى حكومة ترومان : المستر جيمس فورستال ، حينما علم الصهيونيون أنه يعارض سياسة تقسيم فلسطين ، أخذوا يضطهدونه ويسبونه ، ويرسلون اليه الاشارات التليفونية • ليلا ونهارا ، أينما ذهب ، وتناولت هذه الاشارات سبه فى عرضه وحياته الخاصة • حتى انتهى به الأمر الى الانتحار • وقد تحدث عنه المستر ماكدونالد أول سفير أمريكى الى اسرائيل – على الرغم من كونه صهيونيا متعصبا فقال :

« ان فورستال لم يكن متعصبا ضد اليهود أو ضد اسرائيل : ولم يكن متأثرا بالمصالح البترولية • وانما كان مقتنعا بان التقسيم ليس فى مصلحة الولايات المتحدة • ولم يكن بلا شك يستحق تلك الهجمات الشديدة السامة ، التى أدت الى تحطيم عقله وجسمه »

المثال الثانى : لرجل يدعى كريستيان هرتر عضو مجلس الشيوخ عن مدينة بوسطن • وحكاية اضطهاده تتلخص فيما يلى :

تألفت فى أمريكا سنة ١٩٤٩ جمعية غرضها انسانى بحت – وقد قررت فى صراحة تامة أنها ليست لها أية صفة سياسية ، ولكنها تريد أن تجمع التبرعات ، وترسل الاعانات للاجئين العرب ، لأن حالتهم تستدعى الشفقة•

وطلب من المستر هرتر أن يكون نائبا لرئيس هذه الجمعية • التى كانت تدعى H.E.L.P. ، وقبل هذا المنصب • وبعد ثلاثة أسابيع من تأسيس الجمعية ، أرسل خطابا باستقالته من المنصب ، وقال فى تفسير استقالته أن الصهيونيين اعتبروا الاهتمام باللاجئين العرب ، هجوما على اسرائيل • وقال لأصدقائه لقد تألف وفد برئاسة أحد الحاخامات ومعه عدد كبير من أفراد دائرته الانتخابية يتهمونه بأنه باع نفسه للعرب •• وتلقى وابلا من الرسائل المليئة بالسب والتهديد والوعيد ، فاضطر الى الاستقالة لأنه لا يريد أن يقضى على حياته السياسية •••

أصوات اليهود فى الانتخابات

من خصائص الدستور الامريكى أن الرئيس ينتخبه الشعب ، ولكن الاصوات ليست موزعة توزيعا عادلا فى مختلف الولايات التى يتركز فيها اليهود لها قوة انتخابية أكبر من غيرها وهو موضوع معقد يطول شرحه ، ولكنه مكن الصهيونيين من أن يهددوا رجال الاحزاب السياسية بانهم لن يؤيدوا مرشحهم ، الا اذا انحاز بقوة الى جانب اسرائيل ، والحزب الذى يكون دفاعه عن الصهيونية أقوى وأكبر ، هو الذى يحظى بأصوات اليهود • ومن أجل ذلك كان رجال السياسة يتسابقون أيهم يعطى تأييدا أكبر وأعظم للعصابات الصهيونية •• فأى فوضى سياسية تفوق ، أو حتى تدانى هذه الفوضى •

التى أمكن للصهيونيين أن ينشروها فى الانتخابات الامريكية ؟

ان ألفرد ليلينتال فى الفصل السادس من كتابه « بأى ثمن يا اسرائيل ؟ » ٠ يؤكد أن قوة التصويت اليهودى حديث خرافة ٠ فقد ثبت فى كثير من الانتخابات فى دوائر أغلبها من اليهود أن المرشح الذى أيدته الدعاية الصهيونية لم ينجح ، ومن أهم الأمثلة التى ذكرها انتخاب أيزنهاور بأغلبية ساحقة ، وقت العدوان الثلاثى على مصر مع أن أيزنهاور قد جاهر بسخطه على هذا العدوان ٠ ويقول الكاتب ان تحليل الاصوات يدل على أن كثيرا من اليهود فى أمريكا ليسوا من المؤمنين بالصهيونية ٠٠ وان قل بينهم من يجاهر بذلك

وأكبر الظن أن ما قاله ليلنتال صحيح ٠ وهو يدل على براعة الصهيونيين فى اللعب بكارت لا وجود له ٠

التأثير فى البيت الأبيض

نظرا لأن الدستور الامريكى يمنح رئيس الجمهورية سلطات هائلة ٠ فان اليهود الصهيونيين ركزوا اهتمامهم ، وسلطوا كل امكانياتهم على اكتساب « البيت الابيض » فيجعلوه فى صفهم قلبا وقالبا ٠ وحرصوا على أن يكون بعض ذوى النفوذ المقربين من الرئيس واحدا من أنصارهم ، ويذكر « ليلينتال » اسم رجل يدعى دافيد نيلز Niles من أكبر أنصار الصهيونية ، ومن ذوى النفوذ الشديد على الرئيس ترومان ، ويقول الكاتب انه على الرغم من أن نيلز هذا لم يكن معروفا للناس ٠ فانه قد لعب دورا خطيرا فى توجيه سياسة البيت الأبيض نحو خلق اسرائيل ٠٠

ومن المعلوم أن رئيس الولايات المتحدة : اما أن يكون من حزب الجمهوريين مثل أيزنهاور ، أو من حزب الديمقراطيين مثل ترومان وجونسون ٠٠ والانتخابات تكلف نفقات باهظة ، ويبدو أن حزب الديمقراطيين فى أشد الحاجة الى المساعدات ٠ فأخذ الصهيونيون يغدقون عليه الأموال الطائلة حتى جعلوه يشعر بحاجته الشديدة اليهم ٠ ولعل هذا أن يكون من أكبر الدوافع التى وجهت سياسة ترومان وجونسون وجعلتهما يرتكبان كل تلك الحماقات ، التى يسخر منها الناس فى مشارق الارض ومغاربها وهكذا يرى القارىء كيف قامت أمريكا ، المطية الذلول للعصابات الصهيونية ، بانشاء وتمويل هذا الكائن الشرير المسمى اسرائيل ٠٠ وما برحت تسانده وتؤيده » ٠

وذهبت أمريكا فى مساندة اسرائيل ، فى الأزمة الاخيرة الى مدى يتنافى مع كل مبادىء الشرف٠ فقد أرسل الرئيس جونسون رسالة عاجلة يوم ٢٦ مايو ، يرجو فيها الرئيس جمال عبد الناصر أن يتمسك بضبط النفس ، وألا يكون البادىء بالعدوان ٠ واكبر الظن أنه التمس أيضا من حكومة الاتحاد السوفيتى فى نفس اليوم ، أن تؤيده فى مطلبه هذا ، ولذلك اتصل السفير السوفيتى فى القاهرة بالرئيس جمال فى منزله فى الساعة الثالثة صباحا فى نفس اليوم ، ورجاه ألا يكون الجيش العربى هو البادىء باطلاق النار ٠ فأعلن الرئيس جمال مرارا أن القوات العربية لن تكون البادئة بالعدوان ٠

وبديهى أن هذا كله لم يكن الا خداعا ، وتمكينا للقوات الامريكية ، أن تجىء من جهات عديدة لشد أزر القوات الصهيونية بأعداد تفوق ما كانت تحلم به اسرائيل ٠

وامعانا فى الخداع عرض الرئيس جونسون أن يرسل نائبه همفرى الى القاهرة ، ولكيلا يكلف خاطره ، عرض الرئيس جمال أن يرسل نائبه زكريا محيى الدين ، وبعد مضى يوم وبعض يوم ، والسيد زكريا يتأهب للسفر الى واشنطن ٠٠ بدأ العدوان السافر ، بهجوم الطائرات الصهيونية ٠

وهكذا بذلت أمريكا حتى شرفها وشهامتها، من أجل تأييد الصهيونيين، لكى يضمن الرئيس اعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة ، ولكى تتدفق الأموال الصهيونية على خزائن الحزب الديمقراطى ٠

ويصعب على المرء أن يتصور أن تنحط اكبر دولة وأغنى دولة فى العالم الى هذا الدرك الأسفل من الخسة والنذالة ؟

ويحق للمرء أن يتساءل : أما لهذا الليل من آخر ؟ أما لهذا الضلال الذى تسير فيه أمريكا من نهاية ؟ أم هل تظل الولايات المتحدة بقوتها وجبروتها مطية للصهيونيين ، يدفعونها فى الطريق الذى يبغونه ، ويوردونها شر الموارد ؟

لقد زعم البعض ــ ردا على هذا السؤال ــ أن الأمريكان ــ يوما ما ــ سيفيقون من غفلتهم وينتبهون الى أن اليهود يسيطرون على جميع وسائل الاعلام ، من سينما الى اذاعة الى تليفزيون وصحافة ، ولهم نفوذ كبير فى كثير من معاهد التعليم العالى ، وكثير من الصناعات المختلفة .. سينتبهون الى ذلك كله كما انتبه النازى ، وعندئذ يثورون على سيطرة اليهود على الدولة وسياستها ومرافقها ، ويفعلون بهم ما فعل النازيون أو ما يشبهه .

وعلى فرض صحة هذا الزعم ، ومع التسليم بأن هناك أمريكيين يحسون البغض الشديد لليهود ، ويألمون لأن ساستهم خاضعون هذا الخضوع المزرى ، للعصابات الصهيونية ، فان مثل هذا الانقلاب فى السياسة الامريكية لن يحدث ــ ان حدث ــ فى اى وقت قريب .

بحيث يكون له أثر فى تحقيق أمانى العرب .

ولا ينبغى للعرب أن يعلقوا آمالهم على حدوث مثل هذا الانقلاب ، بل يجب على العرب أن يلتمسوا الوسيلة لحل مشاكل أنفسهم بأنفسهم . وفى أيدى العرب العلاج الناجع الذى يضمن لهم كل نجاح . ألا وهو توحيد صفوفهم وتقوية كل الروابط بينهم . ففى أيديهم وحدهم مفتاح نجاحهم وفلاحهم ، وما عليهم الا أن تكون لهم خطة موحدة ، وكلمة موحدة .

لقد ظهر فى هذه الحرب لأول مرة اتحاد وثيق بين الشعوب العربية . فاتخذوا جميعا قرارين حكيمين أولهما : مقاطعة الدولتين الخائنتين ، اللتين ساندتا العدوان الصهيونى .

والقرار الثانى : قطع البترول العربى عن دول العدوان . ان العالم لن يستطيع أن يعيش بغير البترول العربى . ولو استمر العرب فى خطتهم واتحاد كلمتهم ، لعام واحد . لأمكنهم أن يظفروا بمطالبهم .

هذا السلاح فى أيدى الدول العربية . فى أيديهم وحدهم .

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه »
(الميثاق)

«الحرب رحى ، ثقالها الصبر ، وقطبها المكر ، ومدادها الاجتهاد وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر »
(العقد الفريد)

السلاح الفكرى..

فى مكافحة الصهيونية

د. يوسف أبو الحجاج

فى المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس جمال عبد الناصر قبل العدوان الاسرائيلى - الانجلو سكسونى الغادر أشار سيادته الى قول السيد / همفرى نائب الرئيس جونسون ان اسرائيل تعتبر « منارة للحضارة فى الشرق الاوسط » ، ووجه آلى هذا القول ما يستحقه من استنكار .

والواقع أن الرئيس جمال عبد الناصر قد سلط الضوء بهـذه الاشارة على سلاح من الاسلحة العديدة التى تستخدمها الصهيونية العالمية فى سبيل بلوغ مآربها . الا وهو السلاح الفكرى الموجه الى الرأى العام العالمى .

فليس فى كلام السيد / همفرى الا ترديد لدعوى من تلك الدعاوى العريضة التى تذيعها الصهيونية منذ خلقت اسرائيل عما حققه اليهود من « معجزات » عمرانية واقتصادية فى فلسطين ، وما أرسوه فيها من مبادىء « ديمقراطية » ، بقصد ايهام الرأى العام العالمى بانهم رسل حضارة وعمران جديرون بالعطف والتأييد .

وما ينبغى لنا - ونحن نحشد اليوم كل قوانا لخوض معركة شاملة محتومة أن نستهين بتأثير هذا اللون من الدعاية فى الرأى العام العالمى عامة ، وعند الاوربيين والامريكيين خاصة . فالاوربى العادى ، كالامريكى العادى ، شغوف بالتعمير ، مولع بالتجديد ، يطربه سماع الحديث عن مكافحة الطبيعة والتغلب عليها . وهو يقدر كل من يستطيع اقناعه بأنه مارس هذا الكفاح وانتصر فيه ، بل ان نفسه مهيأة لان تغتفر لمثل هذا الشخص مايرتكبه من سيئات أخلاقية فى هذا السبيل .

وفى تاريخ الاوربيين الغربيين والامريكيين ما يبرر عندهم مثل هذا الشعور . ان الاوربى لا يشعر بالسخط على أجداده الذين احتلوا قارة استراليا أو جنوب افريقية على حساب سكانهما الاصليين ، كما أن الامريكى لا يحس بشىء من وخز الضمير لاحتلال أجداده لأمريكا على حساب الهنود الحمر .

وقد تنبه اليهود الى استغلال هذا الموقف النفسى عند الاوربيين والامريكيين ، فصوروا المهاجر اليهودى بصورة « المكافح » «المتمدين» من أول الامر ، وألبسوا هذا التصوير اللباس العلمى بطريقتهم الخاصة . ولم يقنعوا بنشرات الدعاية السافرة ، بل تغلغلوا الى الجمعيات العلمية ، والمجلات العلمية ، ونشروا طائفة من الكتب تدور كلها حول هذا الهدف، وتنشر بأكثر من لغة واحدة .

كان هـذا السلاح الفكرى من الاسلحة الهامة التى استخدموها فى التمهيد لظهور اسرائيل . فصوروا فلسطين أرضا مليئة بالخيرات ، عامرة بالامكانيات ، ولا تحتاج الا للعناصر الممتازة لتستخلص تلك الخيرات وتستغل هذه الامكانيات .

وقد واصلوا جهودهم فى هـذا المضمار

بنشاط لم يكن هناك للأسف ما يقابله من جانبنا نحن العرب • ووجه الخطورة أنه من النادر اليوم أن نقرأ بحثا أو كتابا عن اسرائيل دون أن يشير الكاتب خلال كلامه الى مظاهر «عبقرية» اليهود ، حتى عند الكتاب القلائل الذين تنبهوا الى بعض مبالغات الدعاية الصهيونية •

ومن واجبنا اذن أن ننتبه نحن العرب الى هذا الوجه من وجوه المعركة المريرة بيننا وبين الصهيونية والاستعمار ، فنتبين وجه الحقيقة فى تلك الدعاوى التى تنشرها الصهيونية بين مختلف شعوب العالم ، ثم نذيع نحن وجهة نظرنا فى الموضوع بمختلف الوسائل التى سأشير الى بعضها فى ختام هذا المقال •

لا مناص من أن نخاطب «الفكر» العالمى ، وألا نقنع بمخاطبة « الضمير » العالمى • فان ابراز الجانب الاخلاقى والانسانى فى مشكلة فلسطين لم يفلح – رغم العدالة الواضحة فيه – فى ايقاظ هذا الضمير بالدرجة التى تتناسب مع فداحة هذه المأساة الانسانية التى تتناول أكثر من مليون من البشر نزعوا من وطنهم فجأة وقسرا ليلقى بهم فى مساكن مؤقتة ، مبعثرة ، على مشهد من الناس أجمعين • والعالم يسمع اليوم ، فى أعقاب العدوان الآثم الأخير ، أنباء الاساليب التتارية التى يستخدمها اليهود مع اللاجئين الفلسطينيين سواء فى قطاع غزة أو فى الضفة الغربية • ولكن الصدى أقل كثيرا مما ينتظر ، خاصة بين شعوب أوربا الغربية وأمريكا •

وفى هذا المقال محاولة لتناول جانب واحد من جوانب المعركة الفكرية التى يتحتم على المفكرين العرب وأجهزة الاعلام العربية أن يخوضوها فى ميدان الرأى العام العالمى ، ألا وهو حقيقة ما يذيعه الصهيونيون عن المنجزات العمرانية والاقتصادية التى أنجزوها فى فلسطين •

تمهيدا لصنع اسرائيل طفق الصهيونيون فى أمريكا يعقدون المقارنات بين فلسطين من ناحية وولاية كلفورنيا الامريكية من ناحية أخرى : كلا المنطقتين فى اقليم مناخى واحد هو اقليم البحر المتوسط فكلتاهما يصيبهما المطر فى الشتاء ويسودهما الجفاف فى الصيف ، ونظام الحرارة فيهما واحد ••الخ• وليس هناك ما يمنع من أن تصل فلسطين الى مستوى اقتصادى راق يقرب من المستوى الذى وصل اليه الامريكان فى ولايتهم الكبيرة • كل المطلوب هو أن تستبعد الوسائل البدائية التى يستخدمها السكان العرب ، وأن تتاح الفرصة للعناصر «الراقية» ووسائلها العلمية ، وحينئذ يتضاعف انتاج البرتقال والكروم ، ويتضاعف انتاج القمح والزيتون ، وتنفذ مشروعات الرى فتتاح مياه الرى لاقليم النقب ، وتولد الكهرباء بالاستفادة من الفارق الكبير بين مستوى البحر المتوسط ومستوى البحر الميت ، وتنشط الصناعة ، وتفيض فلسطين بالخيرات كما كانت تفعل فى الماضى البعيد •

ولم تكن وسائل الاعلام العربية حينذاك فى حالة تمكنها من الرد على مثل هذه الدعاوى المحبوكة • وهكذا لم يستطع الا القليلون أن يدركوا أن القياس مع الفارق ، وأن كلفورنيا مثلا تملك جبالا عالية تتيح لها قدرا أكبر من المطر الشتوى ، وقدرا كبيرا من الثلوج التى تتكدس على القمم وتذوب فى الربيع فتنحدر نحو السهول وتيسر قيام مشروعات الرى • ولم يستطع الا القليلون أن يدركوا مدى الفرق الهائل بين المنطقتين من حيث خصوبة التربة ، ومن حيث مساحة الارض التى تصلح للزراعة وتنفيذ المشروعات ، ومن حيث المجهود الحضارى الذى بذله السكان الأصليون فى استغلال الارض ، كما لم يستطيعوا أن يتنبهوا فيما بعد الى الفارق الهائل بين نهر الاردن ونهر التنسى الامريكى حين كثر الكلام عن مشروعات تحويل مياه الاردن التى اقترحها اليهود •

سيل الأموال

والواقع – كما أدركه بعض الباحثين المنصفين فيما بعد – أن فلسطين لم تكن الا على قدر أهلها ، لأنها بلاد محدودة الامكانيات • وعلى كل حال فقد خرجت اسرائيل من مأساة

عـــام ١٩٤٨ بأكثر من ثلاثة أرباع فلسطين وأصبحت تستحوز على أكثر الاجزاء مطرا ، وأصلحها للزراعة • وتوفرت لاسرائيــل الى جانب ذلك الاموال الوفيرة التى تدفقت اليها من الخارج • فضلا عن الاموال التى جاءت من الصهيونية العالمية قدمت الولايات المتـــحدة الامريكية لاسرائيل ألوانا شتى من المساعدات الســـخية فى صورة منح مباشرة ، ومعونات فنية متعـددة ، وهدايا رسمية ، وفائض من المواد الغذائية ، وقروض ، فضلا عما حصلت عليه اسرائيل من مساعدات أخرى فى صورة استثمارات أمريكية ، وضـمانات وتسهيلات لعملية بيع السندات الاسرائيلية ، واعفـاءات من الضرائب والرســـوم على مختلف جبايات اليهود فى الولايات المتحدة ، وكميات كبيرة من الاسلحة والمعدات العسكرية لقاء أثمان رمزية فى أكثر الاحيان •

وحصلت اسرائيـــل على مبـالغ طائلة من حكومة ألمانيا الغربية فى صـــورة تعويضات عديدة تتخذ أسماء شتى • فبحسب اتفـاقية التعويضات التى عقدت فى سبتمبر فى ١٩٥٢ دفعت تلك الحـــكومة لاسرائيـل تعويضات مقدارها ٣٤٥٠ مليون مارك ألمانى • وهذا غير التعويضات الفردية الهائلة التى دفعت لافراد من اليهــــود أقام أكثرهـم فى اسرائيـــل ، والتعويضات التى دفعت طبقا لقانون استرداد الممتلكات ، والمبالغ التى دفعت لقاء « النفقات الادارية » التى « تتـكبدها » اسرائيـــل فى تحصيل هذه الطائفة الفريدة من التعويضات• ويكفى أن يلقى القـــارىء نظرة على الجدول المرفق الذى يبين مختلف التعويضات الالمانية المقررة لاسرائيل بحسب قرار مجلس الوزراء الالمانى فى عام ١٩٦٣ ، ليدرك أن ما حصلت عليه اسرائيل من ألمانيا الغربية وحدها يصل الى حجم يدير الرأس ، ولا يترك مجالا للشك فى أننـــا بازاء مؤامرة بشـــعة لتدعيم هذه الصنيعة الاستعمارية ، مؤامرة ليست ألمانيا الغربية الا أحـــد أوكارها ، وان يكن الوكر الالمانى من أضخم هذه الاوكار •

التعويضات الالمانية المقررة لاسرائيل بحسب قرار مجلس الوزراء الالمانى فى ١٩٦٣/٦/١٩

بشأن التقدير الختامى للتعويضات

	مليارمارك
قانون التعويضات الفردية	٢٩ر
قانون استرداد الممتلكات	٧ر٣
اتفاقية التعويضات المبرمة فى ١٩٥٢	٥ر٣
اتفاقية التعويضات مع الدول الاجنبية	١ر٠٠
نفقات متفرقة تشمل النفقات الادارية وغيرها	٣ر٠٠
المجموع	٤٠ر٢

ويقدر أن ما دفع من هذا المبلغ حتى عـــام ١٩٦٥ يزيد على ٦ر٢٤ مليارك مارك • وسيتم رفع الجزء الباقى ومقداره ٤ر١٥ مليار مارك حتى نهاية عام ١٩٧٥ •

ولا مجال هنـــا لمزيد من التفصيل فى أمر هذه الاموال الهـائلة التى حصلت عليهـــا اسرائيل من مصادر عديدة ، وان كان هـــذا الموضــــوع يحتـــاج من المفكرين العرب الى ما يستحقه من اذاعة على الرأى العام العالمى ، بالاسلوب العلمى اللازم، وفى المجالات العلمية الملائمة ، حتى يجد سبيله الى المؤلفات والبحوث الاجنبية على نطاق أوسع ممـــا هو فى الوقت الحاضر •

« عجز » لا « اعجاز »

والذى يعنينا هنا هو أن نلقى نظرة هادئة على ما فعلته اسرائيل بهذا السيل المتدفق من الاموال • واذا بدأنا بالانتاج الزراعى لاحظنا أولا أن المزارع اليهودى لا يزال يتشبث بنوع الزراعة الذى كان يمارسه قبـــل أن تصنع اسرائيل ألا وهو انتاج السلع التىتكفل الربح السريـــع فى أســـواق المـــدن الفلسطينية كالخضروات والفواكهوتربية الدواجن وتربية الأبقار • وطالما حاولت الحكومة الاسرائيلية أن تقنع المزارعين بتوسيع قاعدة الانتاج بزيادة انتاج الحبوب والمحصولات الصناعية ، وأن

تقنعهم – كما يلاحظ أحد الباحثين الامريكيين – بأن هذا التركيز على انتاج اللبن والبيض والخضروات ترف لاتتحمله بلاد صغيرة فقيرة. ومع ذلك فالحبوب لا تزيد قيمتها على ١٠٪ من قيمة الانتاج الزراعى الكلية ، وما تنتجه اسرائيل من القمح كمية هزيلة لم تصل فى عام ١٩٦١ مثلا حتى الى نصف ما أنتجته المملكة الاردنية فى نفس العام . وبساتين الزيتون قد تدهور انتاجها بعد أن أهملت أشجارها . أما الحاصلات الصناعية فلا يزال انتاجها محدودا ، رغم تنوع القائمة ، ورغم الدعاية العريضة . وأهم هذه الحاصلات بنجر السكر وان كان انتاج اسرائيل السنوى من السكر المستخرج منه لم يزد على نحو ثلاثين ألف طن أى أقل من نصف الانتاج السورى . ومنها القطن الذى يقل انتاجه عن أربعين ألف طن ، والفول السودانى الذى يقل عن ٨٪ من انتاج السودان والتبغ الذى يقل عن نصف الانتاج اللبنانى ويقل عن ثلث الانتاج السورى ، والسمسم الذى لا يزيد على ربع الانتاج السورى ويقل عن ربع الانتاج العراقى .

وهكذا فنحن بازاء اقتصاد زراعى مختل لا تنصرف العناية فيه الى انتاج الحاصلات التى تسهم فى تعديل ميزان المدفوعات من قمح أو محصولات صناعية أو علف . واسرائيل تخصص نسبة عالية من ميزانية النقد الاجنبى للواردات الغذائية من القمح الى طعام الدواجن، هذا فضلا عما تهديه لها الولايات المتحدة الامريكية من مواد غذائية فائضة . والنتيجة هى ارتفاع أسعار المواد الغذائية ونشاط السوق السوداء . وفى ضوء هذا نفهم ماقاله الاستاذ « برنار وينرب » أستاذ الاقتصاد بجامعة دربسى Dropsie الامريكية من أن المزارعين فى اسرائيل هم الفئة الوحيدة التى تحظى بالتغذية الكافية . ومن المعروف أن نسبة هؤلاء المزارعين لا تزيد على ٢٥٪ من مجموع يهود اسرائيل .

بقيت تلك الغلة الهامة التى كانت ولاتزال تمثل السلعة الاولى فى قائمة الصادرات الفلسطينية ألا وهى الموالح . والاحصائيات تنطق هنا بالعجز لا بالاعجاز . فان أقصى انتاج سنوى لها فى اسرائيل منذ صنعت لم يزد على ثلاثة عشر مليون صندوق ، على حين أن الانتاج فى فلسطين أمكن أن يصل من نفس المساحة تقريبا . الى أكثر من ١٨ مليون صندوق فى موسم ١٩٣٨ / ١٩٣٩ قبل أن يخلق شىء اسمه اسرائيل . كل ذلك رغم الاعانات السخية التى تمنحها الحكومة الاسرائيلية لزراع الموالح ، ورغم ماتقدمه تلك الحكومة ، والوكالة اليهودية ، واتحاد العمل العام المعروف بالهستادروث Histadruth من تيسيرات عديدة للمزارعين اليهود ، من بذور وأسمدة وآلات زراعية ومساكن وغيرها اما بالمجان أو فى صورة قروض بشروط سخية .

وما أكثر ما أعلنته الدعاية الصهيونية عما حققه اليهود فى ميدان استغلال المياه فى فلسطين . والواقع أن موارد فلسطين من الماء محدودة بطبيعتها ، وهو ماذكره الخبراء مرارا وتكرارا قبل ظهور اسرائيل . ولكن الحديث عن « العبقرية » فى استغلال الموارد الطبيعية على النحو الذى ينسب لليهود أمر لا يمكن قبوله . ومن المفيد أن نذكر العالم بأن مجموع المساحة المروية التى أضيفت منذ صنعت اسرائيل حتى عام ١٩٦٥ لا يزيد على ١٦٠ ألف فدان أى بمتوسط نحو عشرة آلاف فدان فى السنة ، رغم كل الاضواء التى سلطها اليهود على مشروعاتهم الصغيرة البراقة ، ورغم الاموال الطائلة التى انفقت على هذه المشروعات ، ومن المفيد أيضا أن ننبه الرأى العام العالمى الى أن الدعاية الصهيونية التى أحيط بها مشروعهم لتحويل مياه نهر الاردن لا تتناسب بأى حال مع حجم هذا المشروع هندسيا ، ولا قيمته اقتصاديا . وللمرء أن يشك فيما تبشر به تلك الدعاية من امكان تعمير صحراء النقب بالحقول الخضراء والبساتين الفيحاء ، ما دمنا بازاء كمية من المياه محدودة فى حجمها ، مشكوك فى صلاحيتها ، وسيذهب نصفها أو أكثر من نصفها فى أغراض الشرب والصناعة. ومن واجبنا أن نبصر العالم بأن أهداف الصهيونية الحقيقية من هذا المشروع قد تكون

مجرد خلق مزيد من المستعمرات العسكرية فى النقب ، بقصد احكام الفصل بين شطرى العالم العربى ، أو بقصد التمهيد لتنفيذ خطة للغزو والاستيلاء لتتسع أرض اسرائيل التى تضيق عن تحمل أطماع الصهيونية • وثمة هدف الرغبة فى تثبيت أقدام الاستعمار الصهيونى، واضفاء جو من الأحقية على احتلال اليهود لفلسطين • ولعلهم فى ذلك أشبه بمن يستولى على أرض الغير ثم يبنى فيها المبانى لتثبيت ملكيته لهذه الارض • ذلك فضلا عن قيمة المشروع فى رفع الروح المعنوية لليهود المقيمين فى اسرائيل ، ثم قيمته فى الدعاية وابتزاز مزيد من الاموال من الاصدقاء والحلفاء من خارج البلاد •

وهكذا ، وبعد مضى هذا الوقت الطويل على صنع اسرائيل ، ورغم تدفق الاموال والآلات بصورة خيالية ، لا تتحقق معجزة من المعجزات فى الانتاج الزراعى أو فى مشروعات الرى ، ولا تصبح فلسطين قطعة من كليفورنيا أو «مثلا تحتذيه بلاد الشرق الاوسط» ، بل ان النتيجة أقرب فى الحقيقة للعجز منها الى الاعجاز بأى مقياس اقتصادى سليم •

ومما له دلالته فى هذا المضمار أنه رغم مضى نحو ٢٠ عاما على صنع اسرائيل ، ما زال اليهود يتركزون فى المدن بصورة صارخة ، ويحاولون تجنب الحياة فى الريف • وقد اضطرت حكومة اسرائيل ابتداء من النصف الثانى من عام ١٩٥٤ الى العمل بسياسة «من السفينة الى الارض From Ship to Land» • وبمقتضى هذه السياسة ينقل المهاجرون القادمون الى اسرائيل الى الريف فور وصولهم، أى دون أن تتاح لهم فرصة البقاء فى المدينة ولو لفترة قصيرة – كما كان يحدث قبل ذلك العام – خوفا من أن يتشبثوا بحياة المدينة وأن يرفضوا الاتجاه للارض ، تلك الارض التى طردوا منها أهلها نزلاء معسكرات اللاجئين فى الوقت الحاضر • ومع ذلك فان أكثر من ثلاثة أرباع اليهود عامة وأكثر من ٨٥٪ من مجموع السكان العاملين منهم يتركزون فى المدن الثلاث الرئيسية (تل أبيب وحيفا وبيت المقدس) وفى مدن أصغر مثل «بتاح تكفه» و «رحبوث» و «الحضيرة» و «نتانيا» و «بير سبع » •

حقيقة « التقدم » الصناعى

وفى ميدان الانتاج الصناعى عمدت الدعاية الصهيونية الى ابراز ما أحرز من تقدم بصورة يغلب عليها طابع المغالاة الشديدة ، وحجب الحقائق التى تظهر هذا التقدم فى أبعاده الصحيحة •

والواقع أنه رغم الاستثمارات الكبيرة التى تسهم فيها الاموال الامريكية والكندية وأموال أوربا الغربية بنصيب يذكر فان الصناعات الاسرائيلية صناعات صغيرة فى معظمها، بمعنى انها تقوم فى مصانع صغيرة أو «ورش» يعمل فى كل منها عدد صغير من العمال • واذا كان مجموع هذه المصانع قد وصل الى أكثر من ٩٠٠٠ مصنع – وهو رقم تبرزه الدعاية الصهيونية– فالحقيقة أن ٨٣٪ من هذا المجموع لا يستخدم الواحد منها سوى ١٤ شخصا أو أقل(١) •

وفى الوقت نفسه فان هناك نسبة عالية من هذه المصانع لا تنتج الا كميات محدودة ، تكاد أحيانا أن تكون كميات رمزية ، وقد تلجأ الدعاية اليهودية فى مثل هذه الحالات الى اختيار أصغر وحدة للوزن أو القياس ليبدو الرقم كبيرا للقارىء عند النظر الى الاحصائيات• ومن أمثلة ذلك أن انتاج البترول الخام يظهر مقدرا باللترات فيرتفع الرقم الى عشرات الملايين ، بدلا من عشرات الالوف لو كان الوزن مقدرا بالاطنان • ويحسن القارىء صنعا اذا عمد الى مقارنة الانتاج فى اسرائيل بأرقام الانتاج فى الجمهورية العربية المتحدة مثلا ، فان هذا يكفل على الاقل ازالة الانطباع الخاطىء عن «ضخامة » التقدم الصناعى بالدرجة التى ترمى الدعاية الصهيونية الى ابرازها • وتذكر على سبيل المثال أن انتاج اسرائيل من المنسوجات – وهى الصناعة التى تحتل الترتيب الثانى بعد الصناعات الغذائية سواء

(١) Europa Publications Limited (editor). «*The Middle East*, London, 1963, p. 177

من حيث قيمة الانتاج أو عدد العمال – كان فى عام ١٩٦١ عشرة آلاف طن أى أقل من سبع انتاج مصر فى نفس العام من المنسوجات القطنية وحدها (٧٦٫٠٠٠طن) ، وأن انتاجها من السكر كان ٣٠ ألف مقابل ٣٤٠ ألف طن، ومن السوبر فوسفات ٨٥ ألف مقابل ١٩٠ ألف طن(١) •

والحقيقة الثانية هى أن قيمة الصناعة فى الاسهام فى الاقتصاد الاسرائيلى لا تزال محدودة ، فالانتاج الصناعى لا يزيد نصيبه كثيرا على ٢٠٪ من مجموع الدخل القومى ، وعدد المشتغلين بالصناعة لا يزيد كثيرا على ١٥٠ ألف شخص(٢) •

ولو فحصنا قائمة الصادرات الصناعية بشىء من الدقة لوجدنا أن قيمتها لا تتناسب فى الحقيقة مع ما أدخلته الدعاية الصهيونية فى روع الناس • فعلى رأس هذه القائمة يأتى الماس المصقول الذى يصدر للولايات المتحدة الامريكية • وفى عام ١٩٦١ مثلا كانت قيمة هذه السلعة (٧٠ مليون دولار) تفوق كثيرا قيمة جميع ما صدر من المنسوجات والملابس واطارات السيارات وعصير الفواكه وخشب الأبلكاش والسماد والفواكه المحفوظة والاسمنت وصناديق الكرتون • فان مجموع قيمة كل هذه القائمة الطويلة كان أقل من ٥٤ مليون دولار •

وليس فى صناعة صقل الماس – وهى المسئول الاول عن رفع قيمة الصادرات الصناعية من اسرائيل – ما يدل على شىء من الاعجاز أو ما يشبه الاعجاز ، فهى صناعة قديمة فى البلاد ، وكان لها منذ أدخلت الى فلسطين مركزها البارز فى قيمة الصادرات من فلسطين ، وهى صناعة لا تحتاج الى قدر يذكر من الذكاء، فضلا عن أن ارتفاع حصيلتها نسبيا انما يرجع فى المقام الاول الى براعة الموزعين اليهود فى استغلال المستهلكين والمستهلكات من أهل الولايات المتحدة وبيعهم هذه السلعة لهم بأغلى الاسعار •

(١) المصدر السابق ، ص ١٨١ و ص ٤٥٢ •

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٧ •

وثمة حقيقة ثالثة فى هذا المضمار هى أن الصناعات الاسرائيلية مهما كانت الزيادة فى انتاجها بالمقارنة بفترة ما قبل صنع اسرائيل لا تقوم فى معظمها على أى أساس اقتصادى سليم • فاسرائيل لا تنتج الا نسبة صغيرة من المواد الخام اللازمة للصناعة • والماس ، أهم سلعة فى الصادرات الصناعية ، تستورد مادته الخام من الخارج • ومثل ذلك يقال عن صناعة المنسوجات والصناعات المعدنية وصناعة البلاستيك وغيرها ••

ولا تزال الثروة المعدنية الرئيسية فى اسرائيل هى الاملاح المعدنية التى تستخلص من البحر الميت • وقد بدأ اليهود استغلال صخر الفوسفات فى منطقة « أورون » بالنقب ولكن نسبة الفوسفور فيه لا تزيد على نحو ٢١٪ أى أقل كثيرا من الحد الادنى (٣٠٪) اللازم للسوق العالمية مما استدعى للجوء الى استخدام وسائل صناعية لرفع هذه النسبة بعض الشىء • وقد اكتشف أيضا خام النحاس فى منطقة تمنا Timna بجوار ايلات ، ولكن النوع ردىء للغاية فنسبة المعدن فيه لا تزيد على ١٫٥٪ فى المتوسط • وفى مدة تقل عن ثلاث سنوات من تاريخ بدء الانتاج استنفدت الكميات القريبة من السطح مما استلزم عمل أنفاق رأسية للوصول الى الرواسب العميقة • وفيما عدا ذلك، وباستثناء صخور أقل أهمية، فان الصناعة الاسرائيلية تقوم فى معظمها على استيراد المواد الخام من الخارج •

والوقود أيضا مستورد • وحقل البترول الذى اكتشف بمنطقة (هيليت – برور) حقل قزمى لا يزيد انتاجه السنوى على ١٣٠ الف طن ، وحقل الغاز الطبيعى (حقل روش زوهار) ذو طاقة انتاجية سنوية ضئيلة لا تزيد على ما يعادل ٩٠ الف طن من البترول الخام •

وهناك اجماع بين الباحثين على أن انتاجية العامل اليهودى منخفضة ، رغم ارتفاع أجره• ومعنى كل ذلك أن تكاليف الانتاج عالية لدرجة لا يمكن أن تسمح للصناعة اليهودية بأى منافسة جدية لمنتجات الدول الصناعية فى الأسواق العالمية •

ويعلق الاستاذ «جاردنر باترسون» رئيس قسم الاقتصاد السياسى بجامعة « برنستون » الأمريكية على هذه الأوضاع قائلا : « ان الفحص الدقيق يستبين منه أن الأسس الاقتصادية لكثير من الصناعات الاسرائيلية أسس واهية حقا — ومع استثناءات قليلة فان أبرز مظهر للصناعات الجديدة هو أنها تقوم بأكملها تقريبا على آلات مستوردة ، وتستهلك مواد خام مستوردة وسلعا نصف مصنوعة ، وتستهلك الوقود المستوردة ، وتعتمد على قطع غيار مستوردة ، ولا تستخدم الا عددا صغيرا من عمال محليين تنقصهم الخبرة وان كانوا يتقاضون الأجور العالية .

الخلاصة

والخلاصة أن اليهود لم يفلحوا ، رغم ماتوفر لديهم من امكانيات مالية ضخمة ورغم الآلات التى استخدموها لحد الاسراف ، فى تحقيق معجزة من المعجزات ، ونحن بازاء اقتصاد متهالك يطبعه الطابع الطفيلى السلبى ، لا الطابع الانتاجى الايجابى .

وعلى هذا النحوفيما نعتقد، ينبغى أن يكون خطابنا للرأى العام العالمى . وانطلاقا من هذا الخطاب وتأسيسا عليه نستطيع نحن العرب أن نقدم للرأى العام العالمى « حيثيات » جديدة لاصدار حكم جديد فى قضية فلسطين :

١ — ليس ثمة مبرر اقتصادى أو عمرانى لبقاء اسرائيل ، وتشجيع بقائها من جانب الاوربيين والأمريكيين . وليست اسرائيل بأى حال « منارة للحضارة » ، انما هى مخلوق سياسى طفيلى يعيش على الطاقة الانتاجية للغير، ويمثل تبديدا لهذه الطاقة على نحو لا يستقيم مع أى اعتبار من الاعتبارات الحضارية فى مفهومها القديم أو الحديث .

٢ — وليس فى امكانيات فلسطين المحدودة، بحكم ظروفها الطبيعية الثابتة ، ما يسمح بتحقيق ما بشرت به الدعاية الصهيونية من آمال . واستنفاد هذه الامكانيات لن يؤدى فى خاتمة المطاف الا الى اندفاع نحو الاستيلاء على الامكانيات الأخرى فى البلاد المجاورة لفلسطين . وقياسا على تاريخ قريب يمكن أن تتكرر فى هذه المنطقة من العالم قصة « المجال الحيوى Lebensraum » التى عرفتها أوربا فى عهد النازية ، وفى ذلك ما فيه من تهديد للسلام فى هذه المنطقة وللسلام العالمى بوجه عام .

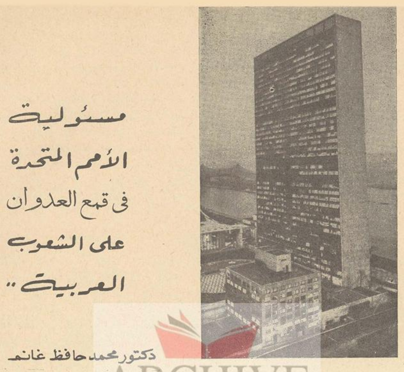
٣ — وفى هذا الخطاب أخيرا تبصير لسكان اسرائيل لفهم حقيقة الأوضاع ، وتحطيم للأمل الكاذب الذى تقدمه لهم الدعاية الصهيونية عن جنة موعودة ، ومستقبل ملىء بالأزهار . ولعل من بينهم كثيرين من المخدوعين ممن لا يحتاجون الا لقليل من هذا التبصير ، حتى يدركوا أن ما ينتظرهم فى الحقيقة ليس الا مستقبلا مظلما لا أمن فيه و لا استقرار .

وثمة وسائل عديدة لهذا الخطاب الذى آن الأوان لأن نوجهه نحن العرب قويا ، فعالا ، الى الرأى العام فى كل أنحاء الأرض ، فى أوربا الغربية وأمريكا بوجه خاص. فالمفكرون العرب مطالبون بالكتابة فى المجلات العلمية الأجنبية، على نحو ما يفعل اليهود أو من يستكتبهم اليهود .

وثمة حاجة لترجمة بعض الكتب والبحوث العربية التى تناولت الموضوع الى اللغات الأجنبية ، بشرط اختيار الكتب أو البحوث التى يغلب عليها التحليل الهادىء ، وبشرط ألا يحمل الكتاب أو البحث ما يدل على أنه من مطبوعات أية هيئة رسمية ، ابعادا له عن شبهة الكتب الدعائية العادية ، وضمانا لثقة القراء الأجانب فى ما يحتويه من حقائق وتعليقات .

ومن المفيد أيضا أن تبعث الدول العربية بوفود من المفكرين من أبنائها الى الخارج ، يعقدون الندوات ، ويلقون المحاضرات ، ويسلطون الأضواء أولا بأول على تفنيد ماينشر من ادعاءات .

وأمام الجامعات العربية ، وأجهزة الأعلام ، ووزارات الخارجية ، وجامعة الدول العربية ، واجب التمويل والتنسيق ، وتجميع قوى المفكرين فى سبيل كشف النقاب عن حقيقة هذا العدو الدعى الخبيث ، وفضح دعاياته ، والرد عليه بنفس سلاحه ، السلاح الفكرى الذى يحقق لنا اكتساب الرأى العام العالمى فى كل مكان .



مسئولية الأمم المتحدة في قمع العدوان على الشعوب العربية

دكتور محمد حافظ غانم

تعرضت الشعوب العربية منذ صبيحة الخامس من يونيو ١٩٦٧ لعدوان مسلح واسع النطاق . فلقد قامت الطائرات الاسرائيلية بقصف جوى للمنشآت وللمدن العربية . كما قامت القوات الاسرائيلية بغزو واحتلال مساحات شاسعة من الاراضى المصرية والأردنية والسورية ومن الاراضى الفلسطينية كما بدأت تتجمع أدلة على استخدام اسرائيل لاسلحة يحرمها قانون الحرب كقنابل النابالم .

ولقد وقفت الشعوب العربية تدافع عن نفسها ضد العدوان الاسرائيلي، وقامت الجيوش المصرية والاردنية والسورية بأداء واجبها المقدس فى حماية الوطن العربي حتى صدر أمر مجلس الامن التابع للامم المتحدة بوقف القتال كما عبأت كافة الدول العربية امكانياتها العسكرية والاقتصادية لمقاومة العدوان ولازالة آثاره ، وهى تؤمن تماما أنها قد دخلت معركة مصير فى مواجهة قوى استعمارية عاتية وأن العدوان الاسرائيلي قد شجعت عليه وأيدته سياسيا وعسكريا الدوائر الاستعمارية فى الولايات المتحدة والمملكة المتحدة كجزء من المخطط الاستعمارى لفرض السيطرة والاستغلال على الشرق الاوسط بصفة خاصة وعلى شعوب آسيا وافريقيا بصفة عامة .

ويثير العدوان الاسرائيلي على الشعوب العربية وما أعقبه من مطالبات تتصل بالحصول على مكاسب اقليمية وعلى حقوق قانونية وبفرض تسويات بالقوة على الدول المجاورة لاسرائيل - مشكلة العدوان فى ميدان العلاقات الدولية ومسئولية الامم المتحدة فى هذا الشأن .

(أ) التزام كافة دول العالم بادانة العدوان وبالتعاون لردع المعتدين :

حدث تطور هائل في المبادىء التى تحكم العلاقات الدولية ، وهو تطوير سيفرض نفسه فى مواجهة كل التحديات والمخالفات ، لانه يستند الى ضرورات حيوية آمنت بها كل شعوب العالم وسلمت بها الحكومات المختلفة من مختلف أرجاء العالم •

فلقد كان المبدأ المقرر فى الماضى هو مشروعية استخدام الدولة للقوة المسلحة كاداة لتنفيذ سياستها القومية وتحقيق مصالحها الانانية • وتطبيقا لذلك تعددت الحروب والفتوحات والغزو المسلح لاراضى الغير • واتجهت الدول الاستعمارية والدول ذات السياسة التوسعية الى استعمال قوتها لتهديد الآخرين وارهابهم وسلبهم أراضيهم واموالهم •

فاختفت بذلك من ميدان العلاقات الدولية المبادىء الاخلاقية ، وتضاءلت قيمة الاتفاقات الدولية والقانون الدولى ، وأصبحت القاعدة ان الحق يكون دائما للأقوى ، وان المفاوضات والتسويات الدولية ما هى الا وسيلة لتأجيل اللجوء الى القوة لأن العالم هو عالم صراع القوى وليس عالم النظام والقانون ، وان القوة لا توقفها الا قوة أخرى معارضة لها •

ولقد تكشفت فى ميدان العلاقات الدولية منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى عوامل مختلفة كان من شأنها العمل على الحد من نطاق صراع القوى وتحريم استخدام القوة المسلحة للعدوان •

فلقد أحس الرأى العام العالمى أن الفوضى التى يعيش فيها العالم فى ظل صراع القوى أمر لا يمكن ان يحقق للشعوب الامن والاستقرار ويمنعها من أن تتقدم فى سبيل الرخاء والازدهار ويمنع تعاونها فيما بينها على أسس من المصالح المشتركة •

كما أحست حكومات الدول المختلفة بأن تطورا خطيرا قد غير من طبيعة الحروب الحديثة وجعل منها خطرا ساحقا يهدد الانسانية بالدمار الشامل • فالحروب القديمة كانت حروبا تقع اعباؤها على الجيوش المحاربة فقط ، ولا يحس بها الشعب الا اذا ارتفعت الضرائب أو اقتربت المواقع من الاماكن المأهولة بالسكان ، أما الحرب الحديثة فتتميز بصفتين كان لهما أكبر الأثر الى الاتجاه نحو تحريم الحروب الا للدفاع عن النفس ضد العدوان •

فقد أصبحت الحرب الحديثة حربا شاملة أى مجهودا حربيا يساهم فيه كل أفراد الشعب نفسه هدفا من أهداف الحرب ، وظهرت أسلحة التخريب الشامل التى تلحق الدمار بدون تمييز كالغازات السامة والقنابل النوية ، وتطورت وسائل قذف والقاء الاسلحة ، فظهرت أهمية السلاح الجوى وسلاح الغواصات والصواريخ البعيدة المدى •

كما اتخذت الحرب الحديثة صفة العالمية ، فأصبح من الصعب حصر نطاق الحرب ، فمتى اشتعلت الحرب فان نطاقها يتسع تدريجيا لكى تشترك فيها دول من سائر أنحاء العالم وذلك بسبب اعتبارات التضامن الدولى الحديث وتشابك المصالح الاقتصادية والعقائدية •

ولقد كان لهذا التطور المريع فى طبيعة الحرب - وهو التطور الذى بدا جليا بصفة خاصة منذ الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨- أثره فى ظهور مجهودات دولية لتنظيم العلاقات الدولية بطريقة تحفظ السلام وتمنع وقوع حروب عدوانية •

وكانت وسيلة ذلك اشتراك الدول فى منظمات دولية تضمن لكل دولة استقلالها وحريتها وسلامة اقليمها وتؤمنها ضد العدوان ، وتتعهد الدول أعضاء المنظمة بعدم استعمال القوة فى غير حالة الدفاع الشرعى ضد الهجوم المسلح الأجنبى ، كما تتولى المنظمة الدولية توقيع الجزاءات على الدول المعتدية لردعها ولازالة آثار العدوان •

وظهرت التجربة الاولى لتحريم حرب الاعتداء فى عهد عصبة الامم سنة ١٩١٩ ، فلقد منع العهد كل حرب يكون الغرض منها الاعتداء على استقلال الدول أو على أقاليمها • كما نص العهد على أن يقوم مجلس عصبة الأمم بتوقيع الجزاءات الاقتصادية والعسكرية على المعتدى •

على أن تجربة عصبة الامم لم تكن مشجعة على التفاؤل ، فلقد عجزت عن المحافظة على أمن أعضائها وسلامتها ووقفت موقفا ضـــــعيفا ومتخاذلا فى مواجهة العدوان على دولة مستقلة كالحبشـــــة والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وتركت المانيا وايطاليا واليابان تسير فى طريق العنف باستعمال القوة بدون رادع وانتهى ذلك كله باندلاع نيران الحرب العالمية الثانية التى كبدت العالم خسائر فى الارواح والاموال ليس لهـــا مثيل فى تاريخ البشرية .

على أن دول العالم المختلفـة تكاتفت فى أثناء الحرب العالمية الثانية لمواجهـــة العدوان الالمانى والايطالى واليابانى وتحـالفت فى هذا الشأن دولة شيوعية كالاتحاد السوفيتى مـع دول رأسماليـــة كالولايات المتحدة الامريكية وانجلترا ، وانتصرت القوى المعادية للعدوان .

ورغم الفشل المرير لتجربةعصبة الأمم كأداة لقمع العدوان فان شعوب العالم لم تيأس من فكرة التنظيم الدولى باعتبارها الطريق الى السلام الدائم والى التعاون الدولى السليم .

وكانت الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا والاتحاد السوفيتى قد اتفقت عام ١٩٤٣ فى تصريح اصـــــدرته فى موســـكو على انه من الضرورى التعجيل بانشاء هيئة عالمية تقـــوم على أساس المساواة فى الســـــيادة بين جميع الدول المحبة للسلام وتنضم اليها هذه الدول لا فرق بين كبيرها وصغيرها لتضمن استقرار السلم والامن الدوليين .

وتقدمت هذه الدول بمقترحات لانشاء الامم المتحدة سميت بمقترحات دمبـارتون أوكس سنة ١٩٤٤ وانضمت لها الصين وفرنسا .

وفى ٢٦ يونيو ١٩٤٥ تم اقـرار ميثـــــاق الامم المتحـــــدة فى مؤتمر دولى كبير هو مؤتمر سان فرانسيسكو .

ويتضح من مراجعة ميثاق الامم المتحدة أن الوظيفة الاولى لتلك المنظمة هى العمل على منع الحرب والمحافظة على السلم والامن الدولى. وفى سبيل تحقيق هذه الوظيفة يلتزم أعضاء الامم المتحدة باحترام مبادىء معينة من أهمها احترام سيادة الدول وسلامة اقاليمها ، والمساواة بين الدول ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، واحترام حقوق الانسان ، وتحريم اســـتعمال القوة المسلحة فى غير حالة الدفاع الشرعى أو فى غير الاحوال التى تقررها الامم المتحدة .

والتزم أعضــــاء الامم المتحدة بأن يجمعوا قواهم لمنع الاسباب المهددة للسلم ولازالتهــا ولقمع العدوان .

ولقد رحبت شعوب العالم أجمع بالمبـادىء الواردة فى ميثاق الامم المتحدة ووجدوا فيهــا نهاية للفوضى الدولية ولحكم القوة وبداية لاقامة نظام سليم لحكم العلاقات الدولية يسوده حكم القانون والعدالة ويفتح الطريق أمام تطـــور البشرية فى طريق السلام والتعـاون من أجل الرخاء .

ونتيجة لكل ما تقدم ذكر المتفائلون من علماء العلاقات الدولية ان الستار قد أسدل نهائيـا على عالم صراع القوى وعلى عمليات الغزو والفتح والقرصنة الدولية حيث ان كافة أعضـاء الامم المتحدة قد تعهدوا والتزموا بمقاومة العــدوان وبردع المعتدين .

(ب) أجهزة الامم المتحدة المختصــــة بقمع العدوان :

عهد ميثـــاق الامم المتحدة الى مجلس الامن بالمسئولية الاولى فيمـــا يتعلق بقمع أعمـــال العدوان وأعطته سلطات خاصـــة لتمكينه من القيام بذلك الواجب .

ويتشكل مجلس الامن منـذ أن تم تعـديل ميثاق الامم المتحدة فى ١٩٦٥ من خمس عشرة دولة . وللدول الخمس الكبرى وهى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا والصين(١) مقـاعد دائمة فى المجلس، أما باقى الاعضاء العشر فيتم انتخابهم بواسطة الجمعية العامة للأمم المتـحدة بطريقة تكفل تمثيـل كافة المنــاطق الجغرافية فى العالم .

واذا ما وقع عدوان فان على مجلس الامن أن يجتمع فورا بناء على دعوة احدى الدول ، أو رئيس المجلس ، أو السكرتير العـــام للامـم المتحدة .

ونتيجة لذلك أصبح من الواضح أن مجلس

(١) لا تزال الصين الوطنية تشغل مقعد الصــين فى الامم المتحدة .

ويقـــوم مجلس الامن بتقرير توافر حالة لعدوان • ثم يتــخذ المجلس التدابير اللازمة لقمع العدوان •

وتدابير القمع التي يقررها مجلس الامن قد تكون تدابير مؤقتة لا تخل بحقـــوق أطراف النزاع أو بمطالبهم أو بمراكزهم ، ومن أهم هذه الأمثلة الأمر بوقف اطلاق النار •

وقد تكون تدابير ضغط لا تتضمن استعمال القوة المسلحة ومن أمثلتها المقاطعة الاقتصادية للمعتدين وقطع العلاقات كليـا أو جزئيا مع المعتدين •

وقد تكون تدابير عسكرية تتضمن استخدام القوات الجوية والبحرية والبرية ضد المعتدين لاكراههم على احترام قـــرارات مجلس الامن الخاصة بازالة العدوان •

ولقد تعهد أعضاء الامم المتحدة بأن يضعوا تحت تصرف مجلس الامن القـوات اللازمـة لتنفيذ قرارات قمع العدوان •

ولما كان من المحتمل أن يعجز مجلس الامن في بعض الاحوال عن اتخاذ تدابير قمع العدوان بسبب مايتمتع به أعضاء مجلس الامن الدائمين من الدول الكبرى من الحق في الاعتراض على قرارات مجلس الامن ، فلقد أصبح من المقرر منذ عام ١٩٥٠ (٢) وتطبيقا لقرار الاتحاد من أجل السلم أن تجتمع الجمعية العامة في مثل هذه الاحوال في دورة غير عادية مستعجلة لكي تتخذ قرارات لحفظ السلم والأمن الدولي •

ولقد تدخلت الجمعية العـامة بالفعل عدة مرات للقيام بعمليات عسكرية وشبه عسكرية للمحافظة على السلام ولادانة العدوان وقمعه• وكان أهم هذه العمليـــات ما قامت به عقب العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦ . فحينما عجـــز مجلس الامن عن اتخـــاذ قرار لادانة العدوان بسبب استعمال انجلترا وفرنسا لحق الاعتراض ، اجتمعت الجمعية العامة في دورة مستعجلة في ظرف ٢٤ ساعة في أول نوفمبر ١٩٥٦ ، وأصدرت في اليوم التالي قرارا بوقف الاعمال الحربية ، وبادانة العدوان وبضرورة انسحاب المعتدين ، كما أنشأت قوة طوارىء دولية تابعة لها ، لكي تقوم بالعمل على تنفيذ قرار الجمعية العامة ، والاشراف على انسحاب المعتدين •

وحينما وقع العدوان الاسرائيلي على الدول العربية المجاورة لها في ٥ مايو ١٩٦٧ اجتمع مجلس الامن فورا لاتخاذ ما يلزم من قرارات• وكان من المتوقع أن يقوم مجلس الامن فورا بادانة اسرائيل لعدوانها الواضح على الجمهورية العربية المتحدة، ولقيامها بغزو الاراضي المصرية والاردنية والســورية ، وان يتـــخذ المجلس التدابير السياسية والاقتصـــادية والعسكرية لقمع العدوان ولازالة آثاره •

وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها بعض اعضاء المجلس ومن بينهم احدى الدول الخمس الكبرى وهي الاتحاد السوفيتي ، فلقد كان من الواضح منذ البداية أن هنـــاك قوى اخرى في المجلس تعمل على عرقلة قيـــام هذا الجهــــاز بمسئوليته وفقا لأحكام ميثاق الامم المتحدة •

فلقد تأخر صدور قرار من مجلس الامن باتخـــاذ التدبير المؤقت الفوري ، وهو الامر بوقف القتال حتى تمكنت قوى العــدوان من احتلال بعض الاراضي العربية •

كما عارضت الولايات المتــحدة الامريكية والمملكة المتحدة مشروع القرار السوفيتي الذي كان يتضمن ادانة اسرائيل وأمرها بالانسحاب الى خطوط الهدنة الاسرائيلية العربية المبرمة في رودس في سنة ١٩٤٩ • ولقـــد بررت الدولتـــان مسلـــكهما بالقـــول بأن المشروع السوفيتي سوف يعيد الامور الى ماكانت عليه قبل ٥ يونيو ومعنى ذلك استمرار المواجهـة الاسرائيلية العربية ، ودعت الدولتان الى بحث الموضـــوع في اطار تسوية تحقق السلام في المنطقة •

ومن الواضح أن موقف الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحـدة يتضمن محاولة واضـــحة للضغط على الشـــعوب العربية ، لاكراهها على قبول تنازلات ، الامر الذي يؤدي الى استفادة المعتدين من عدوانهم • وهذا وضع غير مقبول في ظل ميثاق الامم المتـحدة الذي يحرم – كما أوضحنا من قبل – عمليات الغزو والفتح ، ويمنع الحصول على حقوق أو مزايا اقليمية نتيجة لاستعمال القوة أو للتهديد بها•

(٢) صدر هذا القرار من الجمعية العامة سنة ١٩٥٠

الامن عجز عن القيام بالواجب الملقى عليه ، واصبح فى الظروف الحالية مكانا غير مناسب لمناقشة العدوان وادانته .

وكان من الطبيعى أن يتجه الرأى العام العالمى للجمعية العامة للامم المتحدة باعتبارها الجهاز الأكثر تمثيلا للرأى العام العالمى حيث انها تضم كافة أعضاء الامم المتحدة ، هذا فضلا عن الدور الهام الذى تقوم به فى داخل الجمعية العامة ، مجموعة الدول الآسيوية والافريقية التى تمثل أكبر كتلة دولية فى داخل الجمعية العامة .

ولما كان من الضرورى لاجتماع الجمعية العامة فى دورة استثنائية موافقة أغلبية أعضاء الامم المتحدة أى ٦٢ دولة على الأقل من مجموع الاعضاء وهو ١٢٢ دولة ، فقد كان من اللازم أن ينتظر الامين العام توافر هذه الاغلبية حتى يمكن دعوة الجمعية العامة الى الانعقاد بناء على دعوة الاتحاد السوفيتى الذى تبنى رسميا المطالبة بعقد الدورة الاستثنائية .

ولقد توافرت هذه الاغلبية فى يوم ١٦ يونيو سنة ١٩٦٧ ، وهكذا انتقلت مسئولية مقاومة العدوان وازالة آثاره الى هذا الجهاز الدولى الكبير .

وتنتظر الشعوب العربية بأمل وثقة فى عدالة الرأى العام العالمى الممثل فى الجمعية العامة للأمم المتحدة . ومع ان صدور قرار من الجمعية العامة للامم المتحدة يستلزم موافقة أغلبية ثلثى أعضاء الامم المتحدة الحاضرين المشتركين فى التصويت ، الا أن عدالة القضية العربية ، ووضوح العدوان الاسرائيلى يجعل توافر هذه الاغلبية ضرورة حيوية لحماية المبادىء التى قامت الامم المتحدة من أجل تحقيقها .

ومن الواضح أن كافة الشعوب المحبة للسلام تواجه مرحلة حاسمة ومصيرية يتحدد فيها مستقبل الامم المتحدة ومبادئها وأسلوبها فى المحافظة على أمن الدول وسلامتها . وهى تؤمن تماما ، على اختلاف عقائدها والمناطق الجغرافية التى تنتمى اليها ، ان أى ضعف أو تخاذل من جانب أجهزة الامم المتحدة فى القيام بواجبها فى قمع العدوان سوف يفتح الباب أمام مغامرات عدوانية متكررة ، تكون سببا فى انتشار الحروب وفى فشل الامم المتحدة كما فشلت من قبلها عصبة الامم .

ان على الامم المتحدة أن تقف بوضوح وبصراحة ضد العدوان ، وأن تؤكد أن العدوان لا يمكن أن يفيد المعتدين ، وأن تعارض بشدة اتجاهات الدول الاستعمارية للتقليل من هيبة المنظمة الدولية ولعرقلة نشاطها فى سبيل تحقيق الامن والسلام . وتؤمن الشعوب التابعة لكل دول العالم بأهمية احترام حد أدنى من النظام من شأنه تحقيق التعاون بين الشعوب واخضاعها لحكم القانون فى ظل منظمات دولية تعلو ارادتها على ارادة قوى العدوان . ومن أجل هذا فهى تطالب بتصفية قوى العدوان التى لجأت الى القوة البربرية دون مراعاة للقانون أو للأخلاق أو للمصالح الدولية .

« ان القضاء على الاستعمار فى العالم العربى يترك اسرائيل بقواها الذاتية ، ومهما كانت الظروف ، ومهما طال المدى ، فان القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل »

جمال عبد الناصر

« لن تستطيع أى دولة مهما كبرت أن تهزم أى شعب من الشعوب يصمم على أن يدافع عن نفسه وعن حقه فى الحياة وعن سيادة بلده »

جمال عبد الناصر

التطورات العسكرية للمعركة نقطة الانطلاق فى :
استراتيجية المعركة القادمة

اللواء كمال عبد الحميد

تحدد أبعاد أية معركة بأربع جبهات :

عسكرية ، وسياسية ، واقتصادية ، ومعنوية

ومن هنا تضمنت كلمة « الاستراتيجية » كل هذه الابعاد الاربعة .

وقد تبرز جبهة ما من هذه الجبهات الاربع بنشاط يفوق ما يعترى باقى الجبهات فتشد اليها اهتمام الناس ، ويترتب على ذلك أن تغيب عنهم لفترة – تطول أو تقصر حسب عمق وعيهم – ضرورة الاهتمام بباقى الجبهات .. ولا يمكن أن يتحدد مصير أية معركة الا بمقدار الحصيلة النهائية لصافى العمليات على امتداد الجبهات الاربع بأكملها .

وقد رأينا عبر التاريخ .. ويكفى ان نشير الى ما عاصرناه فى اعظم حرب شهدتها الدنيا من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٥ كيف تغير مصير الحرب بالرغم مما اعترى ميادينها من مفاجآت اختلفت كلها فى البداية عما انتهت اليه .

فلقد اكتسح الألمان بولندا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، وتوغلوا فى أراضى روسيا عام ١٩٤١ ، وقضوا على فرنسا فى عام ١٩٤٠ ، وطووا كل أوروبا الشرقية والجنوبية والشمالية ، بل وقفزوا الى شمال أفريقيا ، ثم خسروا الحرب نهائيا بالرغم مما حققوه عسكريا فى كل الميادين طوال خمس سنوات أو تزيد .

خسروها لان حصيلتهم فى الجبهات الثلاث الاخرى كانت خاسرة سياسيا ومعنويا واقتصاديا .

ومن ناحية أخرى خسر الانجليز معارك الصحراء الغربية أكثر من مرة كما خسروا جوهر قواتهم المسلحة فى دنكرك وما قبلها ، وخسروا فى الملايو أمام اليابان ، وخسروا معظم المعارك على مسارحها العسكرية ، ولكنهم حققوا فى نهاية الحرب حصيلة ضخمة فى الجبهات السياسية والاقتصادية والمعنوية مع من حالفهم ووقف بجانبهم .. فكان هذا وحده كافيا لاستعادة الكسب العسكرى الذى استكملوا به نصرهم .

وعكس ذلك بالضبط حدث مع الأمريكيين فقد خسروا فى بيرل هاربور أمام مفاجأة اليابانيين لهم فى ديسمبر عام ١٩٤١ ، وخسروا فى الشرق الاقصى أكثر من مرة فى الميادين العسكرية ، ولكنهم حققوا أيضا فى النهاية كسبا شاملا للمعركة بسبب انتصارهم فى الميادين السياسية والمعنوية والاقتصادية فترتب على هذه الانتصارات كسب عسكرى توج انتصارهم النهائى .

***

كان لابد من تقديم هذا التحليل الصادق الهادىء الواقعى فى حديثنا عن معركتنا التى

بدأت بالامس القريب ولم ينته منها الا مقدمة النشاط العسكرى الذى حقق فيه تعاون الاستعمار الانجلو - أمريكى مع الصهيونية العالمية كسبا عسكريا لم يزل معلقا بكثير من الاعتبارات التى ترتبط بها الميادين الثلاثة الاخرى ٠٠ فى السياسة والاقتصاد والميدان النفسى أو المعنوى ، ولابد كذلك من أن نقدم فى ايجاز صورة تحليلية لظروف التطورات التى لازمت مسرح العمليات الحربية أو ظهرت عليه أثناء المعركة .

● فقد بدأ العدو حشد قواته على الجبهة السورية فى أوائل شهر مايو الماضى بدعوى ايقاف غارات الفدائيين الذين يتسللون من الجبهة السورية لاعمال التخريب فى داخل فلسطين المحتلة ٠

وقد اختار العدو هذه الفترة بالذات لاتمام حشودة لتحقيق ثلاثة أهداف مباشرة :

١ - تهديد سوريا عمليا وبالقوة ، حتى تقف غارات هؤلاء الفدائيين الذين سببوا بالفعل قلقا نفسيا وماديا فى المستعمرات اليهودية المتاخمة لسوريا ٠

٢- شغل الرأى العام العالمى بما بالغت فيه اسرائيل من خطورة هؤلاء الفدائيين وذلك قبل بدء موسم جمع التبرعات السنوى الذى يبدأ عادة فى مطلع كل صيف ٠٠ وقبل تقديم المؤسسات الامريكية والعالمية ميزانياتها اذ من المعروف أن التبرعات التي تقدمها الشركات والافراد فى الولايات المتحدة معفاة كلها من الضرائب ٠

٣ - شغل الرأى العام اليهودى عن حقائق متاعب الحياة التى يتذمر منها بصفة خاصة الفنيون والاخصائيون اليهود الذين بدأوا ينزحون من اسرائيل عائدين نهائيا الى بلادهم الاصلية ، وبعدأن اتسعت حدة الاضراب بين المهنيين من أطباء ومدرسين وضباط الشرطة والفنيين ، فكان لا بد من اختلاق نشاط عسكرى يخفى حقيقة الهجرة العكسية من اسرائيل فى الوقت الذى كانت تنتظر فيه مضاعفة الهجرة اليها ٠

● لم يكن واضحا بعد أن الجمهورية العربية المتحدة ستلتزم أمام سوريا بتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك اذا تعرضت سوريا لهجوم جدى من جانب اسرائيل ، وقد رجح هذا موقف الجمهورية العربية ازاء العدوان الجوى الاسرائيلى على سوريا فى شهر ابريل الماضى ٠

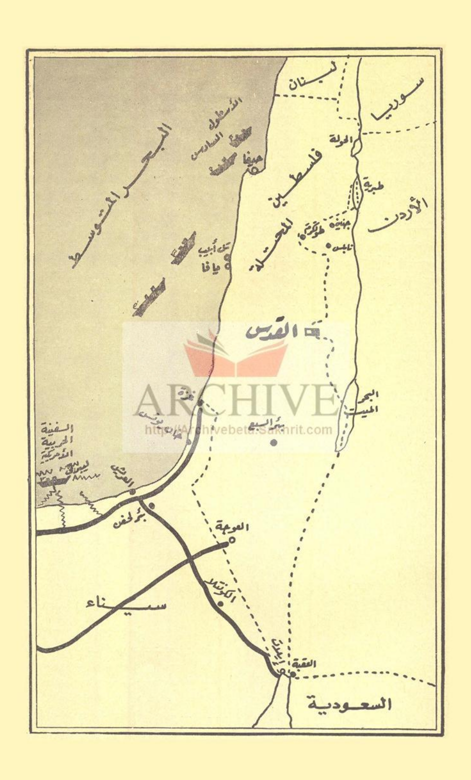
● وبعد أن تأكدت الجمهورية العربية المتحدة من اتمام الحشد الاسرائيلى وبما لا يدع مجالا للشك فى جدية التهديد لسوريا ، كان لابد أن تتخذ الجمهورية العربية موقفا ايجابيا سريعا لا تفرضه فقط التزامات الاتفاقية المشتركة مع سوريا ، بل تفرضه ضرورةالامن العربى الشامل ٠ وتحركت القوات المصريةالى مواقعها فى شبه جزيرة سيناء ، وتم كل هذا بأسرع وأكفأ ما يمكن أداؤه ، مما ترتب عليه تلاشى التهديد الاسرائيلى لسوريا ، وظهور وضع جديد فى الشرق الاوسط ٠٠ هو ازدياد التوتر بين سوريا والجمهورية العربية المتحدة وبين اسرائيل بعد أن كان الموقف محدودا ومحصورا فى قطاع الجبهة السورية٠

● هنا بدأ تدخل القوى الاستعمارية ، فى سرعة وقوة ووضوح ، لمواجهة الموقف الجديد الذى ترتب على الجبهتين المصرية والاسرائيلية ، والسورية والاسرائيلية ٠

حاول الاستعمار ، كسبا للوقت ، أن يقحم حكومة الاردن فى مشكلة محلية مع سوريا ، لعل هذه المشكلة تؤجل أية مبادأة للعمليات يحتمل أن تقوم بها سوريا أو الجمهورية العربية المتحدة ٠

وفى نفس الوقت بدأت المعونات المادية من الاسلحة والذخائر والمعدات الفنية اللازمة لتحقيق التفوق الآلى فى المعركة ترد بسرعة الى اسرائيل من الولايات المتحدة مباشرة ومن قواعدها فى المانيا الغربية ، ومن قاعدة هويلس فى ليبيا ومن بريطانيا ومن حكومة المانيا الغربية وهولندة ٠

كما تحرك الاسطول السادس من موانى ايطاليا وشمال افريقيا واليونان وتجمعت قطعه فى شرق البحر المتوسط ، وانضمت الى


لبنان
سوريا
الحولة
طبرية
الأردن
فلسطين المحتلة
جنين
طولكرم
نابلس
البحر المتوسط
الأسطول السادس
حيفا
تل أبيب
يافا
القدس
البحر الميت
غزة
بئر السبع
السفينة الحربية الأمريكية
ليبرتي
العريش
بئر لحفن
العوجة
الكونتلا
سيناء
إيلات
العقبة
السعودية

مجموعة السفن الحربية الأمريكية حاملة طائرات اضافية هى « أمريكا » ، بخلاف لحاملتين موجودتين أصلا « ساراتوجا وكونستليشن » ، وبخلاف حاملة الطائرات الرابعة «أنتربيد» التى اتجهت عبر قناة السويس الى البحر الأحمر ، ولعل وجودها فى تلك الفترة فى هذا البحر بالذات كان مقدمة لمحاولة تنفيذ مؤامرة ارسال قافلة بحرية دولية للمرور فى مضيق تيران الى خليج العقبة لفك الحصار عن ميناء « ايلات » باعتبارها المنفذ الوحيد لاسرائيل على البحر الاحمر ، وطريق ارتباطها مع شرق افريقيا وجنوبها ودول آسيا والشرق الاقصى ٠

وأعلنت حكومة الولايات المتحدة وصرح اعضاء برلمانها وتحدثت صحافتها بما يؤكد ضرورة مساعدة اسرائيل ٠

ونشطت الدوائر السياسية فى بريطانيا وكندا والولايات المتحدة لتنسيق عملها الموحد مع اسرائيل ٠

● وسط هذه التخطيطات السياسية والعسكرية من جانب العدو وقعت مفاجأة كبيرة كان لها أثرها المباشر فى تعجيل العدو للقيام بهجومه قبل أن يكون لهذه المفاجأة أثرها الخطير على سير الامور ٠٠ وكانت هذه المفاجأة هى زيارة الملك حسين للقاهرة لتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن ٠

وهنا لابد أن نشير الى بعض النتائج المباشرة لهذه الاتفاقية ، وكيف قدر العدو أهمية هذه النتائج ولعل أهمها :

١ – تعرض الحدود الاسرائيلية الشرقية وطولها ٦٤٠ كيلو مترا للهجوم الاردنى من بحيرة طبرية شمالا الى العقبة جنوبا ٠

بالاضافة الى وجود بعض مناطق لايزيد فيها عرض اسرائيل عن ١٢ كيلو مترا ، بمعنى ان هناك مناطق يمكن أن يرى فيها البحر المتوسط من الأراضى الأردنية أى أن مدن اسرائيل اصبحت فى موقف يعرضها للضرب المباشر من المواقع الاردنية حتى بدون اى هجوم ٠٠ وكان هذا كله يتطلب من اسرائيل اما أن تسحب قوات ضخمة من حشودها المواجهة لحدود سيناء الشرقية ، لتستطيع مواجهة الموقف الجديد الذى ترتب على اشتراك الاردن فى العمل المشترك مع مصر وسوريا أو ضرب الحشود الاردنية بتركيز جوى يمنع تقدمها وتوغلها فى قلب اسرائيل ٠٠ وكان طبيعيا ان اشتراك الأردن معناه السماح السريع لدخول القوات العراقية الى أرض المعركة وهذا يزيد الموقف خطورة أمام اسرائيل ٠٠

وبالطبع لم يكن سحب اسرائيل لقوات من الجبهة المصرية أمرا يسيرا ، اذ أن تقوية جبهتها مع الأردن لا يجب أن يترتب عليه اضعاف جبهتها مع مصر ٠٠ فكان عليها أن تضمن اجراء عمل يكفل لها اضعاف أو اسكات جبهة الأردن وتجميده بطريقة لا تقتضى معها سحب أى قوات من الجبهة المصرية ٠

فكانت رحلة أبا ايبان الى واشنطن الثانية بعد إتمام التنسيق « العام » الذى تم الاتفاق عليه بين ويلسون وجونسون ٠٠ وكان الاتفاق على أن يشترك الطيران الامريكى البريطانى فى الضرب المباشر على طول المواقع الاردنية لاسكاتها ، ومنع أى تقدم منها الى قلب فلسطين المحتلة ، واشتد التركيز على منطقة القدس ومنطقة مثلث طول كرم ، جنين ، نابلس ، باعتبار أن هذا المثلث أقرب المناطق التى كان يمكن منها شطر اسرائيل ، ولقرب المسافة بينه ، وبين أهم المدن الفلسطينية فى القطاع المحتل وهى تل ابيب ، ويافا ، واللد ، والرملة ، وحيفا ، واللطرون ٠

٢ – ونتيجة أخرى لاتفاقية الدفاع بين مصر والاردن أن اسرائيل اصبحت معرضة أيضا لنشاط أكثر وأوسع لعمليات الفدائيين الفلسطينيين فبعد أن كان مجال عملهم مقتصرا على الجبهة السورية والمصرية أصبح أمامهم فرصة أكبر للعمل السريع المباشر من مدن الضفة الغربية للاردن داخل أهم المراكز الاستراتيجية للعدو والتى لا تبعد عن هذه الضفة أكثر من كيلو مترات معدودة ٠ وبالطبع كان على اسرائيل ازاء هذا الاحتمال الخطير المنتظر أن تعمل شيئا سريعا وقويا قبل أن يصبح الوقت عاملا مساعدا لصالح النشاط

العربى ، خاصة وأن تنسيق العمل والتخطيط بين سوريا والاردن والعراق ومصر أصبح فى الدور الاول للتنفيذ بعد وصول طلائع القوات العراقية وبعد وصول هيئة القيادة المصرية لتولى القيادة العربية المشتركة فى الجبهة الاردنية ٠

٣ ـ من بين نتائج الاتفاقية أيضا احتمال تدمير ايلات أو الاستيلاء الخاطف عليها من قاعدة العقبة الاردنية التى لا تبعد عنها أكثر من خمسة كيلو مترات ، ومعنى هذا أن أمل اسرائيل فى التنفس البحرى ـ على البحر الاحمر سوف يصبح مستحيلا ٠٠ ومعنى ضياع ايلات أو تدميرها ٠٠ اضعاف مركز اسرائيل فى المطالبة بحرية الملاحة فى خليج العقبة ٠٠

ومعنى ذلك كله أنه لابد لها أن تبدأ هى بضربة سريعة وقوية ، لتحول دون توقع هذا الاحتمال الناجم من توقيع الاتفاقية ، اذ أن ضرب ايلات أو التحرك اليها أمر لا يسهل تحقيقه بسرعة خاطفة الا من العقبة ، والتى اصبح امكان استغلال موقعها ممكنا بعد الاتفاقية وخصوصا مع وجود قوات مصرية فى شرم الشيخ يمكن أن تعاون اذا احتاج الامر، بل ويمكن للقوات البحرية المصرية والطيران المصرى أن تسهم فى هذه العملية بعد تجهيز القوة المناسبة فى العقبة ٠ ولهذا سبقت اسرائيل ٠ ومعها الطيران الانجلو أمريكى بالعمل ضد الجبهة الاردنية الشمالية والوسطى، لتجميدها ومنع أى نشاط يمكن أن يمتد منها الى العقبة٠

٤ ـ وهناك نتائج أخرى من النواحى السياسية والاقتصادية والمعنوية نرجىء الحديث عنها الى فرصة أخرى انما أردنا أن نبرز أهم الاعتبارات العسكرية التى تفتحت احتمالاتها وخطورتها أمام اسرائيل بسبب توقيع الاتفاقية المصرية الاردنية ٠

ولهذه الاسباب كان حتما أن تبدأ اسرائيل بالعمل ، اذ أن الانتظار لا يحقق لها اى مصلحة ، فقد كان عامل الوقت ضدها ٠٠

وقد وصلت قمة الحشد المعنوى العربى الى ذروته بعد توقيع اتفاقية العراق ايضا ، وبعد تكتل عرب المشرق وعرب المغرب الى جانب القضية ٠ ولهذا كان لابد أن يواجه الاستعمار عمليا وبقوة وتحد الشعور العربى ، بما أعلنه عن استمرار تأييده لاسرائيل ٠ وكانت قرارات مؤتمر البترول فى بغداد لم توضح وقت التنفيذ ، وكان لابد أن يتحرك الاستعمار مع الصهيونية لعمل سريع حاسم ، قبل ان تكون لهذه القرارات أية صفة ايجابية المفعول ٠ فكان أن بدأ العدوان فى صبيحة اليوم التالى لتوقيع اتفاقية العراق مع مصر ، وبعد انعقاد مؤتمر البترول العربى فى بغداد بيوم واحد ٠٠

وقد تمثل الدور الواضح المباشر للعون الامريكى لاسرائيل فى :

١ ـ تأمين شواطىء وموانىء اسرائيل ضد أى هجوم بحرى مصرى عليها وتقوم قطع الاسطول السادس بذلك ٠

٢ ـ تأمين أجواء وأراضى اسرائيل من أى هجوم جوى مصرى عليها ، وتقوم الطائرات الامريكية سواء العاملة من فوق حاملات الطائرات ، أو الطائرات التى كانت قد وصلت بالفعل من القواعد الأمريكية فى المانيا الغربية وهبطت فى مطار رامات وافيد ٠

٣ ـ الاشتراك المباشر بالضرب على الجبهة الاردنية وبتركيز شديد لمنع اى تقدم الى الاراضى الاسرائيلية ٠

٤ ـ استخدام السفينة الحربية « ليبرتى » لاطلاق موجات تشويش الكترونية من امام بحيرة البردويل شمال سيناء لافساد فاعلية أجهزة الرادار وأجهزة اللاسلكى التى تعتمد عليها وحدات القوات المصرية فى الاتصال بين بعضها وبعض ، وذلك لمحاولة تعطيل العمليات المصرية ، أو على الاقل لازعاج الوحدات المصرية فى سيناء بأذاعات وتشويشات تعرقل بلا شك اصدار الأوامر والتعليمات المفروض أن تتبادلها الوحدات والقيادات فى القوات الموزعة على طول الجبهة عن طريق اللاسلكى ،

كما أن أجهزة التجسس الموجودة بهـــذه السفينة مكنتهامن فك رموز الشفرات المختلفة التى تتعامل بها القيادات فى الميدان ونقلهـا رأسا الى قيادة العدو بل وارســـال اشارات لاسلكية تضليلية باللغة العربية ٠

٥ ـ القيام بعمليات امداد مباشرة بالجو من قاعدة هويلس فى ليبيا الى اسرائيل سواء كان هذا الامداد بالذخيرة أو الاسلحة أو المواد التموينية أو الادوات الفنية وخصوصـا فيما يتعلق الدفاع الجوى المضاد للطائرات ٠ وتم هذا الاستعداد والتشويش كلهطوال الاسبوعين السابقين للمعركة وأثناءها ٠٠ كل هـذا فى الوقت الذى طالبتنا فيه الدول الكبرى ومجلس الامن ٠٠ بضبط النفس والتقاط الانفاس !!

٦ ـ نقل كثير من الفنيين الامريكيينوبعض المعدات من القواعد الامريكية فى المانيا الغربية وتركيا الى اسرائيل ٠٠ وخاصة قطع الغيـار وذخيرة الطائرات ودبابات الفهد « ليوبرد » التى سبق لامريكا أن اشترتها بالثمن ، وطلبت من المانيا أهداءها لاسرائيل عامى ٦٤ ، ١٩٦٥ والتى بسببها قطعت العلاقات الدبلوماسيةبين الدول العربية والمانيا الغربية ٠

***

كانت هذه أبرز ملامح المساعدات المباشرة الامريكية فى المعركة ، ولاشك أن مرور الوقت سيكشف أمورا جديدة ، قد تكون أكثرخطورة وأهمية ٠ وقد أصرت الولايات المتحـدة على عدم اشتراك طيرانها فى العمل الجوى المباشر على الجبهة المصرية ، لتنفى عن نفسها أى تواطؤ مع اسرائيل ، واكتفت بحمـــاية القواعد الاسرائيلية من طيراننا ، فأتاحت بذلكالفرصة لاسرائيل لتجميع كل قوة فى العمل المبـاشر ضد القوات المصرية ٠

وبالنسبة لدور بريطانيا ٠٠ فقد حرصت على أن تترك صدارة العمل للولايات المتحدة ، لقدرتها الاكبر من جهـــة ، ولعـــدم رغبـة حكومة بريطانيا العمالية فى أن تعرض نفسها مرة أخرى لما تعرضت له حكومة المحافظين عام ١٩٥٦ ، خاصة وأن فضائح اشتراكها السابقة قد انكشفت أخيرا لكل العالم ٠٠ فـكان دور بريطانيا فى هذه المعركة دور التابع المسـاعد ٠٠ فقد حشدت لنفسها قوات فى طبرق بليبيا وأرسلت قوات جوية الى اسرائيل من قاذفات القنابل لتعمل اساسا على الجبهة الســورية والاردنية ، ولتعاون على الجبهة المصرية ، كما أرسلت ثلاث حاملات للطائرات للعمل الجوى من البحـر ، وفى حراستها أربع مدمرات ، وكان ميدان عملها فى شرقى البحر المتوسط وذلك بخلاف تواجدغواصة ذرية احتياطية فى جبل طارق ٠

وهكذا اتضحت ظروف المؤامرة ،ولسوف تظهر لنا الايام القادمة حقائق اكثر وضــوحا وخطورة عن دور الاستعمار فى هـذه المؤامرة ولقد كان مؤكدا أن اسرائيل عمدت الى اغراق سفينة التجسس الامريكيـة « ليبرتى » بأن أغارت عليها جوا وبحرا واشترك فى هـذا الهجوم الاسرائيلى كمـا أذاعت وزارة الدفاع الامريكية فى بلاغها الرسمى ٠٠ « مجموعة من الطائرات الاسرائيلية النفـــاثة قامت بست هجمات على الســفينة الامريكية وأعقب ذلك بعشرين دقيقة هجوم بحرى اشترك فيه ثلاثة زوارق طوربيد أطلقت طوربيدين وقد قامت السفينة الامريكية باطلاق النيران على زوارق الطوربيد بمدافعها من عيار ٥٠ مم وتراجعت السفينة للوراء مسافة ٢٥ ياردة بينما أصيبت اصابة مباشرة بطوربيد فى جانبها ترتب عليه حدوث خسارة فنية ضخمة بالسفينة علاوة على قتل ٢٤ فردا وأصابة مائة بجراح منهم ٢٠ اصابةبالغة وكانتالسفينة المذكورة قد تركت قاعدتها « روتا » فى أسبانيا يوم ٢ يونيــة للعمل شرقى البحر المتوسط بدعوى مساعدة السلطات الامريكية فى البلاد العربية على تبادل المعلومات والتعليمات لاخلاء الرعايا الأمريكيين»

ولا شك أن اسرائيل استهدفت من ضرب السفينة الأمريكية الى اغراقها حتى ينسب هذا العمل الى القوات المصرية اذ كانت السفينـة رابضة فى المياه الاقليمية المصرية وبذلك تزداد حدة الأزمة بين الجمهورية العربية المتحـدة وامريكا وكان الهـــدف الثانى الذى أرادته اسرائيل من وراء هذا العمـــل هو اغراق

السفينة ومعها السر الذى كان هو وحده السبب المباشر للنكسة العسكرية فى سينا وبذلك تحقق اسرائيل كسبا معنويا كبيرا بما ستدعيه من تفوقها الفنى والعسكرى فى المعركة على القوات المصرية التى كان مفروضا أن تجهل حقيقة وجود هذه السفينة التى أتاحت لاسرائيل كل التفوق الفعلى الفنى فى المعركة ٠٠ ومن أجل هذا نقول ان المعركة لم تنته ، ولا يمكن القول أبدا اننا خسرناها كلها ٠٠ وان كنا قد خسرنا بالفعل فى الميدان العسكرى أمام التفوق الذى أتاحه اشتراك الاستعمار ، وعلى الاخص أمريكا ، الا أننا مازلنا ٠٠ كعرب نملك زمام العمل على طول امتداد الميادين الثلاثة الباقية حاليا وهى الميادين الاقتصادية والسياسية والمعنوية ، ويمكن القيام بدور كبير فيها بما يعوضنا خسارتنا العسكرية ٠

فلم يحدث من قبل أن اجتمع عرب المشرق والمغرب جميعهم على عمل موحد ، و على قضية ما، الا هذه المرة ، اذ التقت جميع القوى العربية لقاء سريعا مثمرا وفعالا على مستوى الحكومات والشعوب بدرجة فاجأت العالم كله ٠٠ وكان تحقيق هذه الغاية أمرا تصوره الكثيرون بعيد التحقيق ٠٠ ولكنه تم فعلا ٠٠ حتى ولو كان ثمن تحقيقه ما خسرناه فى المعركة ، لكان هذا الثمن ، بحق وعدل ، اقل مما كان يلزم لتحقيقه بالنسبة لظروف التفرقة والخصومات والخلافات التى ظلت قائمة الى ما قبيل المعركة ، وكان الاستعمار صاحب الدور الاول فى قيامها، حريصا على زيادتها وتأجيجها ٠

ومعنى هذه الوحدة العربية الشاملة فى الصف والعمل والهدف أننا نستطيع عن طريقها العمل السياسى ، وممارسة الضغط الاقتصادى ، وتعبئة المعنويات لا فى دنيا العرب وحدها بل ومع أصدقاء العرب فى دول العالم الثالث والدول الاشتراكية لكى نساعد على توحيد سياستها وخطتها للضغط على مصالح وسياسة واقتصاديات الغرب الاستعمارى الذى أوجد اسرائيل وساعدها ورجح كفتها فى معركتين خلال أحد عشر عاما ٠٠

***

ولهذا أقول ان المعركة لم تنته حتى من الناحية العسكرية لأن وقف القتال لا ينهى استعدادنا ، والافادة من الدروس التى كشفت عنها المعركة العسكرية ٠٠ وللانصاف يجب أن نقول ان موقف الاردن المشرف كان رائعا فى المعركة ، ولكنى مع ذلك اقول ايضا لوجه التاريخ أنه جاء متأخرا ، اذ أنه فى الوقت الذى حشدت فيه اسرائيل قواتها ضد سوريا وحشدت فيه مصر قواتها ضد اسرائيل ٠ وأصبح الموقف العربى الموحد بين سوريا ومصر واضحا ٠٠ فوجىء العالم العربى بموقف مضاد مؤلم بين الاردن وسوريا ، ترتب عليه طرد السفير السورى من الاردن واغلاق السفارة السورية فى عمان ٠٠ حدث هذا فى الايام القليلة التى سبقت توقيع الاتفاقية بين مصر والاردن ٠

وأقول للعظة ما أحوجنا كعرب الى روح العمل الموحد ، حتى بدون أى اتفاقية ٠ وان كان القصد المعلوم من هذه الاتفاقيات هو تنظيم اسلوب العمل المشترك وترجمة روح الوحدة الى عمل منظم منسق ٠٠ وانى لاتصور الموقف لو اجتمعت كلمة العرب قبل الحوادث بنفس القوة التى تمت بها اثناء العمليات ٠

لقد كان الممكن أن نحقق كثيرا ، ولكن لم تزل الفرصة أمامنا ولم يزل مجال العمل مفتوحا أمامنا على امتداد الجبهات السياسية والاقتصادية والمعنوية ، والاستعداد فى نفس الوقت للعمل من جديد عسكريا ٠٠ وليكن لنا من دروس التاريخ وحقائقه وسننه حافزا ٠٠ وليكن لنا من حقنا وثقتنا فى الله حافزا أكبر



دور اليهود فى العدوان

يمتد المجال الجغرافى للصراع الحربى بين اليهود وقاعدة الاسلام فى المدينة نحو ثلاثمائة وخمسين كيلو مترا فيما بين المدينة جنوبا وتيماء شمالا على محور الواحات الذى ينتهى الى أرض الشام . وتتوفر فى هذا المحور موارد من مياه السيول والعيون والآبار يستطيع بها السكان اقامة حياة مستقرة تعتمد على الزراعة والتجارة وبعض الصناعات كالحدادة والصياغة .

أما المجال الجغرافى للتآمر اليهودى فشمل دائرة أوسع تمتد الى مكة جنوبا والى قلب نجد شرقا والى أطراف الشام شمالا والى ساحل البحر الاحمر غربا .. أى انها تشمل معظم النصف الشمالى من الجزيرة العربية .

ويستغرق المدى الزمنى للصراع ست سنوات من الثانية الى السابعة للهجرة . ويتفاعل فى هذه الفترة ـ تفاعلا قويا مع الجبهات الداخلية والخارجية التى انتصر عليها الاسلام دفاعا عن قاعدته ووجوده .

وهذه السنوات الست يمكن أن نقسمها الى مرحلتين :

١ ـ المرحلة الاولى : من السنة الثانية الى الخامسة وفيها دار الصراع فوق أرض المدينة وفى ضواحيها القريبة فى الجنوب الشرقى .

٢ ـ المرحلة الثانية : فى السنة السابعة واستطاع فيها الاسلام أن يقوم بتصفية سريعة وحاسمة لنقط المقاومة فى الجبهة الشمالية : خيبر ـ وكانت أعتى هذه النقط ـ ومن ورائها سقطت حصون فدك ووادى القرى وتيماء .

قاعدة الاسلام

ولنبدأ بعرض الملامح الجغرافية ـ طبيعية وبشرية ـ لقاعدة الاسلام فى المدينة حتى نستطيع أن نتعرف على أسباب الصراع بينها وبين اليهود .

تبعد المدينة عن ساحل البحر الاحمر نحو مائة وستين كيلو مترا ، وعن مكة ـ فى خط مستقيم ـ نحو ثلاثمائة وخمسين كيلو مترا . وتشغل جزءا منخفضا من سهل مرتفع . ومستواها نحو سبعمائة مترا فوق سطح البحر . وتحيط بها التلال ـ أو الجبال كما تسميها كتب السيرة ـ وانحدارها العام من الشرق والجنوب نحو الشمال الغربى .

وترتفع حرة واقم الى شرق المدينة ،وحرة الوبرة الى غربها . وتطلق العرب لفظ الحرة واللابة على التكوينات البركانية . والى الحرتين ـ أو اللابتين ـ يشير الحديث الشريف « اللهم انى حرمت ما بين لا بتيها كما حرم ابراهيم خليلك .. (اى كما حرم مكة) . (١)

والى الجنوب جبل عير والى الشمال جبل أحد ومن ورائه جبل ثور . واليهما يشير الحديث الشريف « المدينة حرام ما بين عير وثور » .

ومن حرة واقم الشرقية ينحدر وادى مذينيب وكانت عليه مساكن يهود بنى النضير ، ووادى مهزور وكانت عليه مساكن يهود بنى قريظة .

(١) انظر فى أحاديث المدينة مادة مدينة يثرب ، فى معجم البلدان لياقوت ٥ : ٨٢ ـ ٨٨ ط. بيروت .

على قاعدة الإسلام في المدينة !

دكتور عبد العزيز كامل

ويلتقى الواديان باسم وادى بطحان ، الذى يلتقى بوادى رانوناء منحدرا من جبل عير • وتتجه هذه الاودية نحو الشمال الغربى ويلتقى بها وادى قناة منحدرا من الشرق ، وتتجمع هذه الاودية فى وادى العقيق الذى يخترق حرة الوبرة مقبلا من الجنوب ويتابع جريانه شمالا الى ما وراء المدينة •

واذا كانت مكة قد تمتعت من أقدم العصور بأنها حرم الله وفيها بيته ، فان المدينة لم تنل هذه الحرمة الا بعد مقام الرسول فيها واتخاذها قاعدة الاسلام • وهى حرمة لم يكن يدين بها وقتئذ الا المسلمون ، فى حين كان العرب جميعا يدينون بحرمة مكة • من أجل ذلك كان على المدينة قبل الاسلام وفى مرحلة تأسيس القاعدة الاسلامية ان تحمى نفسها بنفسها ، وانعكس هذا على تخطيطها العام ونظام مبانيها •

والعامل الرئيسى الذى تحكم فى توزيع سكان المدينة هو موارد المياه • وترتبط هذه الموارد - أكثر ما ترتبط - بتوزيع الاودية وفى نظامها الشجرى الذى يتجمع فى وادى العقيق يسكن أهل يثرب ضفاف الاودية وينتشرون حيث يستطيعون جر مياهها • ومن هنا تبدو ميزات عوالى المدينة وأجزائها المرتفعة :

١ - فعندها الفرص الأولى فى السقيا •

٢ - وعندها امكانيات أوسع فى الزراعة •

٣ - ويستطيعون الدفاع عن أنفسهم ضد أية غارة •• فمواقعهم هى الحاكمة فى المدينة•

ولم تكن كل عوالى المدينة خالصة لليهود • كما أن اليهود لم يكونوا مركزين فيها ، وانما كانت لهم ثلاثة مواضع رئيسية :

(أ) فى قلب المدينة حيث يهود بنى قينقاع يمارسون التجارة والصناعة وبخاصة الصياغة •

(ب) فى الجنوب الشرقى حيث عاش يهود بنى النضير على وادى مذينيب ، ويهود بنى قريظة على وادى مهزور •

(ج) أما الاوس والخزرج فكانوا ينتشرون فى عالية المدينة وسافلتها •

وكان سكان الاحياء يحمون أنفسهم ببناء الحصون والدور الحجرية القوية (الآطام) يجمعون فيها المئونة والسلاح ويتحرون - ما استطاعوا - أن يتوفر فيها مورد ماء داخلى يعتمد عليه المحاصرون •• فاذا ما أحس القوم خطرا سارعوا من حقولهم وأسواقهم الى الحصون واعتصموا بها ، ودافعوا عن أنفسهم خطر الاغارة الخارجية أو الصراع الداخلى •

وتستطيع المدينة بهذا أن تكون فى ساعات العسرة والتماسك الداخلى حصنا كبيرا يدافع عن نفسه خطرا خارجيا • ومن الممكن - فى حالات الصراع الداخلى - أن يتفكك الكيان الكبير الى مجموعة من الكيانات الصغيرة المتصارعة •• من الممكن وفى حالات أخرى - اذا ما تخلى بعض أصحاب الحصون الحاكمة - وبخاصة فى العالية - عن ولائهم للمدينة ، ان يصبحوا مصدر خطر كبير يهدد سلامتها ويفتح فيها أخطر الثغرات : وهذا ما حاوله يهود بنى قريظة فى غزوة الخندق •

التكوين الاجتماعي

ويرتبط التكوين الاجتماعي للمدينة بأحداث تتسع دائرتها الى ما وراء الجزيرة العربية نفسها • فمن قديم سكنتها قبائل عربية من العماليق • ثم لما أفسد اليهود فى فلسطين بطش بهم حكامها وبخاصة من الروم ، فخرج نفر من اليهود لاجئين الى القرى العربية على المحور الممتد من الشام الى اليمن •

وتمر السنون ويستطيعون الاستئثار أو السيطرة على أكثر من واحة : المدينة ، وخيبر وفدك ، ووادى القرى ، وتيماء • وكلها فى منتصف الشمالى من المحور، وان وصلت جاليات منهم الى ما وراء ذلك جنوبا •

واذا كان الحكم الرومانى قد أدى الى هذه الازاحات السكانيه نحو الجنوب ، فقد كان له تاثير آخر على الجنوب العربى •

فقد حاول اليونان والرومان السيطرة على تجارة البحر الاحمر والمحيط الهندى ، وهى التجارة التى كان يقوم سكان الجنوب العربى بنصيب كبير فيها ، واستطاعوا بها وبالزراعة أن يقيموا حضارات شامخة فى أرضهم • وفى هذا الصراع فقد سكان اليمن والجنوب العربى السيطرة على البحار ، وحرمهم اليونان والرومان من مورد كبير كانت له مساهمته الفعالة فى بنائهم الحضارى، وانعكس هذا الضغط الاقتصادى على مشروعاتهم الزراعية الكبرى وبخاصة السدود الكثيرة التى كانوا ينشئونها لحجز المياه • وعندما قلت صيانتها أخذت تتصدع • وأدى هذا بدوره الى قلة الانتاج الزراعى • ومع التدهور البحرى والزراعى أخذت حضارات اليمن تدخل فى ليل حتى جاء فجر الاسلام (٢) •

ومع تدهور الحضارات الجنوبية – وان أرجعه بعض المؤرخين الى عوامل مناخية وليس هناك علميا ما يمنع من تاثير هذه العوامل جميعا – حدثت هجرات واسعة من الجنوب الى خارج الجزيرة العربية الى أجزائها الوسطى والشمالية والذى يهمنا منها وفود الأوس والخزرج الى المدينة وسكناهم فيها •

يأتى الأوس والخزرج – من عرب الجنوب – الى يثرب ، فينسى اليهود أن هذه الارض قد وسعتهم من قبل عندما فروا من بطش وقع بهم بعد افساد فى الارض – كما ينص القرآن الكريم – وظنوا أنفسهم أصحاب الارض ، وحاولوا أن يستبدوا بالاوس والخزرج استبداد، وصل – كما يقول ياقوت – الى الارزاق والاعراض •

وتحدث فى تلك الدورة من دورات الصراع ظاهرة كثيرا ما نلقاها فى تاريخنا العربى الطويل : يتلفت عرب الأوس والخزرج حولهم ، ويجمعون صفوفهم ويستعينون باخوانهم الغساسنه – على أطراف الشام – وهم مثلهم من عرب الجنوب المهاجرين – وكانت لهم فرص أوسع فى الاستقرار والازهار الحضارى • ويعينهم الغساسنة بجيش يستطيع أن ينتقم من سوء اليهود ويقضى على زعمائهم ورؤوس الشر فيهم • وصار الاوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة • واتخذوا القصور والاموال والآطام وقدم الرسول المدينة وهم كذلك (٣) •

فالصراع بين العرب واليهود فى المدينة سابق للاسلام • ولم يكن الاسلام سببا له • ولم يستطع عرب المدينة وحدهم أن يلقوا هذا الشر ، وكان من العون العربى ما أعانهم على استعادة حق عربى أصيل •

فمشكلة اليهود اذن كانت نابعة منهم ، يحملون بذورها حيث يقيمون : حاربهم عرب المدينة فى جاهليتهم كما حاربوهم بعد اسلامهم واذا كانت قاعدة الاسلام فى المدينة قد ورثت هذا الصراع ، فقد كان ذلك من أجل استعادة

---

(٢) تراجع خلاصة هذه الآراء فى البحث الآتى :

— Huzayyin,s., (1956), *Changes of Climate and Human Adjustment in the Saharo - Arabian Belt*, with Special Reference to Africa, pp. 304 - 323. in :

— *Man's Role in Changing the Face of the Earth*, edited by W.L.Thomas Tr, Univ. of Chicago Press.

— Hourani, G.F., (1951), *Arab Seafaring in the Indian Ocean in the Early and Medieval Times*, pp. 17 - 36 Princeton univ. Press.

(٣) معجم البلدان ٥ : ٨٥

حق ، والقضاء على أوكار الفتنة فى الجزيرة العربية • أما الدين من حيث هو دين ، فالذى يحكم المسلمين فيه قول الله تعالى « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » •

ومع تعرض الأوس والخزرج لخطر اليهود المشترك ، فقد كانت بينهم حروب وثارات فى الجاهلية ، واتخذ كل منهم لنفسه حلفاء من اليهود • واستطاع اليهود بذلك أن يحفظوا جانبا من قوتهم فى المدينة ، واطمأن كل فريق منهم الى محالفته حيا من عرب المدينة : الخزرج يحالفون بنى قينقاع وبنى النضير والاوس يحالفون بنى قريظة • وأصبح كل فريق من الأوس والخزرج – قبل الاسلام – حريصا على حلفائه من اليهود • واليهود – من ناحيتهم – يحرصون على ألا يجتمع الاوس والخزرج عليهم، وكان لهم جهدهم قبل الاسلام وبعده فى تفكيك وحدتهم •

هذه هى الملامح الرئيسية للمدينة – طبيعية وبشرية – عندما اتخذها الرسول قاعدة للاسلام • وهنا – فى المدينة – كان المجال الأول للصراع •

المرحلة الأولى

بنو قينقاع :

كانت هناك مشكلات تتعلق بالصف الاسلامى لا بد من حسمها ، أو السير الى ذلك حتى يستطيع هذا الصف مقابلة أعدائه •

لا بد أولا من توثيق الصلة بين الأوس والخزرج ليكونوا جميعا « أنصار الله » •

ولا بد من توثيق الصلة بين الانصار وبين المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم مهاجرين الى الله ورسوله •

ولا بد مع التوحيد الفكرى للمسلمين – من توحيد حركى تستطيع به قاعدة الاسلام أن تدافع عن نفسها •• (شكل ١) •

ولكن ضد من فى هذه المرحلة ؟

الخطر القرشى خطر محقق ، والخطر اليهودى لا يزال محتملا ، لأنهم لم يبدوا عدوانا ظاهرا أول الأمر • وهم فى نفس الوقت حلف للأوس أو الخزرج • فليعقد الرسول مع اليهود حلفا جديدا – هو متابعة جزئية لوضع قائم – ولكن باسم الاسلام • وفى هذا كسب جديد ، فان الحلف الجديد سيجب الاحلاف الجاهلية ويجعل التعامل مباشرا مع الرسول كقائد للمسلمين بيده السلطة العليا فى المدينة

« وانكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فان مرده الى الله ورسوله •• وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين •• وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين •• لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم أو اثم ، فانه لا يوتغ (أى يهلك) الا نفسه وأهل بيته •• وأن بطانة المؤمنين كأنفسهم • وأنه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد • وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها وأن بينهم النصر على من دهم يثرب • وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم » (٤)

وبهذا أعطى الحلف الفرصة لليهود لتعايش وتعاون مع المسلمين على أساس من السماحة الدينية لكل أهل المدينة على اختلاف أديانهم ، مع مشاركة فى دفع أى أذى عن المدينة ، وتحديد واضح لعداوة قريش ومن نصرها •

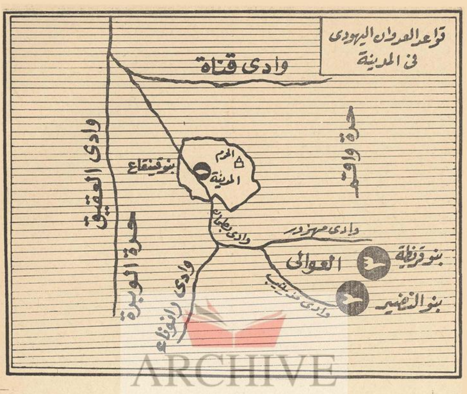
وتبدأ الحركات العسكرية فى المدينة منذ العام الأول للهجرة : ثمان سرايا وغزوات فى مجال جغرافى يمتد من شمال غرب المدينة على ساحل البحر الأحمر حتى الجنوب وراء مكة على طريق الطائف • وتهديد لتجارة قريش الشمالية والجنوبية . وتحدث غزوة بدر فى رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وينتصر فيها المسلمون على قلة عددهم وعدتهم ، على ثلاثة أضعاف قوتهم (المادية) • ويعود الرسول الى المدينة بعد النصر المبين •

هل يفرح اليهود بالانتصار •• وبالدفاع عن المدينة وبارتفاع شأنها ؟ ! هذا كعب بن الأشرف اليهودى ، وقد علم بمقتل سادات قريش فى بدر ، يقول :

« والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير من ظهرها » •

ويقصد مكة بعد أن يتيقن من الخبر يحرض على رسول الله وينشد الأشعار ويبكى قتلى

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٤٧ – ١٥٠ ط• الحلبى ١٩٣٦، القاهرة •



قريش .. ثم يعود الباكى الحزين الى المدينة ليتغزل فى نساء المسلمين !! (٥)

ولا يستطيع اليهود اخفاء غيظهم من نصر رسول الله ، فيجاهرون بالعداء ، ويشككون المسلمين فى دينهم ، وينقلون أخبار المسلمين الى المشركين ، ويفتحون بيوتهم لايواء أعداء الاسلام ويبينون لهم عورات المدينة . كل هذا بعد العهد الذى قطعوه على أنفسهم مع المسلمين بأن بينهم النصر على من دهم يثرب !!

وكان من أخطر الجيوب جيب بنى قينقاع، فهم فى قلب المدينة يخالطون المسلمين ، ويعرفون الكثير من أمرهم وأسرارهم وينقلونها الى قريش .

وتتجمع هذه الاخبار كلها عند الرسول ويتابع اليهود حملتهم مستهزئين بالاسلام والمسلمين . ويصل الامر الى تعرض للمسلمات وتطاول يثور له مسلم فى سوق بنى قينقاع فيقتل اليهودى الآثم فى سوقه ووسط قومه، فيعدو عليه اليهود قتلا ،وينسحبون الى دورهم معتمدين على سلاحهم وحلفهم الجاهلى .

ويأتى الرسول اليهم يدعوهم الى كف الأذى واحترام الحلف فيستخفون به :

ـ « لايغرنك يامحمد أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة . انا والله لئن حاربنا لتعلمن أنا نحن الناس!»

وماذا يستطيع الرسول فى هذا الموقف الا أن يقبل التحدى ، وأن يحاصر قوما استعدوا لهذا الموقف ، ويساكنونه قلب المدينة ؟

---

(٥) سيرة ابن هشام ٣ : ٥٧ ـ ٥٨

ويحاصر الرسول دور بني قينقاع خمسة عشر يوما حتى يضطر اليهود الى التسليم والرضى بما يصنعه بهم رسول الله ٠

ويتدخل رأس المنافقين ـ عبد الله بن أبى ابن سلول الخزرجي ـ طالبا من الرسول أن يحسن الى مواليه من يهود بني قينقاع : أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع ٠

فيأمر الرسول باخراجهم من المدينة على أن يتركوا وراءهم السلاح وأدوات الذهب (٦) حتى بلغوا وادى القرى ٠ وبقوا هناك زمنا ، ثم ساروا الى أذرعات على حدود الشام ٠ ولم يبقوا فيها طويلا حتى هلك أكثرهم ٠

وهكذا تخلص الرسول من القوة المعادية التى كانت تسكن قلب المدينة ٠

فهناك ارتباط واضح بين نصر المسلمين ببدر وردود الفعل التى حدثت من اليهود فى المدينة ـ وبخاصة ضد يهود بنى قينقاع على غير ما يقضى به العهد بينهم ٠

بنو النضير :

وبعد تطهير قلب المدينة بقيت قوتان : بنو النضير على وادى مذينيب ، وبنو قريظة على وادى مهزور فى ضواحى المدينة الجنوبية الشرقية ٠

ويفرغ الرسول مرة أخرى الى حرب قريش ٠ وتنتهز قريش غرة فترسل قوة بقيادة أبى سفيان من مائتى فارس ، وينزل أبو سفيان على بنى النضير ، ويعرف من سلام بن مشكم ـ من سادتهم ـ أخبار المسلمين ويتدارس معه أجدى الطرق للايقاع بهم ، ويوضح له سلام أفضل الثغرات ، فيهجم برجاله على وادى العريض ، ويحرقون ويقتلون فى عجلة ويفرون هاربين ٠ ويجد المسلمون فى طلبهم ، ويسرع كفار قريش الى مكة ملقين وراءهم ما معهم من أرزاق كثرها من السويق (٧) ٠

ويبذل الرسول أكثر جهده فى هذه المرحلة فى تهديد طرق تجارة قريش الى الشام ٠ ويؤثر هذا تأثيرا سيئا على اقتصاديات مكة ٠ ويحاول القرشيون التحول الى طريق العراق، ويصيبهم المسلمون فى هذا الطرق أيضا ٠ وبهذا أقفلوا عليهم طريقى الشام والعراق ٠٠ ومن هذه الطرق كانت قريش تستمد أكبر طاقتها الاقتصادية ٠٠ والحربية ٠

وتضع قريش قوتها فى غزوة أحد ٠ ويقف اليهود موقف التربص ٠ وتنتهى المعركة بسبعين شهيدا من المسلمين ونصر أولى لقريش تترك بعده الميدان فيتبعها الرسول رغم ما أصاب المسلمين ، فتنكص قريش عن لقاء الرسول فى حمراء الأسد حيث بقى ثلاث ليال واسترد المسلمون كثيرا من مكانتهم التى اهتزت فى غزوة أحد

لم تستطع قريش أن تثبت أمام المسلمين فى حرب سافرة ولا أن تلقى الرسول وصحبه فى حمراء الأسد بعد أحد ، فهل يحاول هذا بنو النضير ؟

هنا يلجأ بنو النضير الى الحيلة والغدر ، وانتظار فرصة مواتية يقضون فيها على الرسول نفسه ٠

ويذهب اليهم الرسول بعد حين ليستعين بهم فى دية قتيلين معاهدين قتلهما المسلمون خطأ ٠ ويجلس مع نفر من أصحابه الى جدار بيت ٠ ويرى الرسول ببصيرته النافذة كيف يقوم بعض القوم الى البعض يسرون القول ثم يلمح أحدهم يتسلل الى البيت الذى يجلس الرسول الى جداره ، فيستأذن أصحابه فى هدوء ، ويقوم وحده عائدا الى المدينة ٠ وسرعان ما تتضح خيوط المؤامرة : حجر رحى كان القوم يدبرون القاءه على الرسول وهو جالس الى الجدار ٠ ويرسل اليهم الرسول من يقول لهم :

(٦) يقول عنهم المقريزى فى « امتاع الاسماع » ـ تحقيق محمود شاكر ـ ١ : ١٠٥ وكانوا اشجع يهود واول من غدر من اليهود ٠٠٠ وجدوا فى منالهم سلاحا كثيرا ٠

(٧) ابن هشام ٣ : ٤٧ ـ ٤٩ ٠

- ان رسول الله أرسلني اليكم أن أخرجوا من بلادى • لقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم ما هممتم من الغدر بى • لقد أجلتكم عشرا • فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه (٨) •

ولنذكر ما كان - من قبل - من ايوائهم أبى سفيان فى غزوة السويق التى أغار فيها على المدينة غدرا على أساس من معلومات قدمها بنو النضير •

وكان بنو النضير حلفاء الخزرج • ويرسل اليهم عبد الله بن أبى سلول : « اثبتوا ونحن ننصركم على محمد وصحبه » •

فكأن حلف الجاهلية عاد فرفع رأسه • ويراها بنو النضير فرصة : ماذا لو انتصروا هم ومنافقو المدينة وعادت اليهم أوضاعهم كما كانت فى الجاهلية ؟

ويستقر رأيهم على القتال ويقيمون المتاريس فى الطرقات ويحتمون بالحصون ويكدسون أرزاقا تكفيهم سنة كاملة من الحصار • والماء متيسر فى آبار الحصون •

هى حرب مدن لا حرب حصون • غير فيها بنو النضير الاسلوب الذى اتبعه يهود بنى قينقاع ، سواء فى محاولة القضاء على الرسول بالتآمر أو الاستيثاق من « التحالف » بينهم وبين المنافقين ، ثم اللجوء الى اعداد أنفسهم لحرب طويلة فيها عدد من خطوط الدفاع المتوالية آخرها الحصون • واكتسبوا بهذا عمقا فى الدفاع فلا تكون الحصون هى التى تتلقى الصدمة الاولى والاخيرة كما حدث مع بنى قينقاع • وفى ذلك كله استفادوا من طبيعة الارض والتركيب الاجتماعى للسكان قبل الاسلام •

وتدور الحرب بين المسلمين وبين بنى النضير : دارا بعد دار ، وشارعا بعد شارع• واليهود يهدمون مايضطرون الى اخلائه « يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » •• عشرين ليلة من الصراع • وفى اليهود ثقة فيما عندهم من عتاد ، وما يستطيع حلفاؤهم من المنافقين أن يلقوه فى المعركة اذا مال ميزانها ضد مصلحتهم •

ويأمر الرسول باحراق نخيل اليهود •• ما داموا قد أدخلوا الأرض الزراعية فى القتال •• وينتظر اليهود النصرة من المنافقين فلا يجدون الا رجع الصدى • فيسألون الرسول تأمين أموالهم ودمائهم وذراريهم •

ويوافق الرسول على خروجهم ، ولكل ثلاثة منهم بعير عليه ما شاءوا •

ولا يستطيع حلفاؤهم من المنافقين أن يحركوا ساكنا •

وترك بنو النضير وراءهم سلاحا وغلالا وأرضا عادت الى المسلمين •

بنو قريظة

وكانت هذه هى القوة الباقية الوحيدة من قوى اليهود فى ضواحى المدينة بعد اجلاء بنى النضير •

وشهد هؤلاء سرعة تحرك الرسول للقضاء على تجمعات أعدت لغزو المدينة على مدى يمتد من دومة الجندل - على الحدود بين الحجاز والشام - الى المريسيع جنوبا قرب مكة ، فوجدوا أنهم وحدهم أضعف من أن يواجهوا المسلمين فانتظروا فرصة : حليفا قويا يتعاونون معه اذا تأكدوا من النصر • وقام يهود بنى النضير بجهد كبير فىتجميع وتأليف قريش والقبائل العربية فى نجد لغزو شامل للمدينة •

وتأتى غزوة الخندق فى العام الخامس للهجرة • قوات المسلمين فيها ثلاثة آلاف معتصمة بالمدينة وراء خندق حفرته فى الجزء المنخفض الشمالى ، بينما العوالى حيث المزارع الكثيفة والحصون وديار بنى قريظة متروكة لقوات حراسة خفيفة متحركة (٩) وقوات

---

(٨) ابن هشام : ٣ : ١٩٩ - ٢١٣ وامتاع الاسماع ١ : ١٧٨ - ١٧٩ •

(٩) انظر فى تحقيق مكان الخندق : محمود شيت خطاب : الرسول القائد ص ٢١٧ دار القلم - القاهرة ١٩٦٤ •

المشركين عشرة آلاف من قريش وبنى سليم وأسد وفزارة أشجع وغطفان - هذا غير قوة يهود بنى قريظة التى ستبرز فى مرحلة متأخرة من الحصار .

ومع اشتداد الحصار ومحاولات الخندق يبدو خطر بنى قريظة :

١ - محاولة تسلل فى أثناء الحصار - والمسلمون يواجهون العدو من الشمال - يستهدف بها اليهود جمع معلومات عن قلب المدينة حيث الدور وبها النساء والصبيان . وتحس صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول بذلك - فلا تضيع وقتا فى طلب نجدة وانما تباغت الجاسوس اليهودى فتصرعه فلا يعود الى قومه . فيظنون قلب المدينة فى حراسة قوية .

٢ - تحالف بين قريش وبنى قريظة على أن يفتح لهم بنى قريظة ثغرة فى الجبهة الجنوبية حيث حصونهم ، فيتدفقون منها الى المدينة ، فيفاجأ المسلمون بعدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم . ولا يفسد هذا التحالف الا نعيم ابن مسعود الغطفانى ، وقد أسلم وجاء الرسول وأعلمه بالأمر ، فأمره الرسول أن يكتم أمره ، وأن يبذل جهده فى تخذيل القوم ، فينصح اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل الالتحام المشترك ضد المسلمين ، وينصح قريشا بأن اليهود سيطلبون منهم رهائن يقدمونها الى محمد ليعفو عنهم ، ويكتم كل من الطرفين مصدر معلوماته بتوجيه من نعيم ، فلما التقيا ظهر الشك ولم يتفقا . وآثرت قريش بعد الحصار المضنى فى برد الشتاء وقلة المئونة وثورة الشك فى النفوس أن تنسحب من الموقع ، وثارت رياح الشتاء العنيفة تطفىء نيران المعسكر وتقلع خيامه . ومع رياح الشتاء ورياح الشك يأتى صباح ينظر فيه المسلمون الى معسكر عدوهم فيجدونه خاليا (١٠) .

(١٠) تفاصيل المؤامرة ودور نعيم بن مسعود الغطفانى مذكورة فى كتب التفسير والسيرة : انظر ابن هشام ٣ : ٢٤٠ - ٢٤١ .

ولا يطوى الرسول أعلام المعركة وانما يوجه أصحابه - رغم ما عانوه من جهد - الى الاسراع الى حصار حصون بنى قريظة فى الجنوب الشرقى فى نفس اليوم . وكان الاسراع ضرورة حربية ليضع المسلمون أيديهم على آبار خارج الحصون يستقون منها ، ولو تأخروا لاستطاع اليهود تدميرها وحرمان المسلمين من مورد مائى فى أرض المعركة .

ويعتصم بنو قريظة - فى حصونهم خمسا وعشرين ليلة بعد أن فشلوا فى أن يهزموا المسلمين بدماء العرب !! .. ولم يلجأوا الى أسلوب بنى النضير فى حرب الطرقات والدور والمتاريس .. وانما غلبهم الذعر : لا يقبلون! سلاما ولا يخرجون لقتال ، فلم يعد أمامهم سوى المصير المحتوم - مصير الخائن فى الحرب .

ويعرضون الجلاء واللحاق باخوانهم الذين سبقوهم الى الشمال ، فيابى الرسول الا التسليم دون قيد ولا شرط .

وعادوا يطلبون التحكيم على أن يتولاه سعد بن معاذ زعيم الأوس حليفهم قبل الاسلام ، وظنوا أمرهم ينتهى كأمر بنى النضير وبنى قينقاع . ويرضى الرسول . وبعد أن يأخذ سعد على الطرفين العهد والميثاق أن يقبلوا حكمه ، يحكم - وهم الذين اختاروه - بقتل المقاتلة وأسر الباقين .

وماذا كانت بنو قريظة ستفعل اذا انتصرت غير ذلك ؟

لقد ظنوا سعد بن معاذ كعبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين ، ولكنه كان رجلا طهر الله نفسه من أمر الجاهلية . اذا فهم سعد الكأس التى كانت تنتظره وقومه واخوانه فى العقيدة لو انتصرت الأحزاب واليهود على قاعدة الاسلام فى المدينة .وسجل الله هذا فى كتابه :

« وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب (وهم بنو قريظة) من صياصيهم (حصونهم) وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم

وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شيء قديرا » ٠

ويوزع الرســـول أرض بنى قريظة على المسلمين ٠٠ وتعود أرض المدينة ومياهها الى أبناء المجتمع الجديد من مهاجرين وأنصـــار تظلهم العقيدة والحب والايثار ٠

***

كان حصاد هذه الرحلة الاولى تطهير قاعدة الاسلام فى المدينة من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة القلب يخالط المسلمين ويعلم أخبارهم وينقلها الى أعدائهم ، ويدلهم على عوراتها ، كما كان يسيطر على نقط حاكمة فى الجنوب الشرقى لها ركائزها القوية من الأرض الخصبة وموارد المياه معتمدا على حصون قوية وسلاح ٠٠

وقد وضح من العرض كيف أن اليهود فى المدينة كانوا كل مرة بادئين بالعدوان ، ناكثين بالعهد ، متآمرين مع العدو ، يدفعونه ويتقدمون الى المعركة متى ظنوا النصر أو وجدوا الفرصة وأن المعارك الثلاث الكبرى معهم كانت مرتبطة زمنيـــا وموضوعيا بمعـــارك ثلاث كبرى مع قريش : بنو فينقاع بعد « بدر » ، وبنو النضير بعد « أحد » بفارق زمنى ، وبنو قريظة ـ مع « الاحزاب » وبعدها ، وان التصادم بدأ أولا فى قلب المدينة ثم انتقل الى أطرافها ٠٠

المرحلة الثانية

هؤلاء الذين خرجوا من يهود المدينة ٠٠ أين تجمعوا ؟

كانت رحلتهم شـــمالا ٠ عاش بعضهم فى « خيبر » ، ووادى القرى ، وفدك ، وتيماء ، بينما تابع البعض الآخر رحلته شـــمالا الى أطراف الشام ٠ (شكل ٢)

وكانت تجربة غزوة الاحزاب أو الخنـــدق عنيفة عميقة ٠ ومع أنها نجحت نجاحا كاملا الا انها حددت أبعاد المعارك المقبلة : هناك جبهة جنوبية مركزها مكة حيث قريش ، وجبهـــة شمالية مركزها خيبر حيث تجمعات اليهود



عند هؤلاء جميعا كان غزوة الاحزاب جولة وراءها جولات ٠ وتبدأ الجبهة الشمالية فى الحركة :

ـ محاولات لتعاون جديدمع غطفان واغرائها بعدوان جديد على المدينة ٠

ـ محاولات غدر بوفد أرسله الرسول الى خيبر ٠

وكان من المنتظر اذا ما نجحت محـــاولات اليهود فى تجميع قبـــائل « نجد » أن تلتقى قريش بقوتها فى مغامرة جديدة ٠ فلا بد من الفصل بين الجبهتين ٠ ولكن كيف ؟

يخرج الرسول فى العام السادس لزيارة المسجد الحرام فى قوة يراها العرب ٠ ويدعو

العرب جميعا الى هذه الزيارة تعظيما لبيت الله لا قتالا عنده • وماذا تستطيع قريش أن تفعل : أتصده عن زيارة المسجد الحرام أم تقاتله في الشهر الحرام ؟

ووجدت قريش نفسها في مأزق •• ولن نقف طويلا عند صلح الحديبية الذي عقد بين الرسول وقريش •• فالذي يعنينا من شروطه في موضوعنا أنه كان هدنة بين قريش والرسول مدتها عشر سنوات يدخل فيها في عهد محمد من أحب وفي عهد قريش من أحب • وان يرد الرسول الى قريش من يأتي اليه مسلما بدون اذن وليه ، ومن جاء قريشا من أصحاب محمد لم يردوه اليه •

في المعاهدة اعتراف بالمسلمين طرف مساو لقريش • وفتح المجال أمامهم لمحالفات مع القبائل ولقد كتم الرسول حتى عن أقرب المقربين اليه أهدافه البعيدة من الصلح ، ولكن سرعان ما ظهرت نتائجه •

قدرة ممتازة على ضبط النفس ظهرت من الصحابة حين قبلوا العودة من عامهم هذا دون دخول المسجد الحرام على أن يعودوا اليه في عام قابل •

ولتوجه قريش الآن أنظارها الى تجارتها تحاول اعادة بناء نفسها اقتصاديا •• فاذا ما قويت استطاعت أن تفعل ما تشاء •• وتأتيها المشكلات من حيث لاتحتسب •• الذين خرجوا الى الرسول بدون اذن أوليائهم أعادهم الرسول على أساس من نصوص المعاهدة ،ولكن هؤلاء لم يقبلوا العودة الى قومهم •• الرسول لا يقبلهم في مجتمعه •• فاذا بهم يتغلبون على حراسهم في طريق العودة من المدينة الى مكة ويكونون قوات ضاربة خفيفة •• قوات فدائية تعمل لحسابها وتحصل على رزقها بسلاحها ، وماذا تستطيع أن تفعل غير أن تقطع على قريش طرق تجارتها • وتضيق قريش بشروط ظنتها نصرا وتناشد الرسول الرحم أن يسقط هذا الشرط من المعاهدة •

ويقف يهود الجبهة الشمالية وحدهم • ويباغت الرسول حلفاءهم في نجد ، فاذا بهم ينطوون على أنفسهم مدافعين عن ديارهم ••

وبقي اليهود وحدهم •• لا قريش ولا قبائل « نجد » ، ويطلع صباح على خيبر لتجد جيوش المسلمين أمام الحصون •

ولم يكن الاستيلاء على حصون خيبر بالامر اليسير (١١) •• فهي تقع في منطقة صخرية وتربتها بركانية خصبة غنية بالنخيل والحبوب الغذائية وكانت أقوى النقط اليهودية الشمالية وأهلها أعرف اليهود بشئون الحرب ، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون وتتألف دفاعاتها من ثلاث مجموعات من الحصون :

١ ـ منطقة النطاة : في وادي السرير ،وفيها حصون النطاة ، وناعم ، والصعب بن معاذ ، الزبير •

٢ ـ منطقة الشق : وهي على جبل شمران المشرف كذلك على وادي السرير وفيها قلعة أبي وكانت مشيدة على قمة الجبل •

٣ ـ منطقة الكتيبة : وفيها حصنا الوطيح والسلالم ، وهما أقوى حصون خيبر ، وحصن القموص •

وجمع اليهود الابناء والاموال في حصني الوطيح والسلالم ، والذخائر في حصن ناعم، والقوات المحاربة في حصن النطاة •

ويدور القتال في العراء ، ثم يتراجع اليهود الى الحصون • تركيز على حصن ناعم أمنع الحصون مع مشاغله للحصون الاخرى • ويسقط حصن ناعم ومن بعده حصن القموص بعد قتال شديد• ويتحولون الى حصن الصعب

(١١) في وصف حصون خيبر وملامح المنطقة الطبيعية انظر :

(أ) محمود الدرة : تاريخ العرب العسكري ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ط• دار الكاتب العربي بيروت ١٩٦٤ •

(ب) عبد الله فلبي : أرض الانبياء ص ٣٥ ـ ١٤٣ ترجمة عبد الله الديراوي ط• الاهلية بيروت• وفي هذه الصفحات يقدم المؤلف وصفا معاصرا لتلك المواطن من خيبر الى تيماء ويشير الى ما استطاع الوصول اليه من الآثار القديمة فيها ويعتبر بحثه هذا متابعة لبحث روائي عن المنطقة •



مشعل الحرية لن يسقط من يدنا أبدا .
للفنان جمال كامل

بن معاذ حيث المئونة ، ثم حصن الزبير ويحاول المسلمون معرفة مصدر مائه ويقطعون عنه الماء . وتتساقط الحصون . وأخيرا يسقط حصنا الوطيح والسلالم فيقبل اليهود التسليم. ويبقيهم الرسول على الارض وعليهم العمل ولهم نصف الغلة .

ويسرى الخبر بسقوط حصون خيبر ، فتقبل « فدك » نفس الشروط ، ومن ورائها حصون وادى القرى وتيماء ..

واستطاع الرسول بهذا ، القضاء على اليهود عسكريا فى الجزيرة العربية بعد معارك خيبر الفاصلة .

ومع أن الرسول منحهم فرصة الحياة فى الواحات الشمالية الا أن المؤامرات استمرت بعد موته، ولم يجد الخليفة العادل عمر بن الخطاب الا اتمام اجلائهم من الجزيرة العربية الى أطراف الشام ..

ولكن هل تمت القصة ؟ ..

أبدا .. لقد ظلت تجدد بصورة أو بأخرى .. وتتبنى الحركة الصهيونية الحديثة هذا الشر ، وينشىء الاستعمار فوق أرض فلسطين دولة مؤامرات تمزق الوطن العربى الى قطاعين آسيوى وافريقى ، ويتخذها رأس جسر لعدوانه . ونحن نمر الآن بتجربتها تآمرا واستعداء وعدوانا ، وثغرة خطرة تنفذ منها قوات الاستعمار الجديد : أمريكية وبريطانية ، الى أرضنا . وليس هناك من سبيل أمامنا الا العمل .. والعمل الدائب حتى تطهر أرضنا العربية بعودتها الى أبنائها كما استقرت قاعدة الاسلام فى المدينة بالقضاء على الشر الدخيل .

وصفوة القول أن العرب والمسلمين لم يكونوا على طول تاريخهم ـ عادين ، وانما كانوا ـ كما رأينا من هذه الدراسة ـ يبدءون دائما بالخير ويتحرون السلام ، فلا يلقون من أعدائهم الا التآمر والخيانة ، فلم يعد أمامهم الا أن يدفعوا عن أنفسهم شرا وأن يستعيدوا حقا .

---

(١٢) فى تصفية الجبهة الشمالية انظر : ابن هشام ٣ : ٣٤٢ ـ ٣٧٣ .

والخرائط نعتمد على تحقيقات : محمود شيت خطاب (حاشية ٩)



حسين مروة يكتب من بيروت

• المعركة توحد صفوف المثقفين اللبنانيين
• سارتر يؤيد إسرائيل!
• ندوة حول علاقة الادب اللبناني بقضايا المجتمع

الثقافة فى المعركة

••• وفجأة تهاوت الحواجز المذهبية : الفكرية والاجتماعية والسياسية ، بين الأدباء والمثقفين اللبنانيين ، فاذا بهم يلتقون على صعيد واحد ، واذا هم جبهة بين جبهات المعركة العربية المنطلقة فجأة ، كذلك ، من خزانها العظيم ••

لم يكن بين انطلاقة الجمهورية العربية المتحدة الى سيناء ، قابضة على نواصى الامر كله فى خط الحدود الطويل وفى مشارف « شرم الشيخ » ومضايق « تيران » ، وبين التهاب روح المعركة فى صفوف اللبنانيين ، سوى هنيهات معدودات ، اذ أدركوا جميعا وسريعا أن هذه الانطلاقة الرائعة المذهلة كانت التحدى البدهى ، فى الوقت الذى لا اختيار فيه ، لما كان قد حشد فعلا من قوى مادية ومعنوية لتنفيذ مؤامرة العدوان الاستعمارى الصهيونى ، التى صممت وعبئت بأحكام ليكون هدفها المباشر اسقاط الحكم الوطنى التقدمى القائم الآن فى سورية ، مقدمة للمطمح الاستعمارى الاقصى ، وهو دك القلعة الكبرى لحركة التحرر والتقدم العربية فى شخص الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها الصلبة العظيمة •

ان الوطنيين والتقدميين اللبنانيين ، كشأن سائر القوى الوطنية والتقدمية فى سائر بلاد العرب ، يدركون بالبداهة أن الهدف الأبعد للمؤامرة ليس القضاء نهائيا على مسألة فلسطين العربية وحسب ، ولا القضاء على مكتسبات الثورة العربية ووقف مسيرتها المظفرة وكفى ، بل – الى ذلك – استئصال جذور هذه الثورة من أرض العرب كلها حتى الأعماق ، وهدم الاستقلال الوطنى لكل بلد عربى ظفر حتى الآن باستقلاله وسيادته الوطنية ••

ذلك هو مصدر كل ما حدث فى لبنان فور انفجار المعركة الجديدة ، وفور اعلان الجمهورية

المتحدة قرارها الجازم الحازم بجلاء قوات الطوارىء الدولية واعادة قبضتها الشرعية على منافذ خليج العقبة بوصفها مياها اقليمية عربية دون منازع ..

وما كان من اختيار أمام الأدباء والمثقفين اللبنانيين فى هذا الموقف سوى أن ينصهروا، ببداهة واعية، فى لهب المعركة .. فبينما كان كل فريق منهم يفكر فى كيف يعبر عن تجاوبه مع الموقف العربى الغامر، اذا بمبادرة من مجلة « الآداب » و «النادى الثقافى العربى» معا تدعو الفرقاء جميعا الى لقاء شامل، وكانت الاستجابة سريعة وشاملة فعلا .. وفى الموعد (مساء ٢٦ مايو ١٩٦٧) كانت قاعة النادى الثقافى العربى تشهد لقاء أدبيا ثقافيا من نوع فريد جمع أكثر من خمسين أديبا ومفكرا ومثقفا من اتجاهات متنوعة، حتى لم يبق مجال لأحد منا أن يشعر بالفارق الذى كان، منذ قليل، يحجز بين هذا الفريق وذاك .. حتى النقاش بشأن صيغة البيان الذى اتفق الجميع على اعلان موقفهم به، كان نقاشا ايجابيا بناء وحميما، ثم سريعا ما انتهينا الى صيغته الأخيرة باجماع الآراء .

بعد أن حدد البيان « هوية » اسرائيل تحديدا واقعيا من كونها، قاعدة عدوان على البلاد العربية وعامل كبح لحركة التحرر والتقدم العربيين » وكون « نضال العرب ضدها ان هو الا نضالهم فى سبيل التقدم » .. وبعد أن أوضح « أن قيام اسرائيل فى فلسطين واستمرار وجودها عمل عدوانى مناف لكل شرع وحق، وأن حقوق الفلسطينيين فى استعادة وطنهم وسيادتهم عليه حقوق ثابتة لا يمر عليها الزمن » — بعد هذا وجه الأدباء والمثقفون اللبنانيون، فى البيان، تحيتهم الى المجلس النيابى اللبنانى لموقفه الايجابى الاجماعى، مع دعمهم السلطات اللبنانية فى موقفها المشرف، وتحيتهم الى الجيش اللبنانى المرابط على الحدود، ثم تحية التأييد الى الجمهورية العربية المتحدة ورئيسها جمال عبد الناصر، والى الجمهورية العربية السورية، فى الموقف الحازم من التهديدات الاسرائيلية الغاشمة »، مع تحية سائر الدول العربية التى « جندت نفسها لخوض المعركة المشتركة » ثم شجب البيان « سياسة الدول، ولا سيما الكبرى منها وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التى تحمى اسرائيل، وتنكر حقوق العرب فى قضية فلسطين، وتهدد باتخاذ التدابير الزاجرة الجائرة ضد العرب » .. وأعرب البيان عن الاشادة « بموقف الدول التى تدعم الحق العربى وتدافع عنه، وفى مقدمتها الاتحاد السوفياتى » .

بعد هذا أعلن الأدباء والمثقفون اللبنانيون فى البيان، أنه يشرفهم أن يجندوا أنفسهم للاسهام بالواجب الوطنى الكبير، ثم أهابوا بحملة الأقلام جميعا فى لبنان أن يواصلوا بذل طاقاتهم لتعبئة الشعب وبث روح النضال فى النفوس، ورفع أصواتهم فى المحافل الدولية والاوساط العالمية دفاعا عن حق عرب فلسطين والعرب جميعا .. ثم ناشدوا أهل الفكر فى العالم بأن يرفعوا أصواتهم دفاعا عن الحق المغتصب، ويقفوا بوجه الاعتداء والدعاية الصهيونية الخداعة، انسجاما مع رسالتهم الانسانية » .

واختتم البيان بهذه الكلمة الطيبة الحارة :

« ان الأديب والمثقف اللبنانى، طوال تاريخه المجيد، لم يتخلف عن واجبه فى المعارك الوطنية والساعات الحاسمة، وهو يجدد الدليل على أنه حادى الركب ورائد الشجاعة والاقدام فى معركة المصير » .

ليس هذا اللقاء وهذا البيان الصادر عنه، منتهى الموقف .. فقد تألفت لجنة من سبعة أدباء ومثقفين تتنوع اتجاهاتهم الفكرية والاجتماعية، لمتابعة أحداث المعركة ودعوة الأدباء والمثقفين جميعا الى لقاءات متكررة يحددون فيها دورهم العملى فى الجبهة الأدبية والثقافية بين جبهات المعركة كلها ..

موقف سارتر مفاجأة ..

فوجئت الأوساط الأدبية والثقافية، هنا، بالبيان الصادر عن جان بول سارتر ورفاقه الفرنسيين ممن أطلق عليهم وصف « اليساريين ! » محددا فيه موقفه من المعركة

العربية الحاضرة ، الذى هو موقف المتحيز لاسرائيل ، فى حين كان العرب يترقبون أن يسمعوا صوت سارتر المتحيز لقضية الحرية والعدالة !

كانت الدهشة الى حد الذهول ٠ رد الفعل الأول لموقف سارتر هنا ٠٠٠ ثم تحولت الدهشة الى استنكار شامل ، وكان أول تعبير عن رد الفعل المشبع بالدهشة والاستنكار معا برقية من الدكتور سهيل ادريس أبرقها الى سارتر يعرب فيها عن خيبة الأمل به ، وفقدان الثقة بمواقفه الانسانية ، وعن شعور الندم لترجمته معظم آثار سارتر الأدبية والفلسفية الى لغة العرب ٠

وكذلك ابرق اليه بعض الكتاب العرب المقيمين فى لبنان يقولون :

« **نحن الكتاب العرب الذين اعتقدنا ، باسهامنا فى العدد الخاص من مجلة « الأزمنة الحديثة » الذى خصصتموه للقضية الفلسطينية ، برغبتكم المخلصة فى اكتشاف حقيقة المأساة الفلسطينية ، نشجب بضراوة البيان المتحيز والمجحف الذى وقعتموه تأييدا لأسرائيل ٠ ما من اشتراكى شريف يسعه أن ينكر أن اسرائيل خليقة الاستعمار المتآمر مع الصهيونية العالمية ، وأن بقاءها مدين للامبريالية الغربية والرأسمالية الدولية ٠٠٠ لذا فان معركة العرب ضد اسرائيل ليست فقط فى سبيل استعادة حقهم السليب ، بل هى أيضا معركة ضد سيطرة الامبريالية والرأسمالية المجسدين فى صنيعتها دولة اسرائيل ٠ اننا جدا متألمون وممتعضون من أن نراكم تدوسون الحياد الذى وعدتم به على أثر زيارتكم للجمهورية العربية المتحدة ولمخيمات اللاجئين ، ونستنكر بقوة موقفكم وموقف الذين شاركوكم فى البيان » ٠٠**

وقع هذه البرقية : منذر عنبتاوى ، وسامى هداوى وعبد الوهاب كيالى ، وبرهان الدجانى

وتعتزم اللجنة المنبثقة عن اجتماع الأدباء والمثقفين اللبنانيين ، عقد اجتماع موسع تدرس فيه مشروع رسالة الى سارتر تناقشه موقفه بالحجة ومنطق الحق والعدل الذين يعتقدون أن



قوتنا فى تضامننا
للفنان الحسين فوزى

سارتر لم يأخذ به حين اتخذ موقفه ذاك ٠٠

وفى الصحافة اللبنانية كتب الشاعر « أدونيس » مقالا موجها الى سارتر بعنوان : « هل أنت حر ، يا سيد » قال له فيه :

« **أيدت الجزائر وكوبا ٠٠ كتبت انتصارا للشعوب النامية ٠٠٠ نددت بالاستعمار والاستعمار الجديد بجميع أشكاله ، وبخاصة الأمريكية ٠٠ غير أنك تستثنى من الاستعمار اسرائيل ، ومن الحرية العرب ٠٠ أنت تؤكد أن اسرائيل يجب أن تبقى ، تماما كما يؤكد الاستعمار ٠٠ أنت ، فى موقفك هذا ، مع الاستعمار على العرب ، تحاربهم ، تشارك فى ممارسة الضغط عليهم والطغيان بمختلف الوسائل ، لتحول دون تحررهم وبناء حياتهم الجديدة ٠٠ هذا الى أنك ، فى موقفك ، تشارك فى خلق استعمار من آخر طراز ، فريد فى بابه : استعمار مزدوج ، لا يحتل أرض الشعب الآمن وحسب ، وانما يطرده كذلك ويشرده »**

وقال « أدونيس » مخاطبا سارتر :

« انت يا سيد ، لا تؤيد اليهودى الانسان

•• لو أنك تؤيده لكنت تؤيد كذلك الفلسطيني الانسان ، وما كنت لتقبل أن يأتي شخص بقوة الأجنبي يطرد الناس الآمنين المسالمين من بيوتهم ، ويحل محلهم ، ويشردهم ، ويتركهم للجوع والفقر والعذاب » •

وكتب الأديب «رياض حنين» مقالا بعنوان: « سارتر •• الفلسفة حين تنتحر » جاء فيه قوله :

« لقد كنا نحن المثقفين ، في لبنان ، والبلاد العربية ، نصدق كل ما كتب سارتر ، واتخذ من مواقف ، حيال القضايا الانسانية العادلة الى أن كذبنا هو نفسه ، في تأييده لاسرائيل، ضد صراعنا المشروع معها ، لاستعادة الارض التي سلبتنا اياها بالعار ، والحق الذي اغتصبته منا بالنار •

فبئس الازدواجية القبيحة ، التي أسفر عنها •

صفق له العرب بقلوبهم ، يوم ارتفع صوته عاليا ، يندد بسياسة مواطنيه الفرنسيين في الجزائر ، ويساند الجزائريين في ثورتهم المباركة

وصفق له العرب بقلوبهم ، يوم التزم جانب كوبا في انتفاضتها الوطنية •

وصفق له العرب بقلوبهم ، يوم صرخ متوجعا ، مما يحدث في فييتنام ، من خراب ودمار ، فسارع يشترك في « محكمة راسل » باستوكهلم ، يدين مجرمي الحرب ومصاصي الدماء •

كانوا ينتظرون ان يسير معهم في دروب الحرية ، من وضع « دروب الحرية » •

ولم يدر في خلدهم ، أن من يفلسف « الوجود والعدم » ، سينكر الوجود العربي في فلسطين ، ويقر العدم الاسرائيلي فيها •

وأكيد مئة بالمئة ، أن سارتر ، وهو غير غافل عن الاحداث التاريخية الكبرى في العالم، مطلع على قضية القضايا فلسطين ، ويعرف الظروف التعيسة التي رافقتها منذ نشأة اسرائيل ربيبة الاستعمار ، ويقرأ دوما عن مشكلتها المعقدة وأبعادها المخيفة • حتى انه استعرض بأم عينيه مأساة اللاجئين ، في تجواله عليهم ، في غزة ، قبل شهرين ، وقيل يومها انه تألم كثيرا ، الى درجة ان الدموع كادت أن تطفر من مقلتيه •

فكيف لم يهتز ضميره لهذا الوضع الشاذ ، ويسجل ثورته على انسانية معذبة بسببه ؟ »

ومن « أعجب » ردود الفعل لموقف سارتر ، في لبنان ، محاولة بعض الصحف المعادية للثورة العربية استغلال الوصف المنسوب الى سارتر من أنه « يساري » ، للهجوم على اليسارية والاشتراكية ، ولا سيما الاشتراكيين العرب •• وامعانا في حماقة هذا الاستغلال البشع تحاول هذه الصحف ، بدناءة ، ايهام الرأى العام بأن اسرائيل نفسها « يسارية ! ••• اشتراكية ! •• » لتلقى في النفوس بذور الشك والتشكيك بالمعركة العربية الحاضرة وبقياداتها المناضلة وبالثورة العربية ذاتها من حيث الأسس والمبادىء والأهداف •• غير ان وعي الرأى العام اللبناني والتفافه الشامل حول القضايا الكبرى التي تدور عليها المعركة، يجعلان من أمثال هذه المحاولات الحمقاء مثار استهزاء واشمئزاز ، بقدر ما يزيد في عزلة أصحاب هذه المحاولات ••

***

بين الكاتب اللبناني ومجتمعه :

كان من مظاهر الحوار الناشط ، في هذا الموسم ، على الصعيد الفكرى والأدبي ، بين مختلف الاتجاهات ، حوار نظمته الندوة الثقافية لمجلة « الرحمة » بين خمسة من الأدباء والمفكرين يمثلون ، بالاجمال ، اتجاهين رئيسين في لبنان ، هم : الدكتور سهيل ادريس ، الدكتور جميل جبر ، الدكتور ميشال عاصي ، الأب ميخائيل معوض ، حسين مروه •• ذلك في ندوة عقدت مساء ٣١ مايو ١٩٦٧ أمام جمهرة من الأدباء والمفكرين والجامعيين ، دار الحوار فيها على موضوع : « التأثيرات المتبادلة بين الكاتب اللبناني ومجتمعه في ربع القرن الأخير » •

بدأ الندوة الدكتور ميشال عاصي بتمهيد يتصل برسالة الكاتب ذات الطابع الاجتماعي،

خالصا الى الحاح الظروف التاريخية المعاصرة على الكاتب المعاصر أن يترسم طريقه بوحى من رسالته تلك ، متسائلا عن موقف الكاتب اللبنانى فى زحمة هذه الظروف •

ثم قدمت « تقريرا عن موقف الكاتب اللبنانى من قضايا مجتمعه فى مراحل تاريخية عدة ترجع الى مطالع النهضة العربية الحديثة منذ أواسط القرن التاسع وتمتد الى أيامنا هذه •

لقد علل التقرير هذه الرجعة الى تاريخ النهضة ، بدل أن يتقيد بالمرحلة الحاضرة (ربع القرن الأخير) حسب ما حدده موضوع الندوة ـ علل ذلك بأن الثقة بالتاريخ تستدعى ألا نثق بالجديد الا اذا كان انبثاقا من قلب التاريخ نفسه ، أى من الأصول والجذور النابتة فى أرض التاريخ ، النامية مع حركته التى هى ـ بطبيعتها ـ حركة نماء وتجدد وتطور ، رالا فليست من التاريخ ولا من جوهر حركته • والقصد من ذلك أن يقوم الجديد انبثاقا من التراث تطويرا لنفسه وللتراث معا ••

وقال التقرير ان مسألة تبادل الفعل والانفعال ، أو تبادل التأثير والتأثر ، بين الكاتب ـ كل كاتب ـ ومجتمعه ، مسألة أصبح المرجع فى اقرارها ، دون نزاع ، هو منطق الواقع الحى ذاته ، لا منطق الذهن المجرد وحده •

أما الكاتب اللبنانى بالخصوص ، فقال التقرير ان مسألة التأثيرات المتبادلة بينه وبين مجتمعه ترجع الى رصيده التاريخى قبل كل شىء ، وهو رصيد يبلغ منزلة من الغنى والاكتناز تدفع عنه كل شك أو تشكيك •

ثم أخذ التقرير يعرض هذا الرصيد فى حلقات متسلسلة من عهد الشيخ ناصيف اليازجى الى عهد المهجريين ، ثم عهد أبو شبكة وعمر فاخورى ومارون عبود•• فاذا هو رصيد ينمو ويكتنز مرحلة فمرحلة ، وحلقة فحلقة •• ولكنه خلال العشرينات كان يخطو خطوات ثقالا ، اذ كنا لا نزال نصارع ركاما باقيا من غبار الحرب الكونية الاولى ، فاذا بالأدب اللبنانى يترجح بين نوعين من الأدب : نوع مثقل ببعض هذا الركام يبهضه حتى ليبدو أحيانا وكأنه استلذ طعم الرماد لا يطمح أن يمد يدا تكتشف ما وراء الرماد •• ونوع آخر متحفز الى مخاض •• ثم يجىء المخاض فعلا فى الثلاثينات ، وتكون ولادات •• وتمتد حركة المخاض والولادة الى الأربعينات حين كانت تهز الأرض حرب كونية جديدة ، وكانت الأرض اللبنانية والعربية كلها تهتز ، أثناء هذه الحرب وفى أعقابها ، بتفجرات الآمال والمطامح العريقة ، المكبوتة أجيالا : أمال الحرية ومطامح الاستقلال الوطنى والتغيير الاجتماعى

مع هذه النقلة التاريخية ، لبنانيا وعربيا وعالميا ، تظهر للأدب اللبنانى كوكبة جديدة فى قافلة الثلاثينات وأوائل الأربعينات يتخايل على أقلامها ومواهبها ومطامحها هنا فى الحياة الجديدة ، ويغتنى رصيد التأثيرات المتبادلة بين الكاتب اللبنانى ومجتمعه بثروة جديدة تضيفها أقلام مجلات : «المعرض» ، و «الجمهور» ، و «المكشوف» ، ثم «الطريق» و «الأديب» ، ويشمخ فى هذه القافلة ثلاثة شوامخ : الياس أبو شبكة ، وعمر فاخورى ، ومارون عبود ••

فى أول الأربعينات كانت الحرب العالمية الثانية فى ذروة توترها على الصعيد اللبنانى والعربى والعالمى معا •• ولكن بالرغم من أننا كنا ، حينذاك ، مبهوضين بأثقال الحرب وأهوالها ماديا ونفسيا وجسديا ، كنا ـ مع ذلك ـ نتفتح آمالا ومطامح وطنية وقومية ، ونشعر أن آمالنا ومطامحنا هذه تكاد تصرفنا عن الانشغال بهموم الحرب وسلبياتها الرهيبة الى الاحتفال بجانبها الايجابى من انتصار الحلف الديمقراطى العالمى ضد النازية ، وهو الحلف الذى كنا جزءا منه باختيارنا ونضالنا •• وكان أن ظفر لبنان باستقلاله الوطنى مع الشقيقة سورية فى عام واحد ، وكان هذا الظفر طليعة انتصارات عدة أحرزتها بعد ذلك حركة التحرر الوطنى العربية •

فى هذه المحطة الزمنية كان الكاتب اللبنانى مستجيبا لدواعى التفاعل مع مجتمعه تفاعلا يذهب عمقا وسعة ، مع تفاوت من حيث العمق والسعة •• فهو فى السعة يشمل الكثير من

الكتاب ، ولكن فى العمق يقتصر على نفر قليل كانت لهم القدرة على أن تتساوى لديهم حركة الانفعال بمجتمعهم مع حركة الفعل فيه ..

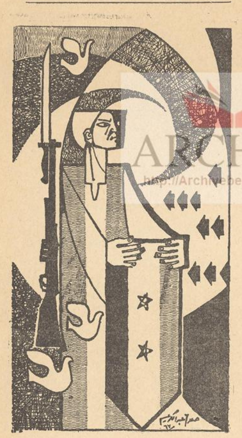
غير أنه قبل أن تنقضى الأربعينات وقف بنا ركب الحياة ، وفجأة ، عند محطة لم يكن فى الحسبان أن تستوقفنا ، هكذا ، بصدمة عنيفة هزت حتى الجذور من حياتنا نعنى انسلاخة فلسطين من كياننا العربى على نحو من الاغتصاب لا يزال القيح الداوى فى خلايا وجودنا الوطنى والقومى معا .. فماذا كان موقف الكاتب اللبنانى هنا ؟..

كان موقفا متخلفا عن عنف التجربة .. أما الانفعال بالنكبة فلا يمكن انكاره فى الأدب اللبنانى ، ولكنه لم يكن بمستوى الانفعال عند المجتمع اللبنانى ، ولا بمستوى القيم الفنية الرفيعة المتساوقة مع عنف التجربة وعمقها .. وأما الفعل أى التأثير ، فلم يظهر فى علاقة الكاتب اللبنانى بمجتمعه من حيث تعميق المأساة فى وجدان هذا المجتمع ، أى أنه لم يصدر أدب لبنانى يهز هذا الوجدان الى الحد الذى يتيح له رؤية أبعاد جديدة للمأساة تثيره وتنيره وتغسل بعض أدرانه وتصفيه ، لاستيعاب أبعاد انسانية جديدة ايجابية حيال المأساة ..

وفى الخمسينات نجدنا أمام موجات كبيرة متعاقبة من الأحداث ، بعضها لبنانى محض ، وبعضها عربى انفعلت به المجتمعات العربية كلها انفعالا بالغا .. فهناك حدث فى لبنان عام ١٩٥٢ ذو طابع انقلابى (قلب الشيخ بشارة الخورى عن رئاسة الجمهورية واقامة شمعون مقامه) ، وحدث فى مصر عام ١٩٥٢ نفسه ذو طابع ثورى (ثورة ٢٣ يوليو) ، ثم حدثان عظيمان فى مصر كذلك عام ١٩٥٦ (تأميم القناة والعدوان الاستعمارى الصهيونى الثلاثى) وكان لهما أثر عربى وعالمى أحدث تغييرا ضخما فى خريطة السياسة العربية والعالمية .. ثم ثلاثة أحداث كبار عام ١٩٥٨، كانت لها أثار عميقة على المستوى اللبنانى والعربى والعالمى : احدها فى مصر وسورية أنشأ نواة وحدة عربية كيانية ، وثانيها فى العراق أحدث تغييرا جديدا آخر فى الخريطة السياسية (ثورة ١٤ تموز) ، وثالثها فى لبنان غير صفحة من الحياة اللبنانية وقلب بعض المفهومات فيها (انتفاضة الشعب اللبنانى على مبدأ ايزنهاور ورئاسة شمعون) .

يضاف الى ذلك كله أن الخمسينات هذه شهدت تغييرات هامة أيضا على الصعيد القارى فى آسية وافريقية ابرزت سمات عصرنا على حقيقتها .. فماذا كان موقف الكاتب اللبنانى هنا كذلك ؟ ..

ان كثيرا من الكتاب اللبنانيين نفضوا عن أنفسهم غبار الخمسينات وهم يناقشون ويحاورون فى مسألة الالتزام وعدم الالتزام فى



نحن حماة الوطن
للفنان صلاح عبد الكريم

الأدب والفن فى معزل عن انفعالات مجتمعهم بتلك الأحداث الكبار .. واذا كان بين الكتاب اللبنانيين من انعكست فى أدبهم انفعالات وجدانية بأحداث الخمسينات فان الملحوظ هنا :

١ ـ أن هؤلاء الكتاب لايؤلفون سوى قلة بالقياس الى جملة أهل الأدب والفكر المعروفين فى لبنان ، لا المغمورين ، أثناء الخمسينات ..

٢ ـ أن الأعمال الأدبية لهؤلاء الأدباء القلة لم يبلغ فيها الأنفعال ولا الفعل من القوة والعمق والشمول الحد الذى يتحولان به من انفعال وفعل عابرين الى حركة رائدة خلاقة كاشفة ومحركة لأعماق الانسان الفرد أو أعماق الانسان المجتمع ، بل بقى الانفعال والفعل ، فى مجمل تلك الأعمال ، منحصرا فى دائرتى التهييج الوقتى والغنائية التقليدية ..

٣ ـ ان أكثر الأعمال الأدبية المنفعلة بأحداث الخمسينات الكبار ، لم يتجاوز أدب المقالة الا قليلا نحو القصة وقليلا نحو الشعر ، ولكن دون أن يضيف الى فن القصة وفن الشعر تطورا ملحوظا فى أسلوب المعالجة أو فى أبعاد لفكرة أو فى الرؤى الشعرية ..

ولكن الأمر يختلف فى الستينات حتى اليوم .. فان هذه المرحلة من حياتنا اللبنانية تتميز بطابع واضح ، هو أننا أخذنا جميعا نرى الأشياء والأحداث والأفكار والمنازع والمشاعر رؤية جديدة نحدد بها المواقف .. أى انه أصبح لكل ناس رؤية وموقف ، ولم يبق فينا من ليس له رؤية ولا موقف ..

ازاء هذا الواقع فى حياتنا بدأنا نلحظ عند الكاتب اللبنانى استجابة وتواجدا مع روح المعاصرة ، وعودة الى اصالته الانسانية : يتاثر بمجتمعه ويحاول أن يؤثر فيه ..

هذه الظاهرة الجديدة اقترنت بها ،أو انبثقت منها ظاهرة أخرى جليلة الشأن ، هى أن الرؤية المعاصرة للأشياء والأحداث والقضايا كشفت للكاتب اللبنانى أبعادا جديدة لكل شىء وحادث وقضية .. ينطبق هذا على كاتب القصة والرواية والشعر والمقالة والبحث والنقد ..

كدت أقول : والمسرحية ، لولا أن المسرحية عندنا لما تزال تجاهد ، بعناء ، لاستنبات جذرها فى أرض بكر ..

ان الأعمال الأدبية الصادرة فى لبنان عن كتاب لبنانيين فى السنوات الأخيرة من هذه الستينات تحمل بشائر واعدة بأن هذا التطور المندفع انما يندفع الآن الى تطور أكثر ذهابا فى العمق والسعة والشمول على تساوق يقل معه التفاوت بين هذه الأبعاد ..

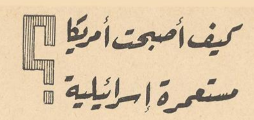
* * *

هذا التقرير بشأن الأدب اللبنانى الحديث ، فى مختلف مراحله ، وافق الاساتذة المشاركون فى هذه الندوة على معظم النقاط التى عرضها ، غير أن الدكتور سهيل ادريس أكد تقصير الكاتب اللبنانى فى القيام بدوره المنفعل والفاعل وأكد أن نكبة فلسطين ، رغم كونها كارثة انسانية هزت ضمير العالم ، لم يكن لها فى الأدب اللبنانى الأثر اللازم مع أنها بالنسبة للبنان قضية مصيرية ، وأرجع كل ذلك الى آفات ثلاث امتحن بها المجتمع اللبنانى : الطائفية ، والاقطاعية والرأسمالية المستغلة ، ثم أضاف الدكتور ادريس قوله بأن الكاتب اللبنانى فى القرن التاسع عشر كان أكثر ثورية من الكاتب اللبنانى المعاصر ..

وقال الدكتور جميل جبر ان هناك هوة بين الكاتب اللبنانى ومجتمعه ، فلا انفعال بينهما ولا فعل ، لأن تبادل الفعل والانفعال يعنى أن هناك نداء من الكاتب وصدى من المجتمع ، ولم يكن من ذلك شىء فى لبنان .. وقد بالغ الدكتور جبر فى التشاؤم فحمل على المجتمع اللبنانى واتهمه بالانحلال والعدمية والتهافت على الأمور السطحية والتافهة ..

أما الأب معوض فحاول أن ينفى فعل التاريخ فى الأدب ، وأن يقحم فى الأعمال الأدبية اللبنانية بعض الكتابات الداعية الى ما سماه « القومية اللبنانية » ..

وعرض الدكتور ميشال عاصى خلاصة لمناقشات الندوة مؤكدا أن الأدب رسالة انسانية فاعلة فى خدمة الحق والخير والعدالة والحرية والجمال .



كيف أصبحت أمريكا مستعمرة إسرائيلية ؟

بقلم : عميد الإمام

قد يبدو غريبا أن تعمل أمريكا على كسب كراهية وعداوة مائة مليون عربى ، وأن تخاطر بما لها من مصالح ضخمة حيوية الأهمية فى منطقة الشرق الأوسط ، وأن تغامر بضياع سمعتها واحترامها فى الدنيا بأسرها ولاسيما فى بلاد العالم الثالث .. قد يبدو غريبا أن تفعل أمريكا هذا كله ، عن طريق احتضانها ودعمها ومساندتها الفعلية المباشرة للعدوان الاسرائيلى الأخير على العالم العربى ..

ولكن الغرابة تزول عندما نذكر حقيقة العلاقة التى تربط بين أمريكا وبين اسرائيل !

فعندئذ لا يعود مما يثير الدهشة أو العجب أن نرى أمريكا تقدم على ارتكاب أكبر الحماقات وأكثرها اجراما ، اكراما لخاطر دولة الصهيونيين !

ان هذه العلاقة التى تجعل أمريكا أسيرة فعلية لاسرائيل وأداة طيعة فى يد الحركة الصهيونية العالمية ، تقوم على أساسين رئيسيين :

أولهما : هو أن أمريكا التى خلقت اسرائيل وفرضت وجودها بالقوة لتكون قاعدة لنشاطها الاستعمارى فى منطقة الشرق الأوسط ، تعد نفسها ملزمة فى كل وقت بحماية قاعدتها هذه وبالعمل على تثبيت بقائها بكل الوسائل والأساليب ..

وثانيهما : هو أن سياسة أمريكا الداخلية والخارجية خاضعة تماما للنفوذ الصهيونى ، يوجهها كيفما يريد ..

ومن هنا فانه من الطبيعى أن يضع النفوذ الصهيونى كل امكانيات أمريكا فى خدمة الأطماع الاسرائيلية ، حتى ولو تعارض ذلك مع أهم المصالح الأمريكية نفسها ، ولو تسبب فى تهديد هذه المصالح تهديدا بالغ الخطورة ، وفى تدمير السمعة والمكانة الامريكية فى العالم كله .. كما هو حادث الآن .

وقد نشأ هذا النفوذ الرهيب للصهيونية فى أمريكا ، وأصبحت للصهيونيين السيطرة الكاملة على الحكم هناك ، نتيجة لوجود جالية يهودية كبرى فى الولايات المتحدة الأمريكية هى أكبر الجاليات اليهودية فى العالم كله وأكثرها ثراء وتنظيما ..

وعدد أفراد هذه الجالية يبلغ حوالى الستة ملايين من اليهود .. وهم جميعا مجندون لخدمة المنظمة الصهيونية الأمريكية التى هى احدى فروع المنظمة الصهيونية العالمية التى كانت هى منذ البداية صاحبة فكرة انشاء دولة لليهود فى فلسطين .. والجالية اليهودية فى الولايات المتحدة التى يبلغ عدد أعضائها ثلاثة أضعاف عدد اليهود الموجودين فى اسرائيل نفسها .. هذه الجالية ليست كبيرة العدد فقط ، ولا هى دقيقة التنظيم تحت اشراف الزعامة الصهيونية فحسب ..

ولكنها فوق هذا وذاك جالية يحتل أفرادها أهم المراكز فى المجتمع الأمريكى ، وفقا لما

تسجله احصائيات علماء الاجتماع الأمريكيين أنفسهم ..

فهذه الاحصائيات تبين أن أبناء الجالية اليهودية فى أمريكا يحتلون المراكز الأولى بين الطوائف الأخرى فى أمريكا من حيث الثقافة ومن حيث التوظيف ..

كما تثبت هذه الاحصائيات ، وكذلك بعض الوثائق الرسمية الأمريكية ، أن لهذه الجالية وللمنظمة الصهيونية الامريكية التى تتولى قيادتها ، سيطرة واسعة النطاق على جميع العوامل التى تؤثر فى الحياة الامريكية ماديا وفكريا ، مثل عوامل الاقتصاد والاعلام والتعليم ..

وتؤكد وثيقة لمجلس الشيوخ الامريكى أن الصهيونيين وحدهم هم الذين يسيطرون على عقول وأفكار الأمريكيين .

فالاحصائيات تثبت أن يهود أمريكا هم الذين يسيطرون على أهم مرافقها الصناعية والتجارية ..

فهم يملكون — مثلا — تسعين فى المائة من صناعة الحديد والصلب فيها ..

ويملكون خمسة وتسعين فى المائة من صناعة الفراء ..

ويملكون أربعين فى المائة من صناعة الأحذية ..

كما أن خمسين فى المائة من الملاهى وعلب الليل فى أمريكا . مملوكة لليهود ..

وعشرون فى المائة من أصحاب الملايين فى أمريكا ، من اليهود ..

وفى نيويورك — قلب أمريكا النابض وأكبر مدنها — يملك اليهود وحدهم جميع مصانع الملابس ، وجميع محلات بيعها أيضا :

واليهود هم الذين يسيطرون على جميع وسائل الاعلام والتوجيه فى أمريكا ، من صحف ووكالات أنباء ودور نشر ومحطات اذاعة وتليفزيون ..

كما أن شركات الانتاج السينمائى الست الكبرى فى أمريكا ، يملكها يهود !

ومن خلال سيطرتهم على وسائل الاعلام والنشر والتوجيه المختلفة ، فانهم هم الذين يتحكمون فى عقول الامريكيين وفى عواطفهم ، وهم الذين يوحون اليهم بما يريدون من أفكار وآراء واتجاهات وأحاسيس !

وقد تمكن السناتور الأمريكى وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى من استصدار قرار من المجلس فى سنة ١٩٦٣ ، يخول اللجنة التى يرأسها أن تجرى تحقيقا فى نشاط الهيئات الأجنبية غير ذات الصفة الدبلوماسية فى أمريكا ..

وكان على رأس تلك الهيئات ، المنظمات الصهيونية ذات النشاط الدولى التى تعمل فى أمريكا ، دون أن تكون لها الجنسية الأمريكية أو الصفة الدبلوماسية ..

وقد استجوبت لجنة فولبرايت المشرفين على هذه المنظمات الصهيونية فى عدة جلسات عقدتها فيما بين الثالث والعشرين من مايو وأول أغسطس سنة ١٩٦٣ .. ثم وضعت تقريرا يقع فى ثلاثمائة صفحة ، تضمن محاضر الجلسات التى أجرت خلالها التحقيق والنتائج التى توصلت اليها ..

وقد أثبت التحقيق الذى أجرته أن المنظمة الصهيونية المسماة « الوكالة اليهودية » — وهى الجهاز التنفيذى للمنظمة الصهيونية العالمية — أثبت التحقيق أن الوكالة اليهودية وغيرها من الهيئات الصهيونية التى تمارس نشاطها فى أمريكا ، لا ترتكب مخالفات صارخة للقوانين الأمريكية فقط .. ولكنها تعمل علاوة على ذلك وبطرق ملتوية ، من أجل السيطرة على عقول الامريكين وعلى تفكيرهم ، وتسعى الى تحويلهم الى أدوات لخدمة اسرائيل !

فقد أظهر التحقيق أن جزءاكبيرا جدا من الأموال التى تجمعها الهيئات اليهودية من أمريكا ، كتبرعات لاسرائيل .. انما ينفق فى أمريكا نفسها ، بقصد توجيه الشعب الأمريكى الوجهة التى تخدم اسرائيل ، ومن أجل حمله على تأييد اسرائيل فى حماسة ومطالبة حكومته بالوقوف معها فى جميع الظروف !

أى أن الأموال التى يجمعها اليهود من أمريكا ، تصرف فى أمريكا أيضا ، لشراء العملاء لاسرائيل ، وبهدف تحويل الشعب الامريكى كله الى خادم لمصالح اسرائيل ، بصرف النظر عن مصالح بلاده !

وقد سجل التقرير الذين وضعته لجنة فولبرايت عن نتائج تحقيقها ، أن المبالغ الضخمة التى يجمعها يهود أمريكا سنويا ؛ تنفقها المنظمات الصهيونية فى أمريكا نفسها بقصد تحقيق ثمانية أهداف رئيسية .

وبعد أن عدد التقرير هذه الأهداف ، شرح بالتفصيل الوسائل التى تتبعها المنظمات الصهيونية فى محاولة الوصول اليها ..

أما الأهداف الرئيسية الثمانية فهى :

١ ـ السيطرة على الصحافة .

٢ ـ السيطرة على محطات التليفزيون والاذاعة وشركات السينما ..

٣ ـ التسلل الى الهيئات الدينية والمسيحية ..

٤ ـ التسلل الى الأوساط العلمية .

٥ ـ التسلل الى دور النشر ..

٦ ـ استغلال المحاضرات .

٧ ـ انشاء الصلات مع المؤسسات المختلفة ذات العلاقات الخارجية ..

٨ ـ استمالة قادة الرأى العام ..

أما فيما يختص بالأساليب التى تلجأ اليها المنظمات الصهيونية من أجل تحقيق هذه الأغراض ، فقد ذكر التقرير مايلى :

• السيطرة على الصحافة :

ان التحقيق قد كشف عن أن المنظمات الصهيونية تعمل على انشاء علاقات خاصة قوية بينها وبين محررى الصحف الأمريكية ، وأنها تتحايل على حمل هذه الصحف على نشر المواد التى تكسب تأييد الرأى العام الأمريكى لاسرائيل ..



على أهبة الاستعداد
للفنان حسين بيكار

وتعمل المنظمات الصهيونية أيضا على اقحام محررين موالين لها على الصحف الأمريكية الهامة ، كما تعمل على « التأثير » فى كتاب هذه الصحف ومعلقيها ، بحيث يضعون أقلامهم فى خدمة اسرائيل ..

وتستغل الصهيونية النفوذ الذى أوجدته لنفسها فى الصحافة الأمريكية ، لمنعها من نشر أية مواد تسىء الى اسرائيل ..

وهذا عدا أنها تتولى اصدار صحف ومجلات هدفها الوحيد هو تأييد اسرائيل ونشر الدعاية التى تفيدها ..

وسجل التقرير علاوة على هذا كله ، أن التحقيق قد أثبت أن المنظمات الصهيونية تعمل على شراء ذمم محررى الصحف الامريكية ومديريها !

◆ **السيطرة على محطات التليفزيون والاذاعة وشركات السينما :**

ان التحقيق قد أظهر أن الوكالة اليهودية وغيرها من المنظمات الصهيونية تعمل بشتى الطرق على توثيق صلاتها بالعاملين فى هذه الجهات ، علاوة على أنها تحاول أن تقحم عليها موظفين من عملائها ، بقصد اذاعة برامج وانتاج أفلام تدور حول اسرائيل ٠٠

◆ **التسلل الى الهيئات الدينية المسيحية :**

ان التحقيق قد كشف عن أن المنظمات الصهيونية تتحايل على كسب مودة رجال الدين المسيحى البارزين ، ومختلف الجمعيات الدينية الهامة ٠٠

وهى تنظيم حلقات دراسية عن اسرائيل لرجال الدين المسيحيين ، وتعمل على نشر مقالات فى صالح اسرائيل فى الصحف الدينية الخاصة بالبروتستانت والكاثوليك على السواء !

وهذا علاوة على أنها تعمل على الحيلولة دون نشر تلك الصحف لأية مواد تضر بسمعة اسرائيل !

◆ **التسلل الى الأوساط العلمية :**

ان التحقيق قد بين أن المنظمات الصهيونية « تساند ؟ » الاتحاد الأمريكى لدراسات الشرق الأوسط ، وتعمل على توجيه أبحاثه ودراساته الوجهة التى تخدم اسرائيل ٠٠

كما أثبت التحقيق أن المنظمات الصهيونية تعمل على كسب الأنصار والعملاء فى الأوساط الجامعية ، وأنها تحرض على تنظيم أيام باسم « يوم اسرائيل » فى الكليات والمعاهد المختلفة ، وأنها تتعاون مع الجامعات فى تنظيم حلقات دراسية عن الشرق الأوسط تديرها لصالح اسرائيل ٠٠

وأظهر التحقيق أيضا أن المنظمات الصهيونية تتحايل على فرض رقابة على الصحف الجامعية ، لمنعها من نشر أية مادة تسىء الى اسرائيل ٠٠ وهذا علاوة على الجهود الكبيرة التى تبذلها لاقحام المواد التى تخدم اسرائيل على ماتنشره هذه الصحف ٠

وأظهر التحقيق كذلك أن المنظمات الصهيونية تعمل على نشر مقالات تدعو لاسرائيل فى المجلات العلمية الأمريكية ٠٠

كما كشف عن أن المنظمات الصهيونية تتدخل فى اعداد النشرات التوجيهية التى توزع على هيئات التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية !

◆ **التسلل الى دور النشر :**

بين التحقيق أن المنظمات الصهيونية تقدم المعونات لدور النشر لكى تحملها على اصدار الكتب التى تخدم اسرائيل ، ثم تقوم بتوزيع هذه الكتب على مكتبات الجامعات والمكتبات العامة ٠٠

◆ **استغلال المحاضرات :**

أظهر التحقيق أن المنظمات الصهيونية تستخدم محاضرين من اليهود ومن المسيحيين فى القاء المحاضرات المؤيدة لاسرائيل فى المحافل الدينية والاجتماعية والعلمية وغيرها٠

كما انها تسعى لحمل الدوائر الثقافية على دعوة محاضرين من اسرائيل ٠٠

◆ **انشاء الصلات مع المؤسسات المختلفة ذات العلاقات الخارجية :**

أظهر التحقيق أن المنظمات الصهيونية تعمل على توثيق صلاتها بالمؤسسات الأمريكية التى لها علاقات خارجية ، سواء كانت هذه المؤسسات خيرية أو دينية أو علمية ٠

كما تبين أن المنظمات الصهيونية تبذل جهودا خاصة لتوثيق علاقاتها بالزنوج الأمريكيين !

◆ **استمالة قادة الرأى العام :**

كشف التحقيق عن أن المنظمات الصهيونية تحاول تجنيد قادة الرأى العام الأمريكى لخدمتها ، وأنها فى سبيل ذلك تنظم لهم رحلات فردية وجماعية الى اسرائيل ٠٠

كما تنظم رحلات دراسية لطلبة الجامعات الأمريكية الى اسرائيل أيضا ، وتزود السلطات

الاسرائيلية بالتوجيهات المتعلقة بكيفية معاملة كل فئة من فئات الزوار الأمريكيين ٠

كل هذا وأكثر منه ، كشف النقاب عنه التحقيق الذى أجرته لجنة فولبرايت !

وثبت بالأدلة الدامغة أن المنظمات الصهيونية فى أمريكا تعمل لهدف واحد فقط ، هو استعباد عقول الأمريكيين وتحويلها الى أدوات فى خدمة اسرائيل وفى خدمة الأهداف الصهيونية ٠٠

كما ثبت أنها تلجأ فى سبيل تحقيق ذلك ، الى الرشوة وشراء الذمم ومخالفة القوانين وافساد الجامعات والهيئات الدينية وغيرها ، علاوة على افسادها لأجهزة الاعلام الأمريكية بكافة فروعها ٠٠

وكان المفروض بعد ظهور هذه الحقائق الخطيرة أن تسخط أمريكا بأسرها أشد السخط وأعنفه على الصهيونيين ، وأن تعمل على كف أذاهم عنها على أقل تقدير ٠٠ لاسيما وأن الذى كشفها وقدم الدليل على صحتها ، هو تحقيق رسمى أجرته لجنة تابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى ٠٠

كان هذا هو المفروض أن يحدث ٠٠ ولكن ماهو الذى حدث بالفعل ؟ !

ان الذى حدث هو أن المنظمات الصهيونية ذات النفوذ الشامل فى أمريكا ، تمكنت من أن تحول بين الرأى العام الأمريكى وبين الاطلاع على مافضحه تحقيق لجنة فولبرايت ٠٠

فسيطرتها الطاغية على الصحف ووكالات الأنباء الامريكية ، أتاحت لها أن تمنعها من أن تنشر أكثر من اشارات عابرة غامضة الى ماكشف عنه التحقيق ٠٠

وعندما قامت لجنة فولبرايت بطباعة التقرير الذى وضعته عن التحقيق الذى قامت به ، وقدمته الى مجلس الشيوخ الأمريكى ٠٠ استطاع النفوذ الصهيونى أن يحصر تداول هذا التقرير فى أضيق نطاق ، وأن يحول بين محتوياته وبين الوصول الى أغلبية الشعب الأمريكى ٠٠

أما أعضاء مجلس الشيوخ أنفسهم ، فقد كانت المنظمات الصهيونية تضمن مقدما عدم حدوث أى رد فعل لديهم يسىء اليها ، نتيجة لاطلاعهم على ماكشف عنه التحقيق ٠٠

فهم – مثل جميع المشتغلين بالسياسة فى أمريكا – واقعون تحت سيطرة النفوذ الصهيونى تماما ٠٠ ومهمتهم هى أن يتباروا فى التودد الى المنظمات الصهيونية وفى استرضائها ٠٠ ومن هنا فلا يخشى أبدا أن يتجرأ أى منهم على تحدى الصهيونية ، أو أن يتفوه بكلمة واحدة يشتم منها أنه يعترض على ماتقوم به منظماتها فى بلاده من نشاط مريب!

أما وليام فولبرايت الذى شذ عن الطريق الذى دأب سائر رجال السياسة الأمريكيين على اتباعه ، وتجاسر على تحدى الصهيونية عن طريق قيامه بالتحقيق فى نشاطها داخل أمريكا ٠٠ فقد كانت الصهيونية تنظر اليه على أنه عدو لها منذ زمان بعيد ٠٠

وحتى قبل أن يشرف على التحقيق فى نشاط المنظمات الصهيونية ، كانت الصهيونية تحاربه وتحول بينه وبين الوصول الى أى منصب حساس ٠٠

وما كان ذلك الا لأنه أثبت فيه مناسبات مختلفة أنه يضع مصالح بلاده فوق أى اعتبار آخر ٠٠ ولا يبيع كرامته ووطنيته مثل غيره من رجال السياسة الأمريكيين ، لليهود !

وقد ذكر المؤرخ الأمريكى المعاصر المعروف آرثر شليزنجر فى كتابه الشهير « الألف يوم » وهو الكتاب الذى يروى فيه قصة الفترة التى عمل خلالها مع الرئيس الأمريكى الراحل جون كنيدى فى البيت الأبيض ٠٠ ذكر أنه فى الفترة التى كان كنيدى يبحث فيها عن الرجل الذى يعينه وزيرا للخارجية بعد أن تولى رئاسة الجمهورية ، كان يميل بشدة الى اختيار السناتور وليام فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ الامريكى لهذا المنصب ٠٠

ولكن المؤرخ يستطرد قائلا أن عقبتين وقفتا فى طريق تعيين فولبرايت ، وهما :

أولا – موقفه من قضية الزنوج (وهو موقف متحرر يغضب أنصار التعصب العنصرى) ٠٠

وثانيا – « أنه كان من الذين عارضوا سياسة معاداة جمال عبد الناصر الى النهاية٠٠ وبذلك فان تعيينه كان سوف يغضب اليهود الأمريكيين » !

وقد قلنا ان الصهيونيين لم يكونوا يخشون قيام أى رد فعل ضدهم لدى مجلس الشيوخ الأمريكى ، بعد اطلاعه على الوسائل الجهنمية التى يتبعونها فى استعباد الشعب الأمريكى، لأنهم يعرفون أن أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكيين – مثل سائر المشتغلين بالسياسة فى تلك البلاد – لايمكن أن يجرأوا على تحدى أو اغضاب الصهيونيين ٠٠

فمن أين جاءت للصهيونيين هذه الثقة فى خضوع ساسة أمريكا جميعا لسيطرتهم ٠ ما عدا أفراد قلائل هم بمثابة الاستثناء الذى يؤكد القاعدة ، كما يقولون ؟!

ان هذه الثقة مستمدة فى الواقع من الدور الكبير الذى تلعبه الصهيونية فى عمليات الانتخاب الأمريكية ٠٠ وهو دور يجعل الغالبية العظمى من ساسة أمريكا مجرد أدوات طيعة فى يدها وفى يد دولتها ، اسرائيل ، ويجعل السياسة الأمريكية كلها بالتالى خاضعة تماما لها ولدولتها !

فالجالية اليهودية فى أمريكا بحكم تنظيمها الدقيق تحت اشراف المنظمة الصهيونية الأمريكية ، وبحكم ضخامة عدد أبنائها ، تشكل قوة انتخابية كبرى فى أمريكا ، فى وسعها أن تتحكم فى نتائج كل انتخابات تجرى فى الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠ وذلك لأنه لا توجد فى أمريكا أية مجموعة أخرى متماسكة مثل المجموعة اليهودية ، تتألف من ستة ملايين من الأشخاص ٠٠

وعلاوة على ذلك فان الجالية اليهودية فى أمريكا موزعة فى مختلف أنحائها على نحو يجعلها عظيمة التأثير فى الانتخابات الأمريكية ؛ ولاسيما فى عملية انتخاب رئيس الولايات المتحدة بالذات ٠٠

فبموجب النظام الانتخابى الأمريكى ، فانه يخص كل ولاية من الولايات الأمريكية فى هذه الانتخابات ، عدد من الأصوات الانتخابية التى تسمى الأصوات الثانوية ٠٠ وهى أصوات تخص الولاية ككل ، وعددها يختلف من ولاية لأخرى ٠٠

وهذه الأصوات التى تسمى الأصوات الثانوية تصبح من نصيب المرشح لرئاسة الجمهورية الذى تعطيه أصواتها أكثرية الناخبين فى الولاية ٠٠ فمن يفز بأصوات الاغلبية فى أية ولاية ، يحصل بالاضافة اليها على الأصوات الثانوية الخاصة بالولاية ٠٠

ومجموع عدد هذه الأصوات الثانوية اسما فقط ، ولكن البالغة الأهمية فعلا – والذى يختلف من ولاية الى أخرى كما رأينا – هو ٥٣٧ صوتا ٠٠ والحد الادنى منها الذى يجب أن يحصل عليه المرشح لمنصب رئاسة الجمهورية لكى يفوز بذلك المنصب ، هو أغلبيتها المطلقة أى ٢٦٩ صوتا ٠٠

ومن بين الولايات الامريكية الاحدى والخمسين ، هناك سبع ولايات لها فيما بينها ٢٠٥ أصوات من هذه الأصوات الـ ٢٦٩ التى تكفل نجاح المرشح الذى يفوز بها ٠٠

أى أن هذه الولايات السبع بالذات ، يمكن أن يكون لها تأثير حاسم فى انتخابات رئاسة الجمهورية الامريكية ، وسيطرة رهيبة على هذه الانتخابات ٠٠

والجالية اليهودية فى أمريكا موزعة فى أعداد كبيرة بين هذه الولايات السبع المتحكمة فى نتائج انتخابات رئاسة الجمهورية بالذات ٠٠

وأهم هذه الولايات السبع – بالنسبة لانتخابات الرئاسة الامريكية – هى ولاية نيويورك ٠٠ فلها وحدها ٤٥ صوتا من الاصوات الثانوية ، أى أكثر من سدس عدد أصوات الحد الأدنى المطلوب ٠٠

ونصف يهود أمريكا تقريبا يقيمون فى نيويورك ، اذ يوجد فيها حوالى الثلاثة ملايين من اليهود ٠٠

وقد سجل تاريخ الانتخابات الامريكية فى هذا القرن أن جميع رؤساء الجمهورية الامريكيين انما وصلوا الى الحكم بفضل حصولهم فى

الدرجة الأولى على أصوات ولاية نيويورك ٠٠ ولم يشذ عن ذلك غير اثنين ٠٠

وقد حاول بعض الأمريكيين القلائل غير الخاضعين للسيطرة الصهيونية أن يثبتوا أنه ليس للأصوات اليهودية فى الانتخابات الامريكية التأثير الحاسم الذى تحاول الحركة الصهيونية أن تعزوه اليها ٠٠

وحاولوا أن يبرهنوا على أنه لا يوجد بالتالى مقتضى لرضوخ ساسة أمريكا للصهيونية ، مثلما يفعلون ٠٠

ولكن محاولاتهم جميعا ذهبت أدراج الرياح !

فسواء كانت السيطرة التى تنسب لليهود على الانتخابات الامريكية سيطرة حقيقية أو وهمية ، فان الغالبية العظمى من رجال السياسة فى أمريكا يخشونها أشد الخشية ، ويعتبرونها قائمة فعلا ، ويعملون لها ألف حساب !

وأكثريتهم الساحقة غير مستعدة لاختبار حقيقة قوة هذه السيطرة عن طريق تحدى الصهيونيين أو حتى عدم الخضوع لهم ٠٠

ومن هنا أصبحنا نرى معظمهم يتنافسون على كسب ود الصهيونيين ويتبارون فى استجداء رضائهم ٠٠ حتى ولو اقتضى ذلك التنكر لصالح أمريكا الوطنية نفسها ، ولجميع القيم والمثل ومبادىء الحق والعدالة ٠٠

فقد اقتنع معظم المشتغلين بالشئون العامة فى أمريكا – على جميع المستويات – بأن للصهيونيين المقدرة على أن يتحكموا فى مصائرهم فى الحياة العامة ٠٠ ورتبوا تصرفاتهم على هذا الاساس !

ونتيجة لهذا الاقتناع الذى لا يهم عمليا ان كان قائما على أسس صحيحة أو أسس وهمية ، فثماره واحدة على أية حال ٠٠ نتيجة لهذا الاقتناع أصبحت الانتخابات الأمريكية منذ زمن بعيد ، عبارة عن عملية تنافس على استرضاء اليهود وعلى الفوز بعطفهم ، قبل أن تكون أى شىء آخر ٠٠

أَبَتْ لى عِفّتى وأَبَى بلائى ... وأخذى الحمد بالثمن الرَّبيحِ
وإقدامى على المكروه نفسى ... وضربى هامةَ البطل المُشيحِ
وقَوْلى كلّما جشأتْ وجاشت : ... مكانَكِ تُحْمَدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحاتٍ ... وأحمى بَعْدُ عن عِرْضٍ صحيحِ

عمرو بن الإطنابة

« اليأس لم يدب ولن يدب فى قلب العرب أبدا • العرب مصممون على استرجاع حقوق شعب فلسطين ، ولا بد للعرب من أن يحققوا هذا التصميم وهذا الهدف »

جمال عبد الناصر

ويتضح ذلك فى انتخابات الرئاسة الأمريكية بنوع خاص ٠٠ وان كانت انتخابات مجلس الشيوخ والنواب الامريكيين أيضا ، لا تخرج عن كونها سباقا بين المرشحين للفوز بأصوات اليهود !

ومنذ سنة ١٩٤٤ ، أصبح من التقاليد المرعية فى كل انتخابات أمريكية ، أن يتبارى المرشحون للرئاسة ، وكذلك الحزبان الكبيران المتنافسان ، فى بذل الوعود المغرية لليهود وفى التزلف اليهم !

ففى شهر يونيو من ذلك العام ، عقد كل من الحزبين الأمريكيين الجمهورى والديمقراطى مؤتمرا عاما لاختيار مرشحه للرئاسة ، تمهيدا للانتخابات التى كان من المقرر أن تجرى فى الخريف ٠٠

واتخذ كل من المؤتمرين قرارا بتأييد ماكان مطلبا جديدا للصهيونية فى ذلك الوقت ، وهو انشاء دولة لليهود فى فلسطين ٠٠

وقرر الحزب الديمقراطى يومها اعادة ترشيح الرئيس فرانكلين روزفلت للرئاسة ، فكان أول مافعله روزفلت عندما بدأت المعركة الانتخابية ، هو أنه بعث برسالة الى عضو مجلس الشيوخ الأمريكى الموالى للصهيونية روبرت واجنر ، أبلغه فيها بأنه فى حالة اعادة انتخابه للرئاسة ، فانه سوف يبذل أقصى جهده لضمان اقامة دولة لليهود فى فلسطين !

فسارع منافسه روبرت ديوى ـ مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة ـ الى محاولة التفوق عليه فى تملق اليهود ، فأعلن أنه فى حالة انتخابه للرئاسة سوف يعمل على تحويل فلسطين بأكملها الى دولة يهودية !!

وما حدث فى انتخابات عام ١٩٤٤ ، حدث مثله وأكثر منه فى كل انتخابات تلتها ٠٠ وأيضا فيما بين مواعيد الانتخابات !

فقد أصبحت المزايدة على استعطاف اليهود وعلى كسب ودهم هى الطابع المميز للسياسة الامريكية فى كل آن !

وكان يكفى أن نسمع التصريحات التى كان يدلى بها ليندون جونسون وتلك التى كان يدلى بها السناتور روبرت كنيدى أثناء وبعد عدوان اسرائيل الأخير على العالم العربى ، لنرى الى أى حد يتمادى قطبا الحزب الديمقراطى الامريكى فى المنافسة على تأييد اسرائيل ، باعتبار أن ذلك هو الميدان الرئيسى لتنافسها على الفوز بترشيح الحزب للرئاسة فى انتخابات العام القادم !

ان أمريكا قد أصبحت ومنذ وقت طويل عبدة للصهيونية بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة ٠٠ ولا تستطيع أن تتصرف فى أى شأن الا على النحو الذى يمليه عليها أسيادها الصهيونيون ٠٠

ولا نخالف الحقيقة مطلقا اذا قلنا انها أصبحت عمليا وواقعيا مجرد مستعمرة لاسرائيل ثمرة الصهيونية ، تتحكم فى كافة أمورها كيفما تشاء ٠٠

وقد زال كل شك كان من الممكن أن يحيط بهذه الحقيقة بعد أن اتضح الدور الذى لعبته أمريكا فى العدوان الأخير على الأمة العربية والذى من غيره ماكانت اسرائيل استطاعت أن تصل الى ماوصلت اليه ٠٠

ولم يبق بعد هذا الا أن يدرك العرب جميعا أن عدوتهم الحقيقية والأولى هى أمريكا ، وليس أحدا غيرها ٠٠ وأن يبنوا تصرفاتهم فى كل مجال على هذا الأساس !

من يوميات

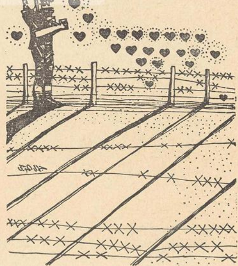


(١) لحظة للذكرى

يا أمي فارقتك وبودى لو أنى أبد الدهر
أحيا فى الكلمات العذبة
أحيا فى الكلمات العذبة
أحيا فى النظرات الرطبة
أحيا حبا يصعد بالقلب دروب الايمان الرحبة !

* * *

آه مما يعصف بالقلب
آه مما يغتال الحب
كانت أحلاما يا أمى ، طويت فى أغوار القلب
فلكى نحيا بالحب علينا أن نبذل من أجل الحب
ولتبقى الكلمات العذبة
ولتبقى النظرات الرطبة
أقف الآن على الرمل العارى
ورؤاك تظلل أفكارى
لا أعرف ان كنت سأرجع
ومتى يقسم لى أن أرجع
لكنى أعرف أن دمى ان لون أجفان الظلمة
فلأنى أكره حتى الموت عيون القرصان الجهمة
من أجل عيونك يا بلدى
من أجل عيونك يا أمى !



(٢) فى وهج النار

الأفق حمم ...
والأرض حمم ...
وعلى شفتى أصداء قسم

محارب مصري

للشاعر فتوح أحمد

لن تبلـــغ منى ما تبغيـه وفى شريانى قطرة دم
فلكى تسلب أرضى شـبرا
ولكى تخطف منى نصرا
ستعانى من حقدى قبرا ، ومن الارض الحرة قبرا
ولـكيلا تدفننى حيا
من دمك سأصبغ كفيا
ذلك عندى حق الأرض
ذلك عندى حق العرض
حق الماضى والمسـتقبل ، حـق الثارات المنسية !

(٣) المستحيل :

يمكن يا قرصان العصر
أن تجرح قنديل النصر
أن تجرح كبر الأرض ، وأرضى مئـذنة الـكبر
يمـكن أن تعتصر الدولار حديدا وبنـادق
أن تزرع حقلى نيرانا
وتحيل الصحراء فيالق
لكن .. أن تطفىء فى صدرى نيران الثأر القدسية
أن تخنـق فى صدر العربى رؤى ما زالت عربية
أن تخمد فى صدر الثورى رياح الأمل الثـورية
أن تعصف بالصرح الشامخ كف القرصنة الهمجية
فمحال .. ما دامت فى قلب الحر حيـاة تتردد !!
ما زال لدى صـــباح الغـد
فارقبنى عنـد صباح الغد !

الفن فى المعركة

بدر الدين أبو غازى

من مهام الفن الأساسية ، منـــذ عرف الانسان هذه الاداة السحرية للتعبـــير عن ذاته ، أنه يمنح البشرية القوة ازاء الطبيعة ، أو ازاء الواقع ، لدعم الجماعة الانسانية .

كان سلاحا سحريا فى صراع الانسان من أجل البقاء ... وظل هذا السلاح أداة للجماعة يعصمها من التمزق والتشـــتت ، ويردها الى الوحدة والتكامل ، ويرتفع صوت الابداع الفردى ليجعل الواقع أكثر جدارة بالانسان .

*

والفن يجعل من اللحظة التاريخية المحددة لحظة من لحظات الانسانية .. وهو ، من أجل هذا ، كان وما زال موكلا بأحداث الحيـــاة الكبرى ..

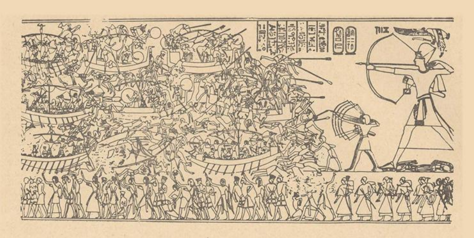
وفى الاعمال الفنية الخالدة التى خلفهـــا الشرق القديم تخليد لهذه الاحداث ، نراه فى اللوحات الجدارية المنحوتة التى تمثل معـــارك أشور بانيبال ، وفى المنحوتات التى تسجـــل انتصارات سيتى الاول على جـــدران الكرنك ، وفى معارك رمسيس الثالث بمـــدينة هابو ..

وفى لوح منبتاح ابن رمسيس الثـــانى الذى مزج الشعر بالتشكيل ليسجل معاركه ويشير الى انتصاراته على بنى اسرائيل ... صليل الحرب فى هذه الاعمال يرتفع على لحن السلام الابدى الذى يميز الفن المصرى القديم ..

وخاضت مصر فى عصرها الاســـلامى ، وخاض العرب ، معارك وفتوحات ، ولـــكن سمات التشكيل الاسلامى قصرت عن التعبير عن هذه المعارك ، واســـتقرت العبقرية التصويرية فى الشعر الذى حمل لواء المعركة وأبدع تصوير الحرب والنصر والهزيمة .

غير أن الفن الفارسى لم يخـــل من آثار رائعة يكفى أن نستدعى منها وصف البحترى للوحة على جدران ايوان كسرى تمثل معركة دارت بينه وبين الروم عند حصار أنطاكية .

وتكاد روعة الوصف الشـــعرى عند البحترى أن تستحضر قوة التـــأليف والتعبير وحاسة الابداع اللونى فى لوحة الايوان حين يصفها :



(المعركة البحرية ـ مدينة هابو)

اول لوحة فرعونيــة للملك مرنتباح ابن رمسيس الثـانى وفيها ذكر لاسرائيل ومحاربتها ومحوها من الوجود والاستيلاء على مدن عســقلان وغيرها فى فلسطين .



فاذا ما رأيت صورة انطاكيـ

ـة ارتعت بين روم وفــرس

والمنايا مواثل وانوشروا

ن يزجى الصفوف تحت الدرفس

فى اخضرار من اللباس على اصفر

يختــال فى صبيغة ورس

وعراك الرجــال بين يديه

فى خفوت منهم واغماض جرس

من مشيح يهوى يعامل رمــح

ومليح من الســـنان بترس

نصف العين انهم جد أحـــــ

ـــياء لهم بينهم اشارة خرس

يغتلى فيهـــم ارتيـــابى حتى

تتــقراهم يـــداى بلمس

* *

وندع الشرق الى الغرب لنلتقط لمحة من أثر معاركه على فنونه .. وليكن عصر الثورة الفرنسية بدء طوافنا .. ففى انجلترا ،وبرغم

أنها كانت فى هذه الحقبة تخوض معارك توسعها الامبراطورى ، لا نرى فى الفن انعكاسات هذه الاحداث ٠٠ فبينما كان نلسن يجوب أعالى البحار ، يصور رينولد زوجنسبرج الوجوه الرقيقة التى تنبىء عن ترف الحياة ٠

أما فى فرنسا ، فاننا نرى لويس دافيد متحمسا لروبسبير ، وترتفع به أحداث الثورة الى الجلال الكلاسيكى فى موضوعاته التاريخية ٠٠ وتأخذه بطولة نابليون ، فيعكف على تخليده فى احدى لوحاته ، ولكن مصورة بونابرت لا تكتمل ، ويسجل دافيد من بطله الوجه فقط ، فقد كان هذا القائد العظيم لا تعنيه المشابهة والتماثل فيما يصوره المصورون ، وانما كان يعنيه ان تكون صوره مدعاة لاثارة اعجاب الجماهير وحماستهم ، فتحول دافيد من الصورة الشخصية الى اللوحة الرامزة ، وصور بونابرت يخترق جبال الالب ، كما صوره يوزع الاوسمة على جيشه

وكان جرو تلميذا لدافيد صحب الجيش الفرنسى فى غزوته الايطالية ، فاقترب من حقائق الحرب ، وعاش واقعها على نحو لم يدركه معاصروه ٠٠ وتعرف فى ايطاليا على أعمال فان دايك وروبنز ، فنقل ألوان المدرسة الفلامنكية الى الفن الفرنسى ، وصور معارك جيشه فى لوحات ألهبت مشاعر الفنانين الفرنسيين وأثارت اعجابهم ٠

ولكن الثمرة العالمية لعصر الثورة الفرنسى ازدهرت من اسبانيا فى شخص فرانشسكو جوزيه جويا الذى كان أروع معبر عن ضرام عصره ومعاركه ، وتناول جويا موضوع الحرب ، ولكنه صور مآسيها وكوارثها لاجانبها البطولى ٠٠ وسجل فى محفوراته عن مآسى الحروب أبشع فظائع الانسان ٠

ومن قبل صور روبنز فى القرن السابع عشر فظائع الحرب وجانبها المأسوى ٠٠ رحيل الجندى من بيته الى المعركة ، وثبات الحرب الضارية ، وقوتها المدمرة وامتزاجها برفقة الموت ٠٠

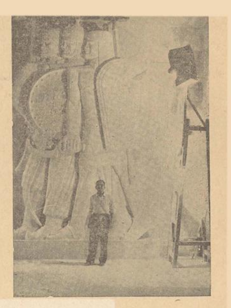
كان تعبير جويا تعبير الحداد الاسود فى محفوراته القاتمة ٠٠ وكان تعبير روبنز تعبيرا تراجيديا استخدم فيه عنصر التأليف واللون والنور ٠

غير ان معنى الثورة الفرنسية لم يتفجر فى الفن الا على يدى فنان ولد فى مهادها وان لم يعش أحداثها ، وهو أوجين ديلاكروا ٠٠

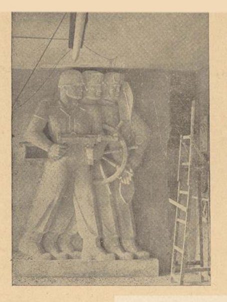
ديلاكروا هو فنان الاحداث والاساطير والمعارك لمست نفسه شجن عصره الحزين وعواطفه ٠٠ وكان مثل سلفه « جرو » فنانا نابليونيا ولكن نابليون الذى سجله جرو وانما نابليون التراجيدى ٠٠ المعنى العميق لشخصيته والمزج النفسى الذى ألهب حماسه ، لم يكن نابليون التاريخى الذى يقارب مزاج القائد البطل ٠ فألوان ديلاكروا الحمراء والذهبية كانت فى صميمها ألوان نابليونية مزاجها الدم والذهب ٠٠٠ ومن ضرام هذه الألوان عبر عن المعانى العميقة لأساطيره ومعاركه ، وخاطب أعماق الضمير الانسانى ، وهز المشاعر بملكة الحضور المسرحى التراجيدى الذى كان طابع فنه ٠ صور مذابح شيو من ضراوة معارك التحرير اليونانية ، وعبر عن « نداء الحرية من فوق المتاريس » ، وصعد

المقاومة (نقش بارز بقوس النصر بباريس)





الجيش فى العصر القديم للمثال
(منصور فرج)



الجيش فى العصر الحديث للمثال
(منصور فرج)

الى رمز التعبير عن انتصار الحق على القوة ، والنور على الظلام ، فى لوحته التى صور فيها « أبولون ينتصر على الحية فوتون » ... هنا صراع عالم من التنانين والقوى الجهنمية المذابح ، وعراك الرجال فى العالم السفلى ، ثم انتصار أبولون بعربته المجنحة بالنور الصاعدة فى السماء وقد هزمت فلول الظلام .

ويأتى العصر الحديث بمعارك أحيانا كانت « الحية قوتون » تنتصر ، وأحيانا ينتصر اله النور « أبوللون » .. وأشعلت هذه المعارك منذ الحرب الاولى خيال الفنانين ... وكان فن النحت بخاصة محور التعبير ... سجلت رموزه عزة النصر ، ومرارة الانكسار، وتمجيد الموتى . وتحول النحت من التماثيل الفردية الى المشيدات الملحمية لاستيعاب المعانى العالية ... تأثر أسلوب التناول بفن المعركة .. بل ان ضراوة الاحداث كانت فى ذاتها محركا لتعبيرات الفنان .

وعندما كلف المثال الفرنسى العظيم « انطوان بورديل » بعمل تمثال الجنرال الفيير بالمكسيك .. وأخذ يعد له الرموز التعبيرية التى كانت من سمات موهبته الفنية كان من بينها رمز «النصر» ، فأقامه رمزا هادئا رصينا يمثل رسوخ الانتصار الذى استقر فى ضمير الامة .. فلما قامت الحرب الاولى ورأى اهداء الماريشال بيتان نسخة برونزية من تمثال النصر المكسيكى هزت الفنان حماسة المعركة وجو التعبئة والدمار الذى أصاب أماكن عزيزة ، فاذا بالنصر الراسخ الهادىء يتحرك فى رمز جديد استلهمه من أفق فرنسا المحاربة .. رمز فيه الى قوة الاصرار وحركة المقاومة وصلابة السيف .

وكذلك فعل « بورديل » عندما ما سجل الملحمة البولونية على تماثيل الشاعر آدم ميكييفيتز .

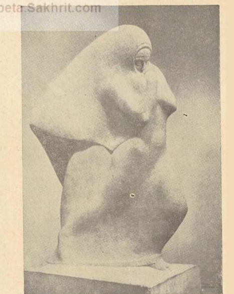
دخلت الملاحم فن النحت تحت تأثير

المعارك واستقرت فى البلاد التى خاصت ضرامها ... نراها ماثلة فى النحت الفرنسى وفى النحت الايطالى وفى النحت اليوغوسلافى وانعكست ماساة الانسانية فى رسومات هنرى مور • وعلى تماثيله • كما أطلق بيكاسو صرخة احتجاج على فظاعة الحرب من لوحتـه « جيرنيكا » ... وفى الفن الحديث أمثـلة عديدة من انطباعات المعارك وآثارها على التعبير التشكيلى •

أما فى مصر الحديثة فقـد بدأ الوجدان التشكيلى يتفتح مع ثورة ١٩١٩ محملا بطاقات من روح الانطلاق والثورة ، فاتخذ الفن من اليقظة وعودة الروح والتغنى بالفلاح والأرض والحياة الشعبية محاور دار حولها وحركت فى هذه الفترة أحساسا بأعماقها •

وكان الرمز القومى من شواغل الفنـان التشكيلى ... تراه فى نحت مختاره .. وفى لوحات ناجى ... وفى أعمال أخرى من نتاج هذا العصر

(الخماسين .. تعبير عن روح المقاومة .. للمثال مختار)



ولقد ظلت تماثيل مختار تعبر عن اليقظة والنصر عن روح تبدو أجلى ما يكون فى تمثاله الخماسين ، فهو ليس تسجيلا لريح عاتية بقدر ما هو رمز محمل بأبعـاد أعمق من عنوانه الظاهر ...انه محمل بروح المقاومة فى الوطن واصراره على الانطلاق برغم العوائق •

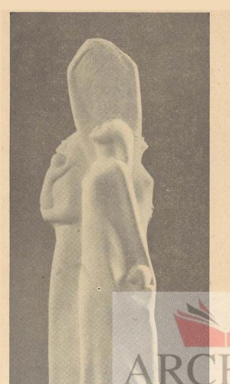
وفى السنوات التى سبقت ثورة سنـة ١٩٥٢ ومع ظهور الطبقة الوسـطى الجديدة هبت على الفن والآداب نزعات من التمرد على على الأوضاع ،وظهرت صرخات احتجاج حملتها اللوحات والتماثيل .. كانت تلك مرحلة الغضب التى تمهـد لاحتمالات الثورة .. وما لوحات السجينى وتماثيله التى خرجت محملة بصرخات السخط قبل الثورة الا أحد أمثلة فن هذه الحقبة •

ومع الاحداث الكبرى التى جاءت بها الثورة ظهرت فى الفن المصرى اضافات معبرة عن هذه الاحداث ، وانفسحت أمام الفنان آفاق رؤيا جديدة •

وحين زحف العدوان الثلاثى المسلح على مصر ١٩٥٦ وهزمت المقاومة الوطنيـة فى حرب السويس مشاعر الفنان التشكيلى انطلقت طاقات التعبير تصور ارادة الاصرار وبسـالة المقاومة •

وجاءت دعوة الوحدة العربية ، فدفعـت الفنـان الى مزيد من التـوغل فى التراث الحضارى .. لم تعـد مصر القديمة وحدهـا منبع الاستيحاء ،وانما أصبح التراث الحضارى كله فى هذه البقعة بمشـاعله التى توهـج ضوؤها على امتـداد الزمان .. بل ان طاقات افريقيا دخلت فى مجال الفنـان المصرى المعاصر ..واستجاب الوعى الثقافى للادراك السياسى بترابط شعوب هذه القارة •

ومن حرب اليمن خرجت لوحات منهـا أعمال الفنان محمد حسنين الذى سجل الكثير من جو حركة التحرير ... واللوحات الاخيرة للفنان مصطفى الرزاز الذى عاد من رحلة الى اليمن ليسجل برموزه الشعبية المعـانى التى تمثلها فى رحلته مع مسحة أضافت ملمحـا جديدا الى أسلوبه •



مصر تقف ضد العدوان
للفنان الراحل (أنور عبد المولى)

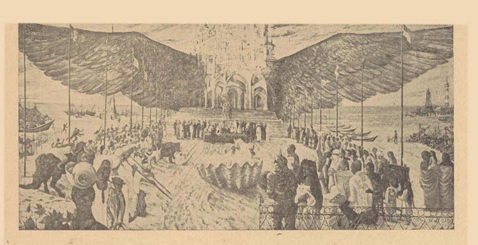
وقد خرجت معارك التحرير ومعارك التصنيع بالفنان عن التزام العمود الاكاديمى للوحة والتمثال ، كما انطلقت به عن مناسيب لوحات الصالون الى الاعمال الضخمة التى ارتفعت أحيانا فوق مستوى التسجيل والاسلوب الوصفى الى الاستيحاء والرمز والبحث عن صيغ تشكيلية تستوعب أبعاد الموضوع ٠٠ ويكفى أن أشير على سبيل المثال لا الحصر الى أثر ذلك على أعمال بعض فنانينا الشباب أمثال نبيل الحسينى ، والدواخلى ، ووهبة ، والنشار ، وهجرس ٠

واذ كان الانفعال المباشرفى الفن التشكيلى قد لا ينتج غير عجالات وشعارات ، فان هذا الانفعال حين يستقر فى النفس ويتوغل فى مشاعرها يستخرج المعانى العميقة وراء الاحداث والصدمات ٠

وقد قامت فى مصر معركتها الراهنة وهزت كيان عالمنا العربى ، فاستجاب الفنان لندائها العاجل فيما يقدمه للصحف اليومية وما يعده للمعركة من شعارات ، وكذلك فيما بدا به بعض الفنانين من أعمال تمثلت فيها انطباعات هذه الفترة ٠

غير ان هذه الآثار المباشرة العاجلة سيعقبها انعكاس الانفعالات والمعانى الدائمة٠ فآثار المعركة القائمة على الفنون التشكيلية آثار عميقة الاغوار لا تقتصر على مضمون الفن التشكيلى وما سيدخل على هذا المضمون من رؤى ورموز ، وانما ستتناول فى الأغلب لغة التعبير التشكيلى ٠ فواجب الفنان أن يرفع صوته الفردى المتميز وسط الجماعة للحفاظ على حضارته وتراثه وأصوله التى يزيد الاستمساك بها فى مواقف العدوان ٠٠٠ فالعدوان على قيم حضارية وعلى معان تمثلها هذه القيم ٠٠٠ وواجب الفنان أن يؤكد من خلال أعماله الدور الحضارى لبلاده ، وأن يزداد اصرارا على التجويد فى فنه الذى يجب أن يكون من أدواتنا الثقافية فى مخاطبة الرأى المستنير فى العالم ، وفى اجتذاب أصحاب هذا الرأى ، عن طريق الاعجاب بتقدمنا الحضارى لمساندة موقفنا ٠٠٠ ففى مثل هذه المواقف العدوانية التى تتهدد القيم العليا ينبغى أن نكون أكثر اصرارا على الحفاظ عليها والمضى بها وتأكيد كيانها ٠

كذلك فان هذه المعركة فى تصورى تزيدنا التفافا حول تراثنا الحضارى ، بل حول التراث الحضارى العربى كله الذى تأثرت أرضه من المعركة ، وهو يدعونا الى مزيد من الاستمساك بهذا التراث وفهمه ، مما يؤدى الى انعكاسه على لغتنا التشكيلية المعاصرة ٠ كما



تضامن الشعوب من أجل السلام

(للفنان عبد الهادى الجزار)

انه يجب أن يزيدنا قربا من لغة التشـــكيل المعاصر فى المنطقة العربية ، وأن يؤدى الى تجمع فنون المعركة والى التبادل بينها من اجـــل استجماع الذات العربية من خلال فنونها فى هذه الحقبة التى تتطلب أكثر من اى وقـــت مضى هذا الاستجماع والتماسك باعتبـــاره وسيلتنا الى معرفة ذواتنا فى تيار الثقـــافة العالمية ٠

فذلك فى ذاته دعوة للدفاع عن الثقـــافة الانسانية فى العالم العربى ٠

ومن شأن الفن التشكيلى فى مثل هـــذه المواقف أن يحيل هذه اللحظة التـــاريخية الى لحظة من لحظات الانسانية وأن يرفعنـــا من التمزق والتشتت الى الوحدة والتكامل ٠٠ تلك هى مهمته وهذا هو ما نرتقبه منه ٠

« على العرب فى مواجهـــة التـحدى أن يكونوا يدا واحدة ليقفوا من أجل حقوقهم ومن أجل تثبيت حقوقهم وأن يدافعوا عن الكرامة العربية »

جمال عبد الناصر

« ان المعارك الدولية التى خاضهاشعبنا انمـــا كانت معـــارك دفاعية خاضها قتـــالا عن حقوقه المشروعةوحقوق الامة العربية التى يشـــعر بانتمائه الحيوى اليها انتماء الجزء الى الكل » ٠

(الميثاق)

قصة قصيرة

يوحنا الأمريكي يبشر فى الحانه

بقلم عبد العال الحمامصى

توقف عن كثب من الحانة ، ينفض قطرات المطر عن شعره المتهدل • لا يمكن بسهولة تحديد العصر الذى ينتمى اليه طراز ملابسه• وجهه هو الآخر لا جنس له • ولكن نظراته الكاسفة الثملة تطل منها جهامة تختلط بخيبة أحلام أمريكى قديم •• قذف قشرة موز بقدمه ثم امتدت يده اليمنى تسند قلبه وقد جحظت عيناه وأطلت منها أعماقه المخمورة وهو يحنى قامته ويتقيأ من بطنه سائلا أصفر تتشابك به خيوط الدم وشرائح الرنجة •• قذفه صاحب حانوت الخضروات بجززة معطوبة واختفى داخل الحانوت •• ورسمت الراهبة التى كانت تطل على الميدان علامة الصليب وأغلقت أضلاف النافذة ! •

استرد العجوز أنفاسه وأخرج من جيبه زجاجة صغيرة أدناها من أنفه يشمها • ابتلع منها جرعة فتزايدت كآبة الثمل فى عينيه • ثم سحب من تحت ابطه توراة قديمة مغلفة بجلد الماعز وأخذ يقرأ فيها بلا صوت وهو يترنح وتلهث الكلمات داخل حلقه !!

(يوحنا يصلى من أجل العالم !!) قالها الزنجى الفارع القامة لرفيقته الشقراء ودلف داخل الحانة •• أغلق العجوز كتابه وتحرك من فوق الرصيف يحدق فى المارة يشير لهم بأصابعه الى بعيد • البعض كان يومىء له بالتحية والبعض يتجاهله • والصغار يقذفونه بنكاتهم وتنطلق قهقهاتهم نزقة ثم يواصلون السير !!

اللعنة عليك يا «أورشليم» •• قذف بها فى وجه المدينة ثم جلس فوق الرصيف يفتش فى جيوبه أخرج الورقة البنية الممهورة بختم وزارة الدفاع وفردها يتأمل فيها ببلاهة وعليها تتساقط دموعه •• (ريتشارد • مات ياجدة•• الفيت كونج قتلوه فى الغابة) ولوح بالورقة تجاه العجوز يقول •• (مكنمارا يقول بأنه مات من أجل شرف أمريكا •• !!) توقفت العجوز لحظة • ثم أخرجت من جيب معطفها الداخلى ورقة مماثلة • ونظرت اليه والى الزجاجة بجانبه • ومضت فى طريقها تصفع الأسفلت بخطواتها اللاهثة •• اقتربت مجموعة من الغلمان متدلية شعورهم على جباههم وأقفيتهم •• فترك العجوز الزجاجة والتوراة على الرصيف ونهض يعترض طريقهم•

(ريتشارد مات ياغيال ، معبود هارلم الابيض •• بطل الرجبى الصغير •• معشوق فتيات الجامعة الأنيقات أخذه الجنرالات

وأضاعوه فى الارض البعيدة ·· حتى جثته لم يعيدوها الى يا عيال ··) ·

تدافعت قهقهات الصغار·· ومد أحدهم يده يداعب ذقن العجوز · وخطا آخر الى الرصيف وجاء بالزجاجة يفرغها فى حلقه ·· (اشرب ياجون العجوز ·· يمكنك بهذه الطريقة أن تلتقى بروحه !!)

(دعه يا أيك ·· عندنا مواعيد مع بنات الآلات الكاتبة فى الشارع الخامس · لا تعطلنا ياجون العجوز !) لحق بهم يتابع خطواتهم··

(بحق يسوع لا تذهبوا ياعيال ·· الدور عليكم ياخنافس الجيل ·· الموت هناك ·· والوباء · شرف أمريكا لن يحميه القراصنة) وأمسك بالسلسلة المدلاة فوق صدر الغلام الأشقر ·· (قلت لا تذهبوا ·· الجثث متناثرة فى الغابات · وقاذفات القنابل تنفث الموت · بحق يسوع موتوا هنا ، بوذا لا يملك هناك الا نحيبه !!) ·

تراكض الصغار فى كل اتجاه · وتركوه يخاطب الخواء ·· كف عن الجرى خلفهم عندما دنت السيدة الشابة تمسك بيدها وليدها الصغير ··

(سيدتى أنت بحق العذراء عودى · الموت فى الطريق ·· وديع هذا الملاك كالعصافير جنرالاتنا أبادوا هناك كل العصافير·· ألقموها حجارة من سجيل ·· ضعيه يسوعنا الصغير فى مزود البقر · وانتظرى ربما يأتى المجوس ويضمخون قدميه بالطيب ·· ويكون ملك العالم ربما ·· فمن الممكن أن ينحسر الطوفان وتبنت الخضرة فى اليابسة من جديد ·· عودى ·· نوح أقلع بالسفينة · اصعدى بوليدك الى الجليل ·· وانتظرى ريتشارد · ولدى قد تدفع به الموجة عبر المحيط ·

أطلت مارى العجوز من داخل الحانة تناديه· (تعال يوحنا ·· تعال أيها الولد العاق · زبائنى أوحشتهم بركاتك · تعال لتطوب السكارى فى حانة الجدة مارى ·· عندى رسالة من سايجون ·· سارة تواصل صلاتها من أجلك هناك !) ·

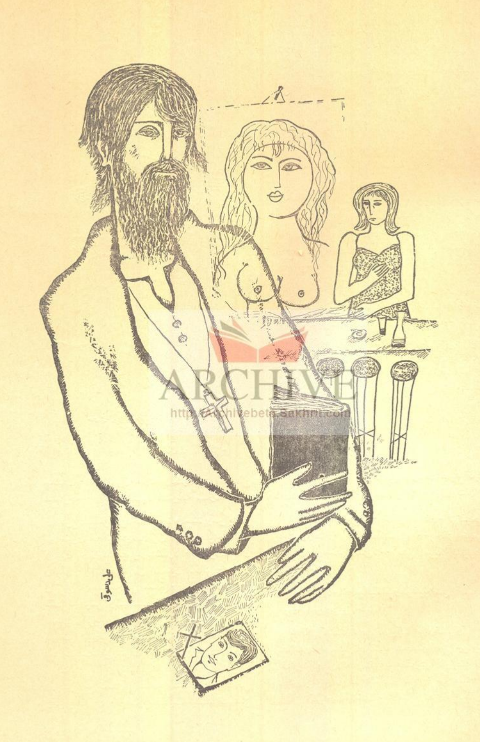
لم يلتفت اليها ·· اعترض طريق القس الشاب وهو يتأبط اسطوانات الموسيقى ونسخة مذهبة من العهد الجديد ·

(أبانا ·· أيها المبارك · قل · هل ينجو نوح ومن بالسفينة ·· قل يا أبانا من ستكون له الغلبة نوح · أم القرصان ·· الاسطول السادس يا أبتاه يجوب البحار قل لا تباع كنيستك ألا يذهبوا ·· سيأتى هنا من تلقاء نفسه ليخلصهم · سيأتى هنا بلا خوف· فلن يسوقه كهنة البورصة الى الجلجثة · أقول هذا أنا النقابى المفصول · خصم مكارثى القديم · لن ندعه يساق الى الصليب · لن نترك روكفلر يقيم عليه الدعوى · ولن نسمح لمورجان أن يحاكمه !!

قطب القس جبينه يتمتم بكلمات مبهمة وهو يواصل سيره والعجوز يلاحق خطواته ·· (تكلم يا آبانا ·· قل لهذه الحبلى أن تأوى الى جبل يعصمها · السفينة أقلعت وغاب الشراع سيدتى · سيدتى · هذا الذى ببطنك لن تذهبى به · تعالى أعمده لك ويتلقى كرازة يوحنا العجوز لن تجدى هناك الا الصحراء ، الرمال ستكون فراشك عند المخاض والصخرة وسادتك ونعيب البوم ترتيلة ميلاده ·· وربما يكون قابيل الصهيونى متخفيا هناك ينتظر تعليمات وول ستريت !!) ·

كان القس قد اختفى بينما العجوز يخاطب الحبلى فعاد أدراجه داخل الحانة وهو يقذف فى جوفه بقية الزجاجة هلل السكارى عند دخوله · كفت موسيقى الجاز عن جنونها · توقف جسد سالومى عن لهاثه ·· أهلا يايوحنا ·· هنا ياجون ·· على حسابى نبيذك الليلة ·· تعالى لتباركنا نحن المساكين بالروم ·· تطايرت نظراته بين الموائد واتجه الى مارى العجوز مباشرة يتقاسم معها مقعدها بجوار البار ·

(كأس يوحنا ياسالومى · جاءتنى منها رسالة ياجون · تسأل عن أخبارك أيها العجوز ·· كان يجب أن أمنعها ياجون · تركتها تذهب وحيدة عزلاء تسكب النبيذ لأولاد أمريكا هناك ·· اكتب للرئيس كى يعيدها الى ياجون · حرام أن نتركها للصقور





هنـاك · قد تكون مارقة ولكنها من أحشائى منسوجة ·· تلك النمرة الشرسة سارة ··)·

أفرغ الكأس فى حلقة مرة واحدة وهو ينظر الى صورة « كيندى » فوق الجدار المواجه له· (قلت له لا تذهب ياريتشارد ·· الموت هناك والعار ·· لم يصغ الى الصغير الحالم ·· قال لى أمريكا المقدسة فى محنة ·· لم يصدقنى · قلت له ليس وطنـك ذلك الذى انتويت أن تصلب الحرية فيه أنت من تكساس · فلماذا تخوض الجحيم فى سايجون ·· لم يصدقنى عاد يتحدث عن شرف أمريكا ·· خدعه محرر « التايم » الذى يقبض اكراميات « كارنيجى» ورحـل مع قافلتهم الذاهبة لتعذب الحياة فى وطن بوذا ·· راح الولد الطيب ليغمد السنكى فى عنق الفجر هناك ومات ·· ولدى الاشقر بطل الرجبى الوسيم !!)

وأخرج الصـــورة من جيبه يبللها بقبلاته الباكية فتناولتها منه العـجوز وهى تنظر الى صورة سارة فى اطارها الخشبى فوق البار · وانهمرت هى الاخرى دموعها ! ··

(كانت تعبده ياجون · لم تجـــد الدموع عندما تلقت الخبر · أغلقت رتاج الباب عليها ترفض الطعام ·· ثم خرجت تقـول لى بأنهـا ذاهبة الى هناك تبحث عن الخلاص بطريقتها الخـاصة ·· ستعطى نفســـها لأولاد أمريكا الضـــائعين هناك · حيث لا وطن ولا قضية ·· ذهبت لتعطى روحها لولدك الضائع هنـاك · وتركتنى لسـخافات السكارى وآلام النقرس فى مفاصلى) ·

استرد العجوز الصورة من يدها · ونهض واقفا يمر بهـــا على زبائن الحـانة ·· قبلتها سالومى الساقية فانتزعها منها بغضب وهوت كفه بصفعة على وجهها ·· اللعنة عليك ياابنة الزانية ·· نظرت سالومى الى صدرها العارى وهطلت دموعها ثم دفنت وجهها فى رخام البار تنتـحب ·· قذفه شارلى عامل الميناء ببقايا الخمر فى كأسه · (جون كن ولدا هادئا ·· لم أقلع عن احتراف الملاكمة بعد ·· سالومى بنت طيبة !) ·

اهتز قلب العجوز لنحيبها وبدت عليه كآبة الندم فذهب يربت بيده المرتعشة فوق كتفها·

(عفوك سالومى ·· تعالى أعمدك· لم تذبحى انت يوحنا · قتله «مكنمارا» ·· خذى ضعى فمك فوق خد ولدى ·· فتى أمريكا المعبودة الشرسة ··) ·

واختنق حلقه بالبكاء وهو يواصل كلماته فى همس حزين حالم ·

(لكم كنـــا نحب أمريكـــا يا رفـــاق ·· أعطيناها عصـارة القلب لنعصمها من جرائيم التاريخ · أردنا أن نزفها بعذريتها البريئة الى عصر جديد عروسا تسكب الطهارة فى قلبه·· ولكن القراصنة اختطفوها منا ونحن فى غفوة

الحلم وأحالوها الى بغى شرهة تمتص بكارة عصرنا .. قبليه يا سالومى . انها صلاتك من أجله .. جففى هذه الدموع لأباركك .. أباركم جميعا نفاية أمريكا وبثورها . يامن تركتموها تسقط وجئتم لتغرفوا تمزقات عاركم فى النبيذ . أباركم أبارك سارة الراحلة تبحث عن الخلاص . وتحتمل رجم قبلاتهم السكرانة . عساها تجد ولدى .. لقد باركها هو عندما دهنت قدميه بالطيب وألقم التلاميذ أحجارا فى أفواههم الفاغرة دهشة .

(جون العجوز . كفاك ثرثرة .. أوجعت أدمغتنا بهذيانك .. ان كانت السياسة مهنتك فاذهب الى الكونجرس . ردعنا لغلينا بلا غد يومنا .. الساعة قادمة. شجرة التين أورقت. وأورشليم سقطت . ودخل القطيع التائه باللعنة بيت الرب . قلت لهم هذا فطردونى من كنيستى الصغيرة ياجون قالوا بأننى أجدف . وأصبحت بلا رعية أنتظر الخلاص فى حانة الجدة مارى . صمتا يايوحنا لا توجع قلب الكهنوتى المطرود ..)

(لا دعه ياراسك واشرب نبيذك فى صمت لم نأخذ نحن كنيستك .. تابع يا يوحنا قل متى سيأتى ذلك الذى لا تستحق أنت أن نغسل قدميه هل سيأتى ليباركنا فى الحانة ويعيد لنا الاولاد من آسيا .. سنقدم له سالومى كأسا من أعناب يافا !)

اقترب العجوز من الكاهن المفصول وتناول الزجاجة من فوق مائدته وأفرغها فى جوفه بلا كلمة « هذا كلام الكهنة ، والتايمز والفريسين أيها القس المخلوع .. أقول لكم أنا يوحنا النقابى طريد مصانع الصلب .. شجرة التين التى أورقت زائفة . لم تعطها التربة عصارتها .. صنعت هنا فى قوارير الاختبار. أوراقها المصنوعة فى المعمل سوف تجف . أغصانها المدهونة بخضرة الزيف سوف تتساقط فلاأصلها ثابت ولافرعها فى السماء . لقد صنعها الكهنة ليدخلوا بها بيت الرب . ويجمعوا تحتها أحقاد العصور عساهم ينتقمون لعارهم فى التاريخ . ومهما نهبت قوافلنا بترول الاوسط فالشمس تشرق من هناك وحتما سينجاب الضباب ويسطع أفق الخلاص .. ! »

(تابع يايوحنا .. تابع . هذا كلام الأنصار يتلى من جديد .. كأسا ليوحنا على حسابى وتعالى لتأخذى نقودك ياسالومى ..)

من جديد أخرج العجوز صورة رتشارد من جيبه وأغمض عينيه وأدناها من فمه يلثمها . ثم أزاح الزنجى المخمور من فوق المائدة وصعد فوقها يحاول أن يصلب عوده .

(الحق أقول لكم .. لتكون أمريكا لنا وملكوت السموات . أوقفوا الطوفان . أوقفوه .. أقيموا السدود . اقتلوا التنين.. أغمدوا الحراب فى أمعائه .. خلصوا فتاتنا من أحضان التجار . وسيأتى حينئذ ليخلص العالم ويعطيه لنا .. سيأتى ليخلص العالم ولدى ريتشارد سيأتى . ويطرد كهنة النقابة وسماسرة الكنيسة . لن يسوقوه الى الصليب هذه المرة . لن يسلمه يهوذا . ولن يحاكمه بلاطس .. فستحميه الملايين المنتظرة يشبق الخلاص . ويكون لها .. لأنه من داخلها جاء . وفى البدء كان فيها وسيطرد الكتبة.. ويغنى روبنصون لنا وللسود.. ستاتى فوائل الصين وتندمل جراح هانوى . ونعطى القمح لجياع الهند .. ويعانقنا الذين أحرقت قنابلنا أرزهم . وتقوم «أورشليم» جديدة يحضر بها زيتون المحبة . وبرتقال السلام . وندخل جميعا بيت الرب .. ولكن الحق أقول لكم.. علينا أن نحتمل آلام المخاض .. أن نحتملها حتى الموت ..!!) وهن صوت العجوز وغدت الكلمات تخرج ميته بلا صوت من فمه ..

هبط من فوق المائدة .. وقد غامت عيناه وهو يترنح ويده فوق بطنه ، ثم تداعى فوق المقعد وألقى برأسه فوق رخام المائدة.. أغرق الصمت الحانة . سحب الزنجى قيثارته يخرج منها أنغاما متأوهة .. تقدمت مارى العجوز تجس كفه فانتفض من يدها باختلاجة حياة عابرة . وأخرج صورة ريتشارد من جيبه يحدق فيها بنظرات خابية منطفئة ثم أعطاها للعجوز مع صليب نحاس صغير .. ومن جديد تداعت رأسه فوق المائدة .. أناخ الزبائن ذقونهم فوق الصدور .. بينما تعالت أنغام الزنجى تنفث الكآبة .. وما زالت يد مارى تطبق على كف العجوز بدون أن تعرف .. هل يوحنا فى غفوة .. أم أنه كان يلفظ أنفاسه!

أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة



غسان كنفانى

للكاتب الفلسطينى غسان كنفانى

بيروت .. دار الآداب ١٩٦٦

عرض وتقديم : عبد المنعم عواد يوسف

يستمد هذا الكتاب قيمته الاساسية من ناحيتين .

الناحية الاولى : أنه يعرض للظروف السياسية والثقافية التى يعيش فيها أبناء فلسطين داخل الارض المحتلة ، ممهدا بذلك لهذه الدراسة الجادة للأدب الذى تتمخض عنه مثل هذه الظروف ، والناحية الثانية : أننا نطالع فيه ـ ربما لاول مرة ـ نماذج طيبة لانتاج مجموعة من الادباء الشبان من أبناء فلسطين ، مازالوا يعيشون داخل أرضهم المحتلة ، وسط ظروف سياسية واجتماعية وثقافية ، أقل ما يقال فيها انها ظروف غير طبيعية .

والبحث ـ وان افتقر الى المنهج الاكاديمى ، كما يصرح المؤلف بنفسه ـ قد « حاول جهده أن يتمسك بأمرين جوهريين هما تذكره الدائم فى معرض تقيمه لادب المقاومة للظروف الخاصة التى استولدته ، وايمانه الذى لا يتزعزع ـ وهو « ايمان موضوعى » فى نهاية المطاف ـ بقضية أدب المقاومة التى تستولد بالتالى التزامات ومهمات لايمكن لهذا الادب أن يكون اذا لم يكرسها يوميا وفى كل حرف » ص ٦

والكتاب مكون من ثلاثة فصول رئيسية هى : أدب المقاومة بعد الكارثة ـ البطل العربى فى الرواية الصهيونية ـ نماذج من شعر المقاومة العربى .

وكم كنت أفضل لو أن الباحث قد اكتفى بالفصلين الأول والثالث ، واستغنى عن الفصل الثانى ، لأنه مقحم اقحاما على موضوع الدراسة ، فاذا كان الفصل الاول قد تحدث عن الظروف التى يعيش وسطها المواطن العربى داخل الارض المحتلة ، ثم تناول بالدراسة الادب الذى أنتجه الفلسطينيون تحت هذه الظروف ، موضحا ملامحه وخصائصه ، فان الفصل الثالث يقدم نماذج من هذا الأدب ، توضح قيمته الفنية ، وتبرز الملامح التى تحدده ، والخصائص التى يتميز بها .

لى ملاحظة أخرى تتعلق بالعنوان .. فكلمة « أدب » أوسع مدلولا من المادة التى دارت حولها الدراسة ، ومن النماذج التى أوردها الباحث فى الفصل الثالث من كتابه ، فالشعر فرع واحد من فروع الادب ، ومما لا شك فيه أن الادباء الفلسطينيين ـ داخل الارض المحتلة ـ ينتجون فى فروع الادب الاخرى كالرواية والقصة القصيرة ، الى جانب انتاجهم

للشعر ، وأنا لا أقصد من هذا أن الكاتب كان مطالبا بتقديم نماذج من ذلك الانتاج ودراستها ، وانما أعني أنه ما دام لم يستطع أن يحصل الا على هذه النماذج من الشعر ـ بسبب طبيعة الشعر الخاصة وسرعة تداوله ـ فقد كان من الأنسب أن يكون العنوان « شعر المقاومة في فلسطين المحتلة » ..

هذه الملاحظات العابرة ، لا تقلل بحال من الجهد الرائع الذي بذله الكاتب في اعداد بحثه ، ولا من النية الصادقة التي دفعته الى جمع مادته ، مع صعوبة هذا الجمع ، وتعذر الوصول الى مصادره .

ونبدأ بالفصل الاول الذي يعرض فيه الكاتب بوعي وعمق ـ للظروف الثقافية التي أخرجت أديب الارض المحتلة . انه يعرض هذا في عبارة موجزة ـ ولكنها كافية ـ حين يقول: « حين سقطت فلسطين في يد العدو لم يكن قد تبقى تقريبا في فلسطين المحتلة أي محور ثقافي عربي يمكن أن يشكل نواة لنوع جديد من البعث الادبي ، وكان جيل كامل من المثقفين ، أو بالاحرى أجيال من المثقفين ، قد غادرت فلسطين الى المنفى ـ ولم يبق ثمة الا مجتمع عربي قروي في غالبيته الساحقة ، يخضع لحصار سياسي واجتماعي وثقافي يندر وجود ما يماثله في العالم » ص ١١

ثم يوضح الكاتب بعد ذلك هذا « الحصار الثقافي » في ست نقط هي : ان غالبية العرب الذين ظلوا في فلسطين بعد احتلالها ينقصهم . بسبب أوضاعهم الاجتماعية المستوى الثقافي الذي ينشأ عنه جيل من الكتاب والفنانين ـ كما ان المدن العربية التي كانت تحتضن المواهب القادمة من الريف وتفتح لها أبواب الذيوع قد تحولت الى مدن يهودية لا يمكن بحال أن تفتح ذراعيها لانتاج أدبي عربي ـ وأدباء الارض المحتلة ، بسبب عزلتهم القسرية ، انقطعوا عن متابعة الادب العربي الحديث، ومواكبة تياراته وتبادل التأثير معها ـ ثم ان الحاكم العسكري الاغتصابي قد فرض نوعا من الانتاج الادبي المطلوب شيوعه وانتشاره ، وهذا الانتاج بالطبع ليس هو النوع الذي يريد عرب الارض المحتلة انتاجه ـ هذا الى جانب كون وسائل النشر محدودة وخاضعة خضوعا مباشرا لمراقبة السلطة اليهودية من جهة، وتمويل الاحزاب الصهيونية من جهة أخرى ، وهي بالطبع تشترط عند النشر نوعا من الانتاج الادبي غير هذا الذي يعبر حقا عما يريده عرب الارض المحتلة ، وأخيرا فان ضعف مستوى اتقان اللغات الاجنبية عند عرب الارض المحتلة ، وخاصة في الريف ، أدى الى انقطاع شبه كامل عن الانتاج الادبي العالمي وتأثيراته .

ويرى الباحث ان هذه النقاط الست يجب وضعها في الاعتبار عند اجراء أي عرض للانتاج العربي في الارض المحتلة .

ونستطيع في ضوء هذه الحقيقة أن نتبين لماذا اقتصرت مادة هذا البحث على الشعر دون غيره من أنواع النتاج الادبي ، فالشعر «يستطيع أن ينتشر دون أن يطبع ، وأن ينتقل من لسان الى لسان » ، وهذا بدوره فرض أسلوبا معينا على هذا الانتاج الشعري و « هو الالتزام بالعمود التقليدي الذي يحمل استعدادا أكثر لسهولة التداول ، من ناحية ، ولتلبية الحرارة العاطفية المطلوبة من ناحية أخرى » . ص ١٣

ونحن ـ كما يقول الكاتب ـ « اذا اعتمدنا المقاييس التكنيكية المعتمدة الآن في العواصم العربية » نجد أن هذا الانتاج الشعري ـ « من حيث الشكل على الاقل » ـ متخلف وملتزم بعروض الخليل التقليدي ، ولكننا حين نضع في اعتبارنا ظروف أدباء الارض المحتلة الخاصة ، نجد أن مثل هذا الانتاج الشعري التقليدي الصياغة ، أكثر قدرة على الانتشار كأدب هو من ضرورات المقاومة من الشعر الحديث ، هذا بالاضافة الى أن تجربة الشعر الحديث نفسها ، لم تأخذ مداها هناك ، داخل الارض المحتلة ، بسبب « الانقطاع شبه الكامل الحادث بين حركة الادب العربي المتقدمة في العواصم العربية ، وحركة الادب العربي المعاصر كليا في الارض المحتلة » ص ١٣

ويتحدث الباحث عن الشعر الشعبي في فلسطين بعد سقوطها في يد الصهاينة عام ١٩٤٨ ، ويرى انه كان « المكان الذي عبر فيه الشعب المغلوب على أمره عن أشواقه » حتى ان سلطات الاحتلال كانت تفتح النار على

المتظاهرين حينما يندفعون بسبب ما تلهبه فى نفوسهم من نار كلمات القوالين والشعراء الشعبيين ، ويخرجون فى مظاهرات عنيفة ، أدت الى تقديم عدد كبير من هؤلاء القوالين والشعراء الشعبيين الى الحاكم العسكرى .

وكان هذا الشعر الشعبى يتجاوب «تجاوبا مذهلا مع الأوضاع والحركات العربية » ، ويعرض الكاتب لنماذج كثيرة من الشعر الشعبي في هذا المضمار ، غير اننا نكتفى بعرض النموذج التالى الذى يتغنى فيه الشاعر الشعبى بذكر الرئيس جمال عبد الناصر ، حامى العروبة :

هبت النار والبارود غنى
تسلم لينا يابو خالد
يا حامى ظعنا
هبت النار من عكا للطيرة
تسلم لينا يا بو خالد
يا حامى هالديرة

أما هؤلاء الخونة الذين يتعاملون مع العدو ، فان الشاعر الشعبى يزدريهم ويهجوهم كما فعل مع الخونة الذين خاضوا مع « أشكول » الانتخابات فى معركة واحدة :

أما اتفرج يا سلام
عالعجايب والتمام

شوفو فرسان المعراخ
داخو ومعلمهم داخ
شوفوا سيف وشوفوا دياب
أخشاب بشكل النواب

ويعود المؤلف بعد ذلك الى الحديث عن الحصار الثقافى المضروب حول عرب الارض المحتلة والوسائل التى يفرضها المغتصب للحيلولة بينهم وبين التعبير عن مشاعرهم الحقيقية ، فيضيف وسائل جديدة منها اغراق سوق الكتاب العربى بركام من الكتب الرخيصة والتافهة .

ولعل أهم وسيلة يلجأ اليها المغتصبون هناك للحيلولة دون نشوء جيل عربى مثقف هى تلك القيود التى يفرضونها حول الطلبة العرب ، والصعوبات التي يضعونها فى وجوههم حتى يجعلوهم ييأسون من التعليم وينصرفون الى العمل - صغارا - لكسب لقمة العيش ، « فعدد الطلاب العرب الثانويين فى الارض المحتلة هو حوالى ٣ بالمئة من مجموع الطلاب اليهود » ، « ويوجد مئة طالب عربى فقط فى المعاهد العليا بالارض المحتلة » .. والمشكلة أكثر تعقيدا من ذلك : « فالمدارس الابتدائية العربية مرغمة على اعطاء برامج دون مستوى المدارس الابتدائية اليهودية ، وهذا وحده يحول دون عدد كبير من الطلاب ودون أن يتابعوا دراستهم الثانوية » هذا بالاضافة الى أن الطالب العربي لايتلقى في المدارس الثانوية من اللغات الاجنبية ما يمكنه من النجاح فى الشهادة الثانوية كزميله اليهودى ، ولذلك فان « عشرة بالمئة فقط من مجموع الطلاب العرب ينجحون كل سنة فى الشهادة الثانوية ، وأولئك الذين يستطيع وضعهم الاجتماعى والاقتصادى تأهيلهم لدخول الجامعة يتعرضون الى سلسلة من الشروط تمنعهم من الدراسة فى كليات معينة - أما الكليات المخصصة للدراسات الادبية الشرقية فهى تعانى من نقص فادح فى المؤهلات ، وهو نقص متعمد» ص ١٩

وقد أدى هذا كله الى « تحطيم مستمر لكل الاجيال الثقافية العربية التى كانت على وشك لعب دورها الرائد ، وكانت نوعية الثقافة العربية المفروضة على السوق العربية تعمل ، من جهتها ، فى تحطيم المستوى الثقافى العربى من ناحية أخرى » ص ٢٠

ولعل أهم ما يمتاز به هذا الجزء من الكتاب هو أنه يقدم - ربما لأول مرة - مجموعة من الحقائق عن الوضع الثقافى لعرب الارض المحتلة ، مدعمة بالاحصائيات ، فعدد الصحف العربية التى تصدر فى الارض المحتلة ١٦ صحيفة ، واحدة منها يومية ، وهى تابعة للحكومة ، وثمان اسبوعية ، وسبع شهرية ، وكلها تتبع الاحزاب الصهيونية ، أما الذين يكتبون بالعربية من شعراء وكتاب فى الارض المحتلة فعددهم ٢٨ شاعرا وكاتبا ، بينهم ٨ من اليهود الشرقيين، أما عدد الكتب العربية التى صدرت وطبعت هناك بعد ١٩٤٨ فلا يتعدى خمسة عشر ديوانا شعريا ، وحوالى خمس روايات ، يقر المؤلف أنه « لا داعى للحكم على أكثرها - ما دامت قد حصلت قبل ذهابها للسوق على اذن الرقيب » ص ٢١

وفى السنوات الاولى لقيام اسرائيل لم ينشر سوى شعر غرامى تافه ، ولكن قيام ثورة ١٩٥٢ المصرية أحدثت هزة عنيفة ، كان لها صداها فى نفوس الشعراء ، فخرج انتاج شعرى قومى ، ولكن الصحف الصهيونية اتخذت قرارا بعدم نشر هذا الانتاج ٠

ومن ثم فلم يكن أمام الشعراء الا الامسيات الشعرية يقيمونها فى القرى ، ولكن سرعان ما تنبه المغتصبون الى ذلك ، فصدر قرار بعدم اقامة مثل هذه الامسيات ، كما استجوب عدد كبير من الشعراء المشتركين فيها ٠

واذا كان شعر الغزل قد تدفق فى أعقاب الكارثة ، فانه لم يكن منقطع الجذور عن شعر المقاومة الذى تفجر بعد ذلك « لقد تدفق الغزل ليس فقط ليعوض شعورا مريرا بالوحدة والاغتراب ، ولكن أيضا ليشيد من جديد علاقات جديدة فى ذلك التجمع الصغير الذى اكتشف فجأة أنه صار أقلية مغلوبة على أمرها وسط زحام غريب » ص ٢٣

ولكن هذا كله سرعان ما انجاب لتحل محله علاقة جديدة هى « علاقة التحدى والنزال» بعد أن « أخذ الاحساس بالهزيمة وفقدان الوطن مداه ، فارتدت كل تلك العواطف الى الطرف الآخر » مدركة لقوتها ، شاعرة بوجودها ٠

على أن اتخاذ شعراء الارض المحتلة فى نهاية الامر لموقف المقاومة لم يكن اختيارا سهلا ، وانما هو « معركة يومية مع عدو خبيث يعتبره مسألة حياة أو موت »

ونستطيع أن نلخص الظواهر المميزة لشعر المقاومة فى فلسطين المحتلة ــ كما أوردها المؤلف ــ فى النقاط الست التالية :

أولا : ليس هذا الشعر بكاء ولا نواحا ولا يأسا ، ولكنه اشراق ثورى دائم وأمل يستثير الاعجاب ٠

ثانيا ــ انه يتأثر بسرعة مذهلة بالاحداث السياسية العربية ، ويعتبرها اكمالا لموضوعه٠

ثالثا : انه يواجه فى شجاعة المحاولات الاسرائيلية لتكريس الاغتصاب وسحق الشخصية العربية فى الارض المحتلة ٠

رابعا : شيوع روح السخرية فيه ، « فحين يتجاوز التصدى حدود الشجاعة لا يجد مايلجأ اليه غير السخرية » ٠

ولا شك أن هذه السخرية نابعة من شعور صميمى بأن ما يحدث هو مؤقت ، وأن التغيير سيقع ذات يوم ويمر الكابوس ، ويضحى حكاية ليس الا » ٠ وهذه الظاهرة قد اتخذت هذا الطابع اليقينى لكونها انبثقت فى الريف الذى فاجأ العدو « بصمود حقيقى شديد العمق ، ينظر اليه يمر فوق الاحداث ، فوق حقيقة الارتباط بالوطن والارض ، عاجزا بحكم طبيعته التاريخية عن التفكير بقبوله معتبرا المسألة برمتها من باب البلية التى تضحك والتى سرعان ما تمضى » ص ٣٧

وهذا التحليل الدقيق لنشوء هذه الظاهرة يستحق أكثر من كلمة اعجاب ٠

خامسا : المزج المنطقى العميق بين الشخص والارض ، العلاقة الفردية والعلاقة مع الوطن ، الشخص والشعب ، بحيث تصبح شخصيته الحبيبة « شفافة الى حد تضيع فيه معالمها بالارض ، يضحى جمالها هو أيضا ملخصا فى كلمة ساحرة (فلسطينية) » ٠

سادسا : يسارية هذا الشعر ، ويرجع الباحث هذه الظاهرة لكون غالبية عرب الارض المحتلة من الفلاحين الذين لم يكن لهم فقط شرف خوض الثورات المتصلة فى فلسطين قبل الاحتلال ، ولكن أيضا تلقى العبء الاكبر فى حرب ١٩٤٨ــ ولكون هؤلاء الفلاحين يتعرضون يوميا لاجراءات القمع الاغتصابية التى تحاربهم فى أرزاقهم ــ هذا بالاضافة الى أن الحكم الاغتصابى فى الارض المحتلة وليد تآمر الانظمة الرأسمالية التى خلقته وما زالت تدعمه ٠

وشعر المقاومة فى الارض المحتلة يسير فى ثلاثة اتجاهات :

١ ــ حين يتعامل مع العدو الذى يحاول استدراجه الى أى نوع من الحوار يواجهه بالسخرية الجارحة التى تعبر عن أعماق الموقف الشعبى الحقيقى ٠

٢ ــ حين يتعامل مع واقعه السيىء اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، يتخذ من هذا الركام الفاسد الذى يطرحه هذا الواقع السيىء منبرا عاصفيا للتحدى ٠

٣ ــ وحين تتحتم المواجهة ، وتقترب ساعة الالتحام، يتحول هذا الادب من الوقر والتحدى الى مواقع الهجوم الحاسم ٠

ان هذا الشعر « يظـل حركة فى سلسلة الثورة العربية الدائمة ، فهو قد ضبط خطاه مع الحركة التقـدمية العربية عبر كل حواجز القمـع والارهاب ، واعتبر نفسه بداهة جزءا منها ، وانفعل بجوانبها المشرقة انفعالا عميقا خلاقا » ، وهو « من ناحية قاد تيار المقـاومة العميق الواعى بشجاعة وكفاءة، ورد من ناحية أخرى على مزاعم الحركة الثقـافية الصهيونية ودعاواها » ٠٠ انه كما يقول الباحث ــ بصدق وبساطة ــ « قدم نموذج ــ الاديب المقاتل ــ الذى غاب لفترة طويلة عن حياتنا الثقافية ، وقدم « الادب ــ المنجل » الذى يشحذ كل يوم وبلا هوادة ليحصـــــد كل ــ قرون الحروب السوداء العوجاء ــ » ٠

ومما لاشك فيه أن الاستاذ «غسان كنفانى» قد استطاع فى هذا الفصل أن يعطينا صورة دقيقة وصادقة عن الوضـــــع الثقـــافى ، بله السياسى والاجتماعى ، لعرب الارض المحتلة، والحقائق الكثيرة المدعمة بالاحصائيات الرسمية لتعتبر جديدة على كثير من المثقفين العرب ، ونحن أحوج ما نكون ــ خاصة وأمتنا تخوض الآن معركة ضارية ضد اسرائيل المدعمة بقوى الامبريالية العالمية ــ الى مثل هذه الحقـائق والمعلومات التى تنير أمامنا الطريق ، وتعمل على وضوح الرؤية لتحقيق أهدافنا ، بقـدر ما تلهب فى نفوســـنا الحمـــاس لتغيير هذه الاوضاع المقلوبة ، واعادة الامور الى نصابها ، وتخليص أبناء الارض المحتلةـ أصحاب الوطن الحقيقيين ــ منهذا الواقع المر الذى يعيشونه، واعادة أرضهم اليهم ، يوجهون الأمور فيها من جديد ، وفق ما تتطلبه الحركة العربية فى تقدمها الزاحف نحو أهدافها الأســـاسية : الحرية والاشتراكية والوحدة ٠

ونتخطى الآن الفصل الثانى ، لما أشرت اليه من قبل من أنه مقحم ــ فى رأيى ــ على موضوع الكتاب ، لنتأمل معـــا هذه النماذج الطيبة لشعر المقـاومة العربى ، التى ضمنها الباحث الفصل الثالث من كتـــابه القيم ، وسنطرح جانبا ــ واضعين فى اعتبارنا كل ظروف انتاج هذا الشعر ــ كل المقاييس الفنية ، بقوانينها الباردة ، لنحتضن هذه النماذج الطيبة ، بكل ما فيها من حماس وحرارة ، وبكل ما فيها من صدق وايمان ٠ لنقرأ معا هذا النموذج للشاعر « توفيق زياد » ولنر معا ماذا يريد أن يفعل حتى لا ينسى أعداء شـــعبه ، وحتى لا ينسى الذكريات المريرة التى صادفته ، كل لحظـــات الشقاء والعسف وانه لن يفعل مثلمـــا كانت « مدام لا فارج » تفعـــل ، حين كانت تحيـــك الصوف أسماء أعداء الشعب الفرنسى عـــام ١٧٨٩ لتقتص منهم الثورة بعد انتصارها ، سيحفر كل هذا ــ كما يقول :

على زيتونة
فى ساحة الدار
سأحفر قصتى وفصول مأساتى
وآهاتى
على بيارتى ، وقبور أمواتى
وأحفر كل مر ذقته
يمحوه عشر حلاوة الآتى
سأحفر رقم كل قسيمة
من أرضنا سلبت
وموقع قريتى وحدودها
وبيوت أهليها التى نسفت
وأشجارى التى اقتلعت
وكل زهيرة برية سحقت
وأسماء الذين تفننوا
فى لوك أعصابى وأنفاسى
وأسماء السجون ، ونوع كل كلبشة
شدت على كفى
ودوسيهات حراسى
وكل شتيمة صبت على راسى

ولنستمع الى نفس الشاعر وهو يواجـه فى شجاعة وبسالة المحاولات الاسرائيليـــة لتكريس الاغتصاب وسحق الشخصية العربية ولنشهد معا روح التحدى العارمة التى تتفجر فى النموذج التالى :

أهون ألف مره
أن تدخلوا الفيل بثقب ابره
وأن تصيدوا السمك المشوى فى المجره
أن تحرثوا البحرا
أن تنطقوا التمساح
أهون ألف مره
من أن تميتوا باضطهادكم وميض فكره
وتحرفونا عن طريقنا الذى اخترناه
قيد شعره

كاننا عشرون مستحيل
فى اللد والرملة والجليل
هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفى حلوقكم
كقطعة الزجاج . كالصبار
وفى عيونكم
زوبعة من نار

أما الشاعر « محمود الدرويش » فيتمكن من المزج العميق بين الشخص والأرض ، انه يرتفع بمشكلته العاطفية الفردية ليجعلها تلتحم بالمشكلة العامة ، مشكلة الوطن السليب والشعب المنفى .

تعالى مرة فى البال
يا أختاه
ان أواخر الليل
تعرينى من الألوان والذل
وتحمينى من الظل
وفى عينيك ، يا قمرى القديم
يشدنى أصلى
الى اغفاءة رزقاء تحت الشمس . والنخل
بعيدا عن دجى المنفى
قريبا من حمى أهلى

ولنقرأ أيضا هذا النموذج للدرويش ، لنرى كيف يمزج هـــذا المزج الرائع بين الوطن والحبيبة ، بحيث يفنى كل منهما فى الآخر ، فلا نستطيع أن نفرق بينهما ، وتضيع ملامح الحبيبة فى ملامح الوطن ، ويتحولان الى كل يصعب فصل كل جزء فيه عن الآخر :

رأيتك أمس فى الميناء
مسافرة بلا أهل ، بلا زاد
ركضت اليك كالأيتام
أسأل حكمة الأجداد :
« لماذا تسجن البيارة الخضراء
فى سجن الى منفى ، الى ميناء
وتبقى رغم رحلتها
رغم روائح الأملاح والأشواق
تبقى دائما خضراء » ؟
وأكتب فى مفكرتى
« على الميناء ..
وقفت .. وكانت الدنيا عيون شتاء
وقشر البرتقال لنا
وخلفى كانت الصحراء ! »

أما عنف المقاومة ، والاصرار على البقـــاء والنضال ، برغم كل محاولات الصهاينة لاجبار عرب الأرض المحتلة على الرحيل وترك بلادهم ، هذا التشبث حتى الموت بالأرض ، يتجلى فى الأبيات التالية للشاعر « سميح القاسم » :

فكيف نفر ؟ كيف نفر من منبتنا الأرضى ؟
وكيف نبيح للنسيان أجيالا من البغض ؟
وكيف ؟ وكيف ؟ لن نهدأ
وملء عيوننا المرفأ
ونار جبيننا المشجوج لن تطفأ ..
بغير ضمادك الرحمن . يا ايقاع أحرفنا .
ويا رؤيا تلهفنا
ويا تاريخنا المنهوب
يا قاتلنا المحبوب ، يا موطننا الجارح
فحتى الموت .. حتى الموت
يبقى فارس الأحزان
عبد جوادك الجامح !

ويطور الشاعر نفسه هذا المعنى فى قصيدة أخرى ، يقول فيها :

ربما أفقد ــ ما شئت ــ معاشى
ربما أعرض للبيع ثيابى وفراشى
ربما أعمل حجارا
وعتالا
وكناس شوارع
ربما أخدم فى سوح المصانع
ربما أبحث فى روث المواشى عن حبوب
ربما أخمد ، عريانا وجائع
يا عدو الشمس ..
لكن لن أساوم
والى آخر نبض فى عروقى
سأقاوم ..

ولا يسعنا فى نهاية الامر الا أن نشد على يد الباحث الفلسطينى الجاد الاستاذ « غســـان كنفانى » لهذا الجهد الصادق الذى بذله فى اعداد بحثه ، وللمشقة التى لا بد أنه كابدهـــا فى سبيل جمع مادته ، واذا كان قد اعتـــذر عن تقصيره من ناحية المنهجية فى البحث ، فلا شك أن موضوع البحث وما يحيط به من ملابسات لا يتطلب ــ فى ظروفنا الراهنة ــ غير هـــذا الأسلوب الذى سار عليه ، وهذا فى حد ذاته منهجية ، وأى منهجية !!

... وفيتنام أيضا!

يسرى خميس

لم يعد ممكنا أن يقف الشاعر خارج أحداث العصر •

لم يعد كافيا أن يجلس الشاعر فى مقعده المريح ويحتج على رائحة الجثث البشرية التى يشمها • ان الشاعر وحده هو القادر على رؤية المعنى الكامن والجوهرى وراء تفاصيل العالم المتراكمة ، ووضع هذه التفاصيل داخل الاطار الكلى العام للانسان والعالم • الشاعر وحده هو القادر على الرؤية الشاملة للعالم • ولذا فان مسئوليته مضاعفة فى كشف كل الأقنعة وفى ابعاد دخان الزيف والمراوغة عن الحقيقة الانسانية ، بهدف تعرية الاشياء والعلاقات تعرية كاملة واضحة فى جانب الصدق والحق والانسان • لقد أصبحت مهمته تتلخص فى كشف طبيعة الدوافع والقوى التى تحرك هذه العلاقات بشكل واع وبحدس شفاف قادر على رؤية الابعاد الحقيقية للمشكلات الانسانية ، تتلخص فى اكتشاف أسباب الخلل الذى يلف العالم ويؤدى به الى هذه الاضطرابات العنيفة اللاانسانية والى فقدان التوازن المطلق ، وفى المحاولة الجادة المخلصة من أجل استرجاع توازن العالم وقدرته على الاستمرار فى جانب الصدق والحق •

أصبح الشاعر ضمير العصر الذى يعيش فيه •

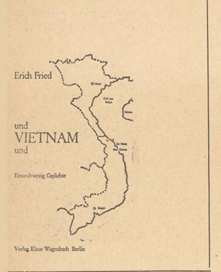
وهكذا يجد الشاعر نفسه ملتزما بالضرورة بالانسان وبالحياة • التزام بمعناه الرحب ، التزام شامل بالانسان وبالخضرة والعشب وبكل تفاصيل الحياة •

فباختياره طريق الشعر الصعب ألقى على نفسه مسئولية ضخمة ، مسئولية تفسير هذا العالم وتغييره •

ولم يعد كافيا أن يعتمد الشاعر فى فهمه للعالم على حدسه الخاص وذكائه الفردى ورؤيته الحساسة المرهفة ، فالعالم بتعقيداته الرهيبة وظهور الامكانيات المتفوقة التى تخدم تطور هذه العلاقات المتشابكة ،تلزم الشاعر بمحاولة فهم العالم والقوانين التى تحكمه والقوى التى تحركه وتدفعه بشكل علمى •

فالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى قرننا هذا علاقات ذات مستوى عال من التعقيد والتشابك ، لذا وجب على الشاعر بأن يدرس هذه الاشياء وبشكل علمى حتى يمكنه فهمها وتفسيرها واكتشاف حقيقتها من أجل تغييرها •

وفى المرحلة الاخيرة من القرن العشرين ، وبعد تعرض الانسان لازمات مفزعة ومروعة



فى الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وبتعقد العلاقات الاجتماعية ، وبظهور قوة (العالم الثالث) التى تحاول أن تجد لنفسها مكانا فوق الارض وأن تمتلك حريتها فى يدها ، وبتأزم الصراع المستمر الحاد بين قوى الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية ، والتطور المذهل فى أساليب الحرب البشعة منذ مأساة القنبلة الذرية فى هيروشيما – كل هذه الاشياء أدت الى ترابط المصير البشرى والتحامه وتماسكه بشكل لم يسبق له مثيل من قبل ٠ فما يحدث فى فيتنام من حرب وحشية لايؤثر فى فيتنام وحدها بل يؤثر فى الانسان فى كل مكان ، فى شيلى وفى أوغنده وفى استراليا وفى الوطن العربى ٠ وما يحدث اليوم فى الوطن العربى من تزييف واعتداء ومحاولة لعرقلة تطور تجربتنا الاشتراكية العزيزة ، هذه التجربة التى اخترناها بحرية مطلقة لتكون الشكل الملائم والوحيد لوجودنا الحر الكريم – لا يخص الوطن العربى وحده بل يخص العالم كله فى كل مكان ٠

لقد تغيرت مهمة الشعر ووظيفته بتغير العلاقات وترابطها ، وهذا الشمول الذى يحتوى العالم داخله بكل متناقضاته ، هو الجو المثالى للشاعر فى أن يؤدى رسالة الشعر كما ينبغى وأصبح على الشاعر أن يقف بجانب الثورة والحرية الانسانية ، وأن يرفع صوته عاليا فى وجه هؤلاء الذين يرغبون فى تحطيم كل المنجزات الحضارية والثقافية والانسانية فى كل مكان ٠ عليه أن يرفع صوته عاليا وبشجاعة وأن يتحمل بكبرياء مسئولية اختياره طريق الشعر ٠ عليه ان يقول ما يراه وبصدق ٠

عندما ابتدأت أرى كل شىء
قالوا – حدثت جريمة قتل
وعندما ابتدأت فى البحث عن الفاعل
قالوا – « خائن »
وعندما سألت من تقصدون ؟
ألقوا بى على السلم
وعندما تحاملت وسألتهم ثانية
سمعتهم يقولون : « اطلقوا الرصاص عليه»

مثل هذه النهاية البشعة يمكن ببساطة أن يلقاها الشاعر فى طريق كفاحه من أجل اكتشاف الحقيقة والقاء الضوء عليها دون توقف ٠

على الشاعر أن يستمر فى طرح الاسئلة ، رغم وعيه الكامل بأن السؤال وحده لا يكفى ٠

هذا ما فعله ببساطة الشاعر النمسوى المعاصر « اريش فريد » Erich Fried المولود عام ١٩٢١ ، والذى عاصر أهوال الحرب العالمية الثانية ، واضطر للهجرة من النمسا بعد الاحتلال النازى عام ١٩٣٨ متجها الى انجلترا حيث يعيش حتى الآن فى لندن منذ عام ١٩٤٦ ككاتب ومفكر وشاعر حر مرتبط بالانسان وبالمصير البشرى ٠ وحيث يكتب الاشعار منذ عام ١٩٤٤ متبدئا بديوانه الاول (ألمانيا) كاتبا سبعة دواوين شعرية كان آخرها بعنوان (وفيتنام أيضا) الذى هو بمثابة وثيقة فنية تاريخية يدين بها الحرب والامبريالية على مدى تاريخ الانسانية ٠

والشاعر يكتب شعره باللغة الالمانية ، لكن ما يلفت النظر أنه ينشر كل دواوينه فى المانيا – وألمانيا الغربية بالتحديد ٠ الشىء الذى يضىء لنا موقفا جديرا بالتأمل فالشاعر يرى الاشياء بطريقة مختلفة عن الطريقة التى يراها بها رجل السياسة ٠ ففى ظل العلاقات

Erich Fried
und VIETNAM und
Einundvierzig Gedichte
Mit einer Chronik
Quarthefte Verlag Klaus Wagenbach
Q

السياسية الرأسمالية اللا انسانية فى ألمانيا الغربية يرتفع صوت (اريس فريد) و (بيتر فايس) و (التستسبرجر) وغيرهم من الكتاب الذين يقفون فى جانب التقدم والحرية والثورة رغم السيطرة المطلقة التى يفرضها النظام الاحتكارى على العلاقات القائمة ، ورغم الدخان المزيف الذى يثار حول كل الحقائق الانسانية الا أنه غير قادر على حجب رؤية الشاعر النفاذة للدوافع الحقيقية لهذه العلاقات ، ولا يمنعه مطلقا من أن يمسك الحقيقة فى يديه ، ويلقى بها فى وجه العالم بقسوة •

وهذا مطمئن لحد كبير ، فما زالت هناك وسط أحراش الاحتكار الرأسمالى أصوات انسانية طيبة تقف فى جانب التقدم الحقيقى والروحى للانسان •

ان اريش فريد يقدم لنا تكنيكا خاصا فى المعالجة الشعرية • انه يعرض الفكرة الشعرية ببساطة متناهية وبشكل أقرب ما يكون الى العرض الموضوعى • يثيره تعليق ما فى الاذاعة أو فى التليفزيون أو يستفزه خبر ما فى جريدة يومية ، فيكتشف بحدس الفنان الواعى الملتزم ما وراء هذا التعليق أو ذاك الخبر ، بعد أن يضيف اليه أبعادا انسانية جديدة •

انه يكتشف الشىء غير العادى الذى يكمن فى الشىء العادى •

لقد تخلى كلية عن المفهوم الكلاسيكى للشعر الحديث الذى قدمه لنا ازرا باوند واليوت • لقد تخلى عن « الصورة الشعرية » المعقدة أصبحت القصيدة شبه تقريرية أو شبه تسجيلية ،حتى أنه يمكننا أن نسمى هذا النوع من الشعر « الشعر التسجيلى » •

« ١٧ ـ ٢٢ مايو ١٩٦٦ »

فى دا نانج
ولمدة خمسة أيام كاملة
أبلغ يوميا :
طلقات متقطعة فى بعض الاحيان •
فى اليوم السادس أبلغ :
أثناء فترة المقاومة فى الخمسة الايام الاخيرة
فى دا نانج
حتى الآن حوالى ألف ضحية •

انه يسجل أحداث الواقع الصلبة بكل تفاصيلها المأساوية بشكل تقريرى ثم يضيف اليها الكثير من ذاته المحملة بالوعى والحساسية والفهم والشعر •

لقد أصبح التقرير فى يديه شعرا ! بل انه اكتشف شعرية الاعداد الحسابية والتواريخ اليومية ، فالاشياء والاعداد والتقارير عندما تمر بداخل الشاعر تستحيل شعرا داعيا وصادقا وحقيقيا •

لقد تخلى فريد عن الفهم الكلاسيكى للقصيدة وقدم لنا شكلا جديدا مميزا ، يعتمد فيه أساسا على فضح التناقض Paradox الموجود فى الاحداث التى حوله ومن خلال عملية (المونتاج) التى يستغل فيها امكانية (مقابلة) صورة بأخرى أو حدث بآخر أو رقم بآخر حتى يعطى شعره الاثر النفاذ المطلوب •

وفى اعتقادى أن هذا الشكل الجديد الذى قدمه فريد كان ضروريا فهو مرتبط بشكل جدلى مع مضمون الافكار الثورية التى تتخلل الديوان •

ان مأساة فيتنام بما تحتويه من حدة وعنف وجثث بشرية وتزييف وألم ودم لا يمكن أن يعبر عنها الشاعر الا بشعر نفاذ وحاد بنفس الدرجة من حدة المأساة • ان المأساة واضحة ومروعة ، كذلك يجب أن يكون الشعر واضحا ومروعا أيضا •

فبمناسبة (عيد الأطفال) فى فيتنام ألقى الطيارون الامريكيون لعب أطفال على القرى التى سبق أن ألقوا عليها القنابل الحارقة منذ أسبوعين • مثل هذا الحدث الملىء بالتناقض والسخرية المريرة يعبر عنها فريد بكل ما يملكه من طاقة شعرية وقدرة فائقة على التقاط جزئيات الواقع المتناثرة المأساوية وعرضها بشكل ساتيرى مذهل •

« **لعب اطفال موجهة** »

قذائف من لعب الاطفال
بدلا من القنابل
فى عيد الاطفال •
قال اخصائى الاسواق

هذا
يترك أثرا كبيرا ولا شك
لقد ترك أثرا كبيرا جدا
على العالم كله
لو أن هذه الطائرات
ألقت هذه اللعب
قبل اربعة عشر يوما
ثم القيت القنابل الآن
لكان لطفلي الاثنين
لمدة اربعة عشر يوما
من كرمكم
شيئا ما يلعبون به ·

فيدين الاستعمار الامريكي ومنطقه المتناقض اللا انساني البشع ، حيث يوزعون اللعب مع القنابل بلا خجل ، وحيث يعدون اللحم البشرى بطرق لم يعرفها التاريخ من قبل :

« كان اللحم يعد باحدى طريقتين
اما بسرعة بواسطة النابالم
أو ببطء باستخدام البنزين
ان الطريقة الاخيرة طريقة بربرية
أما الطريقة الأولى فهى ليست كذلك ،

ويعرض لنا اريش فريد بمنطق أليم وساخر الحد الذى وصت اليه بشاعة تصرفات امريكا فى حرب فيتنام القذرة تجاه الفلاحين والاطفال ·

« الخدمات الطبية الممنوعة »
لم يحدث الهجوم بشكل عفوى
لقد حاولوا بالفعل
قبل القاء النابالم والقنابل
على مناطق العدو
ارسال مساعدين
لجمع الاطفال
الكبار منهم والصغار
كى يرحلوا الى المدينة حيث الامان
· · · · · · · ·
ومع ذلك يجب أن تتوقف
هذه الخدمات الطبية
فالقرويون الثائرون
يقتلون هؤلاء المساعدين
ولا يتركون الفرصة لاطفالهم
فى أن يعيشوا فى أمان وسلام ·

وهكذا لم يعد لقاذفى القنابل
فرصة أخرى للاختيار · »

والشاعر لا يتوانى مطلقا فى أن يشير بيده الى صانع هذه المجازر البشرية — الى الرئيس جونسون الذى أعلن بلا خجل وبلا تردد أمام أعين العالم كله فى ٨ أبريل عام ١٩٦٥ « ان الضعف البشرى يحتاج احيانا للقوة والعنف من أجل استمرار الامن والمحافظة عليه ، حيث تصبح الحرب أداة للسلام · لذا فاننى أعلن ضرورة استمرار الحرب فى فيتنام ! » هكذا ، بالحرب الواحد · أصبحت الحرب أداة للسلام ! وأصبح جونسون هتلر جديدا ·

« ترتيب جديد للمراكز »
قبل ظهور الرئيس جونسون
كان هتلر فى المركز الاول ·
ولم يأت بعده آخر لمدة طويلة
ثم جاء الرئيس جونسون ·
لكن منذ مؤتمر هونولولو
يحتل جونسون المركز الاول
وبعد مسافة قصيرة
يأتى هتلر
ان الرئيس يتقدم ببطء
كطواحين الرب
وتتبادل المراكز
من أجل الديموقراطية »

وقام جونسون بدور آكل لحوم البشر الذى يفزع اطفال القروين فى أكواخهم ومزارعهم وأحلامهم ، آكل البشر الاعمى الذى يكره كل الاشياء الحية الطازجة ويرشها بالنار السائلة التى تحرق كل شىء حولها ·

ولما كان الاستعمار يحتاج الى من يخدمه فقد استعان جونسون بكل القوى الرجعية الخائنة من أهل البلدان · لقد استعان بالجنرال (كاوكى) الذى قال بالحرف الواحد فى ٦ يوليه ١٩٦٥ « ان مثلى الاعلى هو هتلر » ·

« توضيح »
لا يمكن أن يحرق الامريكيون
اطفال فيتنام
دون ضرورة
لا يمكن أن يحمى الامريكيون

« عملية القرى الاستراتيجية »
ان محاولة
حصار وطن كامل من القرويين
فى معتقلات مغلقة
ليلا خلف الأسلاك الشائكة
ونهارا فى معسكرات العمل الحاجى
تحت الحراسة
بواسطة وحدات الأمن ٠
مثل هذه المحاولة
فكرة جديدة تماما
فى تاريخ المستعمرات القديمة
تحطمت كلية بواسطة الثوار
القادمين من الشمال
بالرغم من أنها كانت تعد بالتفاؤل ٠

لقد حدد اريش فريد المسئولية بوضوح والقاها على أمريكا قائدة الثورة المضادة بصوت عال ٠ انه يدين الامبريالية الامريكية لخلقها هذه الاوضاع اللا انسانية البشعة التى يعيش فيها فلاحو فيتنام الجنوبية ٠ انه يدين الاحتكارات الامريكية صاحبة المصلحة الوحيدة فى هذه الحرب القذرة التى يستعمل فيها ضد اهلها الآمنين أحدث وسائل الحرب المروعة مثل قنابل النابالم الحارقة والغازات السامة والمواد الكيميائية وحرب الجراثيم ٠ انه يدين الاحتكارات الامريكية التى ضربت بكل النداءات المخلصة من يوثانت ومن الدول الاشتراكية والدول الاخرى المحبة للسلام ومن الكتاب والمثقفين والفنانين فى كل أنحاء العالم، ضربت بها عرض الحائط ولم تستمع لهذه الاصوات الانسانية واستمرت فى مواصلة استعمال العنف والبربرية ٠

فى تقرير من مجلة القوات الحربية الامريكية ثبت ان عدد القنابل التى القيت على قرى شمال فيتنام أكثر من عدد القنابل التى ألقيت فى الحرب العالمية الثانية

لقد أصبحت عملية (القتل الجماعى) هى القاعدة ٠ أصبح من الممكن حرق قرية بأكملها على سبيل الخطأ ـ أو عمدا مثل حرق قرية (مان كوانج) فى ٢٤ مارس سنة ١٩٦٥ حيث أحرقت القرية بأكملها بأطفالها وفلاحيها وأمنياتها البسيطة ورغبتها القديمة فى الحياة ٠



الى الحرية .. للفنان فراموكينا

المارشال كاوكى
اذا كان فى حقيقته وغدا
انهم يحمونه بالفعل
وهذا يعنى أنه ليس مضرا لهذه الدرجة
وأن ما يقوله
لا يمكن أن يكون خطأ فادحا
انه يقول بالفعل
ان مثله الاعلى هو أدولف هتلر
وهو لا يمكن ان يكون سيئا لهذه الدرجة
اذا كان مثله الاعلى هتلر
ومع ذلك فقد أحرق هتلر الاطفال أيضا
ليس فى فيتنام ولكن فى مكان قريب
لماذا اذن يستفزنا ذلك
اذا ما فعله الامريكيون ٠

لقد أبدع الاستعمار فى أساليب العنف والوحشية أقسى ما وصل اليه الانسان القديم والحديث ، حيث ألقى الحصار على قرى كاملة سماها بالقرى الاستراتيجية ٠

أحرقت المدرسة بأطفالها الذين كان عددهم

« **٤٢ طفلا فى المدرسة** »

ماذا تعلم الاطفال من القنابل فى مان كوانج؟

ماذا تعلمنا نحن من أطفال مدرسة مان كوانج ؟

ماذا تعلمنا

من بولنده وستالنجراد ونجازاكي والسويس ؟

ان الامر ليس خطيرا لهذه الدرجة .

أو أنه لم يعد خطيرا بعد .

أم أنه

من المستحيل أن يحدث ذلك ؟

لقد حدث بالفعل . والعالم كله يرى ويسمع الفظائع والاهوال التى ترتكبها أمريكا فى حق شعب فيتنام الحر باسم الديموقراطية والسلام ومنع انتشار الشيوعية ! العالم كله يشم رائحة الشواء البشرى ومدام نو « تصفق باستحسان للشواء البشرى » هكذا قالت عندما شاهدت انتحار راهب بوذى احتجاجا على هذه الاعمال الوحشية دون جدوى . وفى فيتنام تبحث الفتاة عن حبيبها بين ركام الانقاض المشتعلة دون جدوى .

لماذا لم تكن مثل شجرة (الترونج كوان) ؟

قالت الفتاة .

هذا يعنى

ان حبيبها كان أحد المحترقين .

ان النار لم تشب فى أوراق شجر الترونج كوان

مثلما شبت فى عيدان البوص وفى الجلد البشرى .

حيث يساق الى الحرب الشباب الامريكى المغرر به ـ دون هدف وبلا قضية ـ حيث يلقى بالشباب وسط هذه الاحراش مصورين له أنه يدافع من أجل قضية الحرية والسلام والديموقراطية . وعندما يكتشفون الحقيقة البشعة ـ حقيقة العبث الذى دفعوا بهم اليه فى فيتنام ، يصابون بخيبة أمل عميقة عند رؤيتهم للنتائج المخزية للديموقراطية الامريكية أو يصلون الى درجة من التبلد الحسى ، فاقدين فيها كل انسانية ، متحولين الى آلة جيدة للقتل فى يد احتكارات أمريكا .

عندما سئل أحد ضباط الجيش الامريكى فى فيتنام عن شعوره عند معايشته للحرب ومشاركته فيها بكل تفاصيلها المروعة :

« اجاب : لا شيء !

لا شيء عند رؤية الموتى

لا شيء عند سماع صرخات النسوة

والانفاس اللاهثة

وعذاب المسجونين

لا شيء عند تحرك بقايا الاطفال المحترقة ! »

لا شيء عند مشاهدة تفاصيل المأساة بكل أنواعها المفزعة لا شيء عند تحول الالوان الحية النابضة الى ألوان باردة جافة ميتة

« **توطن** »

أيد بيضاء

شعر أحمر

عيون زرقاء

أحجار بيضاء

دم أحمر

شفاه زرقاء

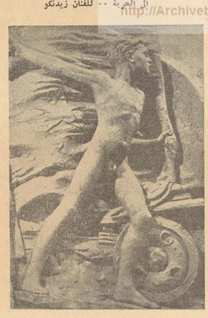
عظام بيضاء

وأمل أحمر

سماء زرقاء

هذا التغير فى الالوان الذى يرى من خلاله الشاعر ابعاد المأساة وأثرها .

الى الحرية .. للفنان زيدنكو



بلغ عدد القتلى حتى ١٩٦٥ : ١٠٨ ألف شخص بينهم ٧٢ ألف شخص من المدنيين ٠

ان اريش فريد يعى قضية عصرنا الاساسية وهى الصراع من أجل الحرية والثورة - يرى أن فيتنام تهدد العالم كله ٠ « ان فيتنام هى المانيا ، وقدر فيتنام هو قدر المانيا ، والقنابل التى تلقى على فيتنام من أجل حريته ، هى نفس القنابل التى تلقى على المانيا من أجل حريتها أيضا ! والمارشال كاوكى يقابله ايرهارد فى المانيا »

لكن فى داخل الفيتناميين
فكرة حية ومشتعلة
ان الاتحاد هو المستقبل الحتمى
وهذا الحق الغالى عندهم
يحققونه بصعوبة وبمعاناة
هذا الحق الرخيص عندنا
ان قلب المانيا يدق فى فيتنام ٠

ان الشاعر يعى ارتباط مصير العالم ويثور على كل ما هو مزيف وغير حقيقى ويضع المرآة أمام وجه الدول الاستعمارية مبينا لها مدى بشاعة الوجه الذى يضج بالكراهية والحقد ٠ انه يوجه الحديث لرجال السياسة فى المانيا الغربية

« قبل الطبع »

ما زالت هناك ساحة بيضاء على اليسار
يمكن الكتابة فيها
على اليمين كتب ٠٠ (هم حظنا التعس)
ما هو أول الجملة
فلتكتبوا (الصينيون) فلتكتبوا (الفيتناميون الشماليون)
اكتبوا كل الذين تكرهونهم
اكتبوا ببساطة (البلاشفة)
ثم اتبعوها هكذا :
(ديجول) و (المحايدون)
(من الحديقة الافرو آسيوية)
(المتظاهرون ضد الحرب الذرية) و (الحمر)
(اليوغوسلاف) (العمال الاجانب)
الاحياء منهم والاموات
فقط تابعوا ذلك !

لكن الشعب الفيتنامى العظيم الذى قاوم الاستعمار الفرنسى والاستعمار اليابانى منذ عام ١٨٨٣ حتى هزيمة (دين بين فو) النكراء ، الشعب الذى ناضل بصلابة تدعو للاعجاب مدة تقرب من قرن كامل ضد قوى القهر والاستعمار ٠ الشعب البطل يقف بكل قواه الثورية والتقدمية تحت قيادة الفيت كونج موقفا صلبا متماسكا وعظيما ٠

يقف القرويون بكل اعتزازهم بالأرض وبالأرز وبالحياة مقابل أمريكا قائدة الثورة المضادة فى العالم ساخرين من قنابلها وغازاتها وسمومها ٠

ان فكرة الثورة والحرية والاتحاد هى كل ما يملكه فلاحو فيتنام ، هذه الفكرة التى يعتزون بها ويضحون من أجلها - هذه الفكرة التى تفتقدها وتزيفها أمريكا ٠ ان فلاحى فيتنام يستمعون لنصيحة ماوتسى تونج ٠

ويمثلون الاسماك الحرة داخل مياه البحر الغريقة ٠ وعندما علق بمرح قائد القوات الامريكية أنه سوف يجفف هذا البحر ، كان ذلك يعنى نهاية أمريكا وابتلاع البحر لها ٠

« أرادت القطة صيد السمك
جرى السمك فى البحر
اغتاظت القطة وقالت :
« لو أن البحر يحمى الأسماك
اذن يجب أن أشرب البحر كله
حينئذ لا يقدر للبحر أن يحميها
عند ذلك فقط أرجع للمنزل »
فتحت القطة فمها لآخره
وقفزت فى البحر الثائر
ابتدأت فى الغرق فى الحال
وانهارت شجاعتها كلية » ٠

ابتلع البحر كل هذه القطط المجنونة العمياء بكل حماقتها وهوسها وهى ترقص رقصة الحرب بين السماء وبين أسنان الماء وأسماك القرش المفترسة ٠

« أسماك القرش تتكاثر باستمرار
نحن نقفز
من مأزق الى مأزق آخر » ٠

نقفز بلا جدوى داخل مناطق مغلقة ومصير محتوم ٠

نقفز نحو العدم المطلق ، نحو الفشل المطلق ، نحو الهزيمة المطلقة ٠

والنصر للشعوب وللحرية والثورة ٠
عاش نضال الشعب الفيتنامى الصديق ٠
عاش نضال الشعب العربى البطل ٠
عاش نضال الشعوب والأحرار فى كل مكان من أجل الحرية والثورة والسلام ٠